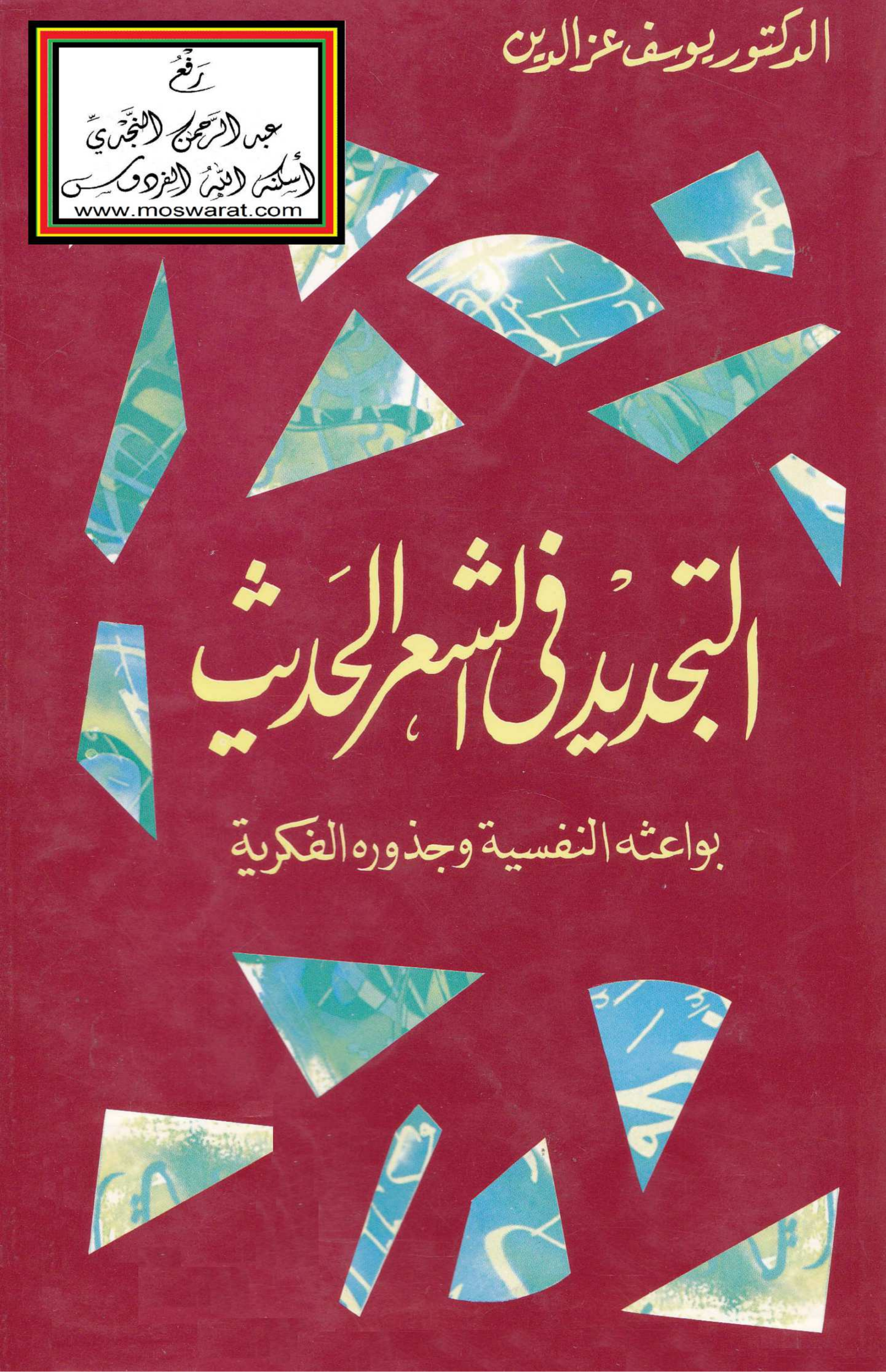
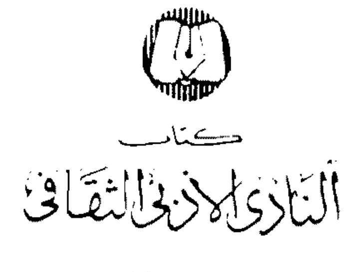

الدكتور يوسف عز الدين
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
التجديد في الشعر الحديث
بواعثه النفسية وجذوره الفكرية

الدكتور يوسف عز الدين



التجديد في الشعر الحديث

بواعثه النفسية وجذوره الفكرية





الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

طبعت بمطابع دار البلاد ـ جدة
ت : ٦٧٠٠٣٣٣ ص . ب : ٧٦١٤ جدة ٢١٤٧٢


بسم الله الرحمن الرحيم

النادي الأدبي الثقافي

جدة - المملكة العربية السعودية

ص. ب: ٥٩١٩ - ت ٦٥٢٢٩٧٢

الإهداء

إلى الأديب الكبير الصديق العزيز

الأستاذ/ **عبد الفتاح أبو مدين**

لولا الحاحه الجميل، ومتابعة رسائله

الحبيبة لما كتبت هذا الكتاب

يوسف عز الدين

سوح الأدب العربي والتلوث الفكري

أصبحت قولة الحق فى موطنى نكبة على قائلها تصب حمم البغضاء وقذائف الكراهية بعد ان اختلت الموازين وضاعت القيم السامية فيه ، وألف الأدب المداهنة واعتاد على المعوج والثناء الكاذب حتى حسبه الحقيقة ، ورأى الاستقامة هى الضلال والجمال هو القبح والفن هو الغموض والنشار هو النغم الجميل .

وقد تعرض الناقد المنصف لسهام الجاهلين وشتائم طفيلى الأدب .. وقوبل تيار النقد الأصيل بعداء وعداوة وتحول تقويم السلوك المعوج الى بغضاء وكراهية .

وشاهدى قول الأديب المعروف الصديق عبد الفتاح أبى مدين فى جريدة الرياض (٥٧٧٠/١ فى التاسع من رجب ١٤٠٤هـ ١٠ نيسان ١٩٨٤م) « ان النقد يجلب لصاحبه المشاكل ناجمة من كلمة الحق ... ان النقد يخلف حزازات فى النفوس .. »

آليت على نفسى الابتعاد عن النقد ولكن الوباء الأدبى الذى يسميه صديقنا الدكتور راشد المبارك (التلوث الفكرى) الذى ران على حياة الأدب العربى غلبنى على نفسى فرأيت ضرورة الوقوف امام هذا التلوث برغم ما وسعنى من شتائم واتهامات وأزعجنى العويل وأدمى أذنى الصخب والضجيج لانى اريد اجلاء وجه الأدب

وتصفية جوه من الغبار المزعج .

كنت أتمنى أن يستفيد من تجربتى هؤلاء وهى طويلة ويأخذون من قولى فى ميدان الأدب ورياضة ، وهضاب الفكر وسهوله ، ونجاد الشعر وبطاحه ، وحزون النقد ووديانه ، ويناقشنى المعارض الرأى ، ويقرع الحجة بالحجة ، والرأى بالرأى فاذا بهؤلاء يحولون النقد الى ذاتى الانسانية ، وشخصيتى الأدبية فترفعت عنهم لانهم لا يعرفون السبيل ، واذا أردت ان تغلب عالما فأرسل له جاهلا ، واذا أردت أن تفوز على خبير فأرسل له أميا .

ان اظهار خبايا الفن ، ونقد المنتج ، يُري الكاتب المزيف الحقيقة ، ويعرى انتاجه الذى خاله فنا ، وحسبه جديداً بعد أن أشبع ثناء كاذبا واطراء مزوقا ، فصدمه عريه ، وساءه الافلاس الفكرى ، عندما جاءه من قولة الحق ، وصراحة الواقع ، وقوة الحقيقة .

ان أكثر الشعراء الذين نقدناهم يندفعون وراء عواطفهم الخاطئة التى أثرت فى سلوكهم نتيجة الشعور بالنقص من عدم قدرتهم على الوصول الى مستوى رفيع فى الأدب ، فاذا قُوِّم أدب أحدهم ، ووجه فكره تبرم واحتج ، وثار مع أن عقدة النقص Inferiorty Complex هى أول السبيل الى السمو الفنى ، والاستفادة من التجارب للسمو الى الذات العليا فى الفن ، والانتفاع الكامل من استخدام المعارف الحديثة فى التجربة الابداعية لان المبدع متى أحس بها استغلها فى

سبيل تطوير ادبه ، وعكسها فى فكره ونقدها فى نفسه .

تختلف هذه الدراسة عما ألفه المفكرون من دراساتي وكتبي وبحوثي ومحاضراتي وندواتي فقد كنت أهتم بالجيل الماضي ، وفاء لما قدموه من خدمة ، وتذكيرا بفضلهم علينا ، بعد أن أدوا رسالتهم على أحسن ما كانوا يرونها ان تؤدى ، راجيا أن أكشف جوانب من الشعر الحديث الكثيرة بهذه الدراسة .

ان اكثر من ذكرت هنا تربطنى بهم رابطة الود والصداقة ، وأعرفهم معرفة جيدة ، وستكون هذه الدراسة سببا فى قطع صلاتى بمن يحس بالنقص ، ومن يهزه النقد العلمى والآراء الفنية .

ولن أترك الساحة وأنزوى طمعا فى حب الاصدقاء الذين لا يسمعون قولة الناقد فيهم ، زاهدا فى صداقة أديب أو شاعر لا يقبل الحق والرأى السديد .

أنا أحكم بذوقى شاعرا ، واوجهه بفكرى ناقدا ، وابدى رأيى عربيا مسلما ، واصلح الاغلاط فنانا اسهمت فى حقلى ، أكثر من غيرى وتمرست بالادب بأنواعه وفنونه فاذا أخطأت فهذا خطأ الثقافة ، وان لم أصب فهو سهو الحضارة التى تعلمتها والفنون التى درستها ، وللمخطىء أجر وللمصيب اجران .

الجديد فى الدراسة

فى هذه الدراسة نظريتان جديدتان حاولت أن اطبقهما على

الشعر الحديث ولست ملزما أحدا بالاخذ بهما الا بعد أن يتمعن فيما قلت فى نقدى ، لايمانى بأن الأدب والشعر بخاصة ، عواطف وأحاسيس تنبع من الغريزة الانسانية العميقة التى لن تغيرها الثقافة ، أو تبدلها الحضارة ، انما تغطيها بغطاء جديد يظهر فى اللا شعور عندما ينظم الشاعر .

والعواطف والأحاسيس مختلفة باختلاف الناس ، قوة وضعفا ، وعمقا وسطحية ، ولكنها تظهر فى حياة الانسان الحىّ المشاعر ، المرهف الاحساس ، وتسيطر على عقله وفنه .

فالشاعر الذى يريد أن يتحدث عن ألم المَّ به ، أو أن يصور حادثة أقضت مضجعه ، وحرمته لذة من لذات الحياة كالمال والحرية ، أو لذة الجاه والشهرة ، فانه يحبس هذه الرغبة ويمنعها من أن تتسرب الى عقله الواعى حتى لا يصاب بمكروه . هذه العرقلة الغريزية سوف تظهر بشكل آخر ، وتتنكر فى زي جديد حتى تفلت من الرقيب الداخلى ، فتكون صورة رمزية أو حكاية اسطورية .

عندما نجح الشاعر فى كبت رغبته بعقله استكنت فى اللا شعور أو الباطن حتى يبعد عنه الموت أو الاذى فتكونت العقدة *complex* وهى الذكريات التى اختفت فى عقل الشاعر وتحولت الى العقل الباطن ، ولكنها طغت عليه وقاومها ، ونفس عنها بالرمز والاسطورة ، وأبدلها بقصيدة شعرية أو رواية ادبية ، أو تمثال جميل لكى يسرب هذه الغريزة ، وليرضى السلطة أو المجتمع ويساير التقاليد والقوة ، والحفاظ

على الحياة غريزة وراثية .

ان الانسان لا يقدر على اقتلاع الغرائز ، لانها خلقت معه ، وورثها فى دمه ، منذ خلق البشر ، ولكن غيرها أو أبدلها بشيء آخر ، ونفس عنها بالفن ، لانه اراد اثبات الذات الاجتماعى ، ولكن الصراع الداخلى بين اللا شعور والشعور غدا يؤرقه ويؤلمه ، فيغضب لهذا الكبت ، ولن يجد اللذة النفسية الا باظهار هذا القول المحبوس والفكر المكبوت ، ومادام العقل هو المتحكم فى سلوك الفرد ، والموجه العميق الآتى نحو نزعاته النفسية فلن يدعه يلقى بيده الى التهلكة ، فبدل بالعقدة عملا جديدا لحلها محلا آخر يثبت ذاته ، ويفخر بها ، ويحس بالسرور واللذة فى اظهارها .

وبذلك يغطى شعوره بالنقص ليصل الى حالة نفسية تسعده بالاحساس الجميل بالتقدم على الآخرين ، وهو ما يسميه علماء النفس *Superiorty Complex* .

فالشاعرة التى لم تتزوج ؛ والشاعر الذى لم يجد من يحنو عليه من النساء ، يحس بالشعور بالنقص من جراء القبح . فعوض عن هذا الشعور بالتجديد والتطور لأن المرأة كرهت الذكور ، والرجل كره الاناث . فأصبحت السلبية التى قابلها الفنان من مجتمعه ايجابية فى أدبه ليحس بالتفوق ، واثبات الذات ، انها العواطف المنفعلة التى عمقت الألم فى اللا شعور ، فأحس بالقلق والحسرة وأراد أن يكمل شخصيته لان السرور أو السعادة لن تتحقق للانسان مادامت

العوامل الغريزية مضطربة ورغبة المجدد للتطور تملأ عليه روحه ونفسه لينسى هذا الاحساس المؤلم ويوجهه جهرة الى التكامل الفنى ليقوّم شخصيته ويسجّم المؤشرات النفسية فى المجتمع ، وليس فى حياة الانسان سعادة تعدلها قوة الشخصية وتماسكها ، أمام الاحداث ، ولن تقوى الشخصية الا بتعديل الغريزة العميقة أو محوها ، وتنسيق الانفعالات اللا شعورية ، وتحويلها نحو الطريق الطبيعى الراقى الذى يرضاه المجتمع .

ان الشعور بالنقص معناه وجود عاهة أحس بها الأديب بعد أن اشعره المحيط بوجودها ، سواء أكانت العطف الشديد أم تذكيره بها . عندها ينتقم ويغضب ويثور فاذا اتجهت نحو السلبية هدمت ، وبددت وأساءت ، وبخاصة اذا وقف منها المجتمع موقفا ساخرا أو هازئا .

واذا وجهت وجهة بناءة أحس المبدع بالأمان والاطمئنان والسعادة ، واتجهت العقدة نحو السمو وتصعيد الانتاج الفنى وأثبت الشاعر وجوده ، وحقق الذات الذى يسعده اذا قام بالواجب ، وقدّره المجتمع وأحله منزلة كبيرة .

الخوف والرمز :

ان الخوف والرعب هو الذى خلق الغموض ، وسرب الى الشعر الاسطورة حتى أصبح الشعر لغزا ، لا يمكن أن تحل رموزه ، ولا يفهم ايحاؤه ولا يحس به المتلقى أو يتذوق الانتاج .

ان خير أدب الرمز الحديث فى فرنسا رد فعل لاحداث اجتماعية وسياسية ، فقد عرف الأدب الفرنسى بالوضوح والانسجام وجمال العبارة ، ولما ظهرت الرمزية كان لها خط واضح اللون ، ومحدود العلاقة ، والرأى المجرد ، وحددت الرمزية بهدف واضح ، وإطار فكرى سليم ، وتفكير صوفى عميق النظر ، يجرى الجمال فى الابداع ، والذوق السليم فى الانتاج .

وصلت الرمزية على يد شارل بودلير منزلة فنية تلائم الذوق الفرنسى ، وخلقت أمثلة تزيد فى الخيال اتساعا ، وتبعد الشاعر عن تأثير الحاسة المادية للانسان . ولا شك بأن شعر الرمز تأثر بشعراء الابداع (الرومانسى) أمثال موسيه وبيرون وهجو وراسين .

ولما نشر بودلير شعره الرمزى عرض مشكلة أدبية جديدة بأسلوب جديد أثارت عليه السلطة وغرم من اجل هذا الجديد . وأكثر الشعراء رمزية كانت جذوره الاصلية عميقة فى أدبه مثل رامبو ومالارميه وقد حققت الرمزية فى شعرها اسلوبا جديدا تعدى المنطق اليومى الى صوفية مجهولة المغامرة ، تهدف الى جمال الايحاء فى فكر عائم مجهول . وسرعان ما ترك الادباء هذا الاتجاه الجديد بعد أن أخفق الكثير منهم فى اسعاد المتلقي بصفاء الوزن ، وجمال العبارة ، والايحاء اللفظى .

وحاول الشعراء الانجليز ادخال روح جديدة فى شعرهم بدراسة

ماترجم من أدب الرمزية باحثين عن الواعى واللاوعـى فى الأدب الفرنسي .

ولكن الأصالة الانكليزية حدت كثيرا من نشر هذا الأدب عند الشعراء ، ولعل سر ذلك ما شاب أدب الرمز من ضبابية وغموض اخرجته من النغمة الموسيقية والابداع الفنى الى الصياغة الفكرية . ولم يستوح الأدب الرمزى جماله من تجربة صادقة واضحة السمات تشرق فيها روح الفن والابداع بوضوح . انما يحس بها المتلقي مجردة من العاطفة ، مهتمة باللفظ ودلالـة الكلمة ،بالايحـاء المستقـل فى موسيقى اللفظة ، وما يتـركه الرمـز من ايحـاء ، وحولـت التجربـة الواضحة فى الكون الى حركة ايحاء تفرض على المتلقي رؤيتها ، وان يكون له اقتران نفسى ، ورغبة مكبوتة تنسجـم مع هذا الايحـاء ، وبذلك اصبح الرمز ايحاء كثير التعقيد والغموض ، فانزلق الى الزيف والتزوير ، ولم يعد الشعر سحرا فنيا ، يرسم الصورة الجميلة الواضحة ويؤثر فى النفس واحساسها ، فقد كدرتها لغة الغموض والحـيرة ، وفقدان الروابط الواقعية والمنطقية التى رفضها العقل ، لانها غدت قطعة واحدة فيها حروف وكلمات موسيقية توحى بالوان وصور تختلف من شاعر الى شاعر ، مثل القطعة الرمزية والسريالية فى الرسم وعلى مقدار ما يوحى اللون من اهتزاز فى اللاشعور وما يؤثر فى العقـل الباطن من ايقاع غامض يتأثر به المتلقي .

فهل تأثر الشعر العربى بهذه الدوافع ؟ وهل ان اللغة التى ينظم

فيها الشعراء اليوم لها قابلية الايحاء ؟ وهل عرف هؤلاء ان مناهج النقد فى الشعر الحديث فى الغرب تختلف عن مناهج النقد العربى ؟ النقد العربى يقوم على روح القصيدة وأصالتها وجمال موسيقاه وصدق تجربة الشاعر وسلامة نحوها وصرفها واعرابها لان جمال الخيال واتساعه يعتمد على الذوق المرهف والعلم الواسع وهو ما لايتفق مع روح الغرب وفلسفته .

النقد الحديث :

يقوم النقد الحديث على الفلسفة الغربية ، يستمد اصوله من علم الاجتماع وعلم النفس الذى ارجع فرويد فيه كل العواطف الى الغريزة الجنسية ، ناسيا او متناسيا اهم دوافع الأدب الاصيل ، والفن المبدع ، متمثلة بالأحاسيس الروحية التى كمنت فى اللاشعور مؤكدا الالهام ، وعد الشعر والفن بعامة نوعا من الحلم ، يعبر عن كبت جنسى تكلس فى عقل الانسان الباطن .

وغاب عن فرويد العنصر الأساسي فى خلق العمل الفنى ، والابداع الأدبى كالعقل والفكر والثقافة .. وركز على الوتر الخارجى الذى يؤثر فى الانسان ، ان العقل والعناصر الخلاقة للفن لايمكن ان تفصل عن العاطفة والاحساس والعقل الباطن ، لان صدق التجربة التى تأتى من اهم العناصر لاتمليها الظروف الآنية التى أملت عليه نظريته فقط انما تأتى متأثرة بالعقل اللاواعى التى ينظمها ويهذبها العقل الواعى .

ان الحرب العظمى الاولى ما بين ١٩١٤ ـ ١٩١٨م دمرت المجتمع الغربى خلقيا ونخرته جنسيا بعد ان اختل الميزان البشرى وكثرت النسوة وقل الرجال ، ولم يجد الناس المأوى والطعام والأمن النفسى لان اختلال موازين المجتمع تكثر بعد الهدنة وانتشار السلام ، فرأى فرويد اقبال الغرب على الجنس من جراء حرمانهم خلال ايام الحرب ، ولسهولته بعد ضياع المثل ، وتبدد الوازع الديني والاجتماعي ايام السلام .

وقد كان فرويد نفسه يعانى من حرمان جنسي قاتل ، آذاه ان يرى الناس يتمتعون باللقاء ، وهو محروم منه فتجسم فى ذهنه هذا الحرمان ، وكأن البشر ليس لهم من متع فى الحياة سوى الجنس ، وأطلق نظريته على الطفل والشيخ والام والبنت وقد سادت هذه النظرية اذ وجدت من يروج لها عنصريا وتجاريا . وظنها بعض الدارسين فى المشرق انها حقيقة ، دون ان يسبروا غور الدوافع الذاتية ، او المصالح التجارية والعنصرية ، التى صحبت هذه النظرية .

وكما تأثر المفكر العربى بنظرية فرويد اخذ يندهش وهو يقرأ الفلسفات المتنوعة او المذاهب الفكرية التى غزت السوح العربية بما ترجم من كتب ومقالات : عن الوجودية ، والاشتراكية ، واللامعقول والبرناسية والواقعية والسريالية والدادية . ولم يفّرق بينها الا المثقف العميق النظر .

وخلط بعض مبتسرى الثقافة بينها وادخلوها فى قضايا النقد الشعر والادب ولو كانت فلسفة خاصة بمعنى آخر .

لاشك بان الفلسفة الاوروبية انجبت كتابا وشعراء ومفكرين ، تبنى كل واحد منهم مذهبا ، او اسلوبا ، او نظرية فنية ، او فلسفية . ولكنهم كانوا يعرفون مايريدون ، ويخططون على ضوء تلك الفلسفة ، ويسيرون بحسب النظرية التى يؤثرونها فى فنهم .

وقد اخذ الدراس العربى يقرأ هذه النظريات والفلسفات ، ورغب فى مجاراتها ، والثورة على مثل المجتمع ، وتقاليد الشعب ، وأطر حياته الاجتماعية .. دون ادراك للجذور فأساء فهم النظرية ، وخرب عندما اراد ان يبنى على قواعدها فكرا جديدا مفيدا نابعا من حاجات المجتمع الطبيعية ، ومثله الحضارية وإرثه العميق وتراثه الاصيل .

ان فكر افلاطون وارسطو ونظريات الفن اليونانى بقيت مؤثرة فى حياة الغرب ، وثقافته وفنه .. وما درى المفكر العربى بان افلاطون هاجم الشعر فى جمهوريته ، ومنع دراسة الالياذة ، وفرض حذف ابيات رآها تؤثر فى الفكر الدينى .. ولم يكن دافع هذا الهجوم الا عقدة النقص التى ولدتها المسابقة الشعرية التى لم يفز فيها بالجائزة الاولى .. وان نظرية ارسطو فى المحاكاه او التقليد نظرية فلسفية آثر فيها العقل على العاطفة .. وان كان له فضل فقد جعل الشعر علما .

فهل استفاد المجددون من الادب الغربى وفلسفته وهل درس هؤلاء الفلسفة اليونانية واثرها فى فكر الغربى وما فى هذه الفلسفة من

وثنية وتعدد آلهة ، لايرضاها العقل الشرقى ، ويرفضها العقل المسلم ؟!

وليت الامر يقف عند فلسفة الغرب ونظرياته ، انما جهل هؤلاء خصائص اللغة العربية ، ومواردها البنائية .. وأثر اختلاف العصور فى تطور الذوق والمضمون الفكرى للادب واللغة ..

واليوم اصبحت اللغة العربية بفضل روادها اكثر تطورا وسلاسة وايحاء بالقياس بالقرنين الماضيين .. فهل درس هذا المجدد المقومات الفنية والايحاء النفسى ، والاثر الواقعى والاسلوب الحديث ؟ واستقرأ منها مسيرة اللغة العربية وقاسها على اصالتها فى العصر الجاهلى والفترة الاسلامية والاموية ..؟ وعرف مادخل فيها من حضارات وإرث فكرى فى العصر العباسى ؟!

الا يرى ان قوة اللغة العربية واضحة فى بقائها اربعة عشر قرنا ؟ بينما اندثرت اللغات اللاتينية واليونانية القديمة ، كما اندثرت قبلها اللغات الآشورية والفنيقية والمصرية القديمة ؟!

يحاول المجدد العربى ان يأخذ بالرمزية الغربية ، دون ان يعرف انها متأثرة بالفسلفة الغربية وان صورها ورموزها نابعة من المحيط الاوروبى ، فالبرناسيون يرون الصور الرمزية عملية فردية تجريدية بحتة ، لان الامور المرئية تدرك مالا تدركه حاسة البصر واللمس والشم والذوق وتؤكد النظرية على ضرورة الايحاء ، ووجود الغموض ، وتسرب الابهام فى الصور الرمزية وهذه الضرورة فرضت

على الادب الرمزى لانه غير قادر على الإفصاح بالوسائل الفنية الأصيلة .

واختلف الابداعيون والواقعيون والسرياليون فى الرمز ، فهل درس دعاة التجديد الاصول الفنية والجذور الفلسفية للادب الغربى ؟ : وعرفوا مذاهبه .. ؟!

ان اكثر من عرف الادب الغربى عرفه بعد ان شابته شوائب الترجمة والنقل الى العربية . وقلة من دعاة التجديد يعرفون اللغة الاجنبية والنادر منهم من يتذوقها ، ويحس بحلاوة اسلوبها ، ويتمتع بموسيقى الفاظها وكلماتها ، اذ ليس كل من يعرف لغة يكون فيها اديبا وناقدا .

لقب شاعر :

ان دراسة الأدب العربى ثم دراسة الأدب الغربى مهمة شاقة ، لا يقدر عليها الشباب المستعجل الذى يركض وراء لفظة شاعر ، وان كتب انتاجه باسلوب نثرى ساذج ، تائه فى الحيرة . ومعنى هذا ان الشعر مازال فى القمة برغم وجود فنون ادبية اخرى اتخذها الادباء وعاء فكريا لهم .

ان كلمة شاعر ما تزال اجمل الألقاب عند العرب ، يعتز بها المبدع ذو الاحساس الأصيل ، فسارع الجيل المعاصر للحصول على هذا اللقب دون ان يكون مؤهلا له فأخفق أكثرهم برغم وجود القابلية

الأصيلة ، والنظرة السليمة عند بعضهم .

وتسابق هؤلاء الى دعوة التجديد وهم لا يملكون الادوات الفنية الأولى ، ولا القاعدة الفكرية للنهوض بالشعر الجيد ، لان التجديد لابد ان تكون له قواعد فنية قوية .

اللفظ والمعنى :

تاه الشعراء بين اللفظ والمعنى ، وما عرفوا بأن الالفاظ اوعية ، وأُطر تحمل المعنى وتوصل الى القصد ، الذى يريده الشاعر والمفكر فى النص الأدبى .

وقد قدم العرب المعنى على اللفظ وبعضهم قدم اللفظ على المعنى لهذا رأى الجاحظ صعوبة ترجمة الشعر الى لغة أخرى ، لانه يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا . وبالترجمة تضيع الموسيقى والايحاء اللفظى قال :

(الشعر لا يستطاع ان يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حول تنطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسه وسقط موضع التعجب) .

فالمعنى يمكن ان يترجم . وفى (البيان والتبين) و (الحيوان) نجد مصداق هذا الرأى ، من ايثار الجاحظ للمعنى أحيانا . والاختلاف يدل على وجود رأيين عند النقاد ، وقد ساوى ابن قتيبة بينهما عندما تحدث فى الشعر والشعراء عن الابيات المشهورة .

ولما قضينـا من منـــى كل حاجة ومسـح بالاركان من هو ماسح
وشدت على هدب المهـارى رحالنا ولا ينظر الغـادي الـذى هو رائح
اخذنـا باطـراف الاحاديــث بيننا وسالـت باعنـاق المطـى الأباطح

والحق أنها أبيات ترقص وتمتع وتسعد كل من له ذوق سليم ، بما فيها من جمال المعنى ، وسمو القصد ،وهل تظهر المعانـى السامية بدون اللفظ الجميل ؟ كما قال ابن طباطبا (ان للكلام جسدا وروحا فجسده النطق وروحه معناه)

وأكثر النقاد العرب يساوون بين المعنى واللفظ بصـوره عامـة وواضح ذلك فى الصناعتين ، وعيار الشعر ، والخصائص ، والعمدة ، والشعر والشعراء ، وكتب الجاحظ ، وان اختلفوا فى الفروع فقد اتفقوا فى الاصول .

المهم ان دعاة التجديد لم يقرأوا هذه الآراء ، ولم يستفيدوا منها وهاجموا النقاد العرب ، عن جهل فاضح ، فقال الجرجانى فى دلائل الاعجاز (ان الالفاظ اذا كانت اوعية للمعانى لا محالة تتبع المعانى فى مواقعها) .

وجاء نقاد الغرب فما خرجوا عما قاله النقاد العرب ، ولكن بفكر غربى ، واسلـوب اوروبـى ، سواء فى فلسفـة الجمال أم الفلسفـة المثالية ، عند (كانت) أو (هيكل) أو (كروجه) .

كل هذا دار بذهنى وأنا أعد المحاضرة التى أصبحت كتابـا

كبيرا وكان الفضل للصديق الأديب الباحث عبد الفتاح ابى مدين والحاحه المحبوب .

وقد سوفت لانى أحسست من تجربة سابقة بأن بعض دعاة التجديد لا يفهمون القصد من وراء النقد ، وظنوه نقداً ذاتيا لأشخاصهم ، ونسى هؤلاء ان النقد تقدير واعتراف بشعرهم ، ان الجهل والسرعة فى النقد ، تجر الى مثل تلك الثرثرة ، وبذلك حالوا دون نشر الرأى المعارض ، بكل قوة ، جزعا وخوفا ، وبدلوا المقالات التى كانت تناصر آرائى ، وحذفوا منها فظهر انهم جيل ضعيف ، خائف ، هش الشخصية الفنية .

هذه الدراسة تناقش الآراء العامة والخطوط العريضة للتيار الحديث وتأخذ امثلة عامة من الشعراء ، لصعوبة الوقوف عند كل شاعر ، لأن القوانيين والقواعد تأخذ من الرواد الأوائل ومن يقاربهم فى الريادة والفكرة ، ولا تدرس شعراء مازالوا فى طريق النضج والكمال .

ولا أتوقع من كل القراء الاتفاق معى فى الرأى كله ، لان الذوق الأدبى ، والاحساس الفنى والفكر الحضارى ، عند القراء يختلف باختلاف الثقافة .

لم أكتب هذه الدراسة الا بعد تجربة طويلة فى ميدان الأدب ، وممارسة جادة فى فنونه ، واصقاعه ومنابعه فى الشرق والغرب . بعد أن اتيحت لى فرصة الاتصال بالعالم ، والاحتكاك بمفكريه ، وشعرائه ،

ورواده على اختلاف الآراء وتضارب الأفكار ، سواء أكانت فى الدول الرأسمالية ، ام الدول الاشتراكية ، أو انصاف هذه الدول ودعاة افكارها .

شكر وتقدير :

وختاما لابد لى من أن أشكر اخوة العلم والأدب والنقد ، الذين مدوا لى يد العون فى مراحل كتابة هذه الدراسة . وكان لعونهم الكريم جميل الأثر فى اتمامها .

فقد قدم صديق الدراسة والشباب الدكتور عبد العزيز الخويطر ، مكتبته العامرة لتسهيل مهمتى العلمية ، وضرب مثلاً عاليا للباحث الدارس ، والأديب الواسع الاطلاع ، فقد اعد لى من المصادر والمراجع ما لم أجده الا فى خزانته ، وكنت أختار منها ما أريد لكثرة ما يحضر من كتب مفيدة .

وفى التاريخ كان الدكتور عبد الله الوهيبى ، مثلا كريما فى ، خدمة العلم فقد أعد لى من كتبه ما لم أفكر فيه .

وللدكتور عزة عبد المجيد خطاب فضل احضار بعض كتب نادرة ، فله ولمركز البحوث شكرى وتقديرى .

ولا يفوتنى ان أشكر الزملاء الذين زودونى كتبا متنوعة ، ومنهم الدكتور احمد الضبيب والدكتور نذير العظمة ، والدكتور محمد

الهدلق ، والدكتور حسن الشماع ، والدكتور محمد ابا حسين والدكتور رضا حواري ولا أنسى أن أشكر الزميل الدكتور وارن ستون (DR. W. STone) الذى طبع لى جميع النصوص الانكليزية بالآلة الكاتبة ، واخرجها من مصادرها وسهل لى البحث والنقل .

وشكرى للسيد عارف البخارى الذى اعاننى على احضار الكتب التى احتاج اليها من مكتبة جامعة الملك سعود عند قراءة مسودات هذا الكتاب .

وختاما شكرى للسادة الأدباء الذين اسعدونى بحضور المحاضرة فى جدة والاستماع ، وشكرى لأعضاء (النادى الأدبى) فى (جدة) والصديق الأديب الفاضل عبد الفتاح أبى مدين وصبره على سنتين ، دون ملل أو ضجر حتى خرج هذا الكتاب .

وآخر من قرأ هذا الكتاب صديق الطفولة الالمعى الاستاذ عبدالمجيد القيسي كان صائب الملاحظات والآراء .

ارجو من الله السداد واتمنى ان يستفيد طلاب العلم من هذا القول ، ويتقبله دعاة التجديد بعمق وصبر وحسن قبول . وألا يغضب الاصدقاء من قولة الحق .

يوسف عز الدين

كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود

الرياض

الفصل الأول

التجديد فى الشعر الحديث

التجديد في الشعر الحديث

مقدمة :

ثلاث كلمات مألوفة مأنوسة هى (التطور والشعر والحديث) ومع هذه الألفة والوضوح فقد اختلف المؤرخون والنقاد فى معانيها وتسربت فى مضامينها ومعانيها عدة مسميات وكلمات .

دخلت فى مضمون التجديد ، القديم والتقليد والحداثة والتطور والمحافظة والجمود والحركة ، والرجعية والتقدمية ، والتراث والأصالة والابداع .. والصنعة .

لان كل ناقد أو مؤرخ يتحدث بحسب ثقافته الفكرية ، وقابليته الفنية ، ومقدار استيعابه للاحداث المعاصرة وتاريخ الحركة الفكرية والاجتماعية . وفهمة للحركات النقدية .

وفى الاختلاف خير كثير لان تصارع الأفكار فى مرحلة الانتقال المعاصرة ضرورة حضارية ، وظاهرة طبيعية لوضع قوانين جديدة فى النقد والفكر والفن ، ليسير فى هديها الجيل الجديد ، حتى يستّد ويشتد .

ان التطور والتجديد ظاهرة واحدة ، تمثل حركة الحياة ونبض قلبها ، وتدفق النشاط واستمراره فى الأدب ، وهو عنصر أساس لكل

زمن متحرك .. لأن السكون موت والجمود فناء .

وما لا جدال فيه بان التجديد سوف يستمر ، والتطور لابد ان ينمو مادام الانسان يجدد ، ويبدع فى ميدان الفن ، ويستلهم من الطبيعة الصور الحية ، ويتأثر بخلجات الانسانية واحاسيس البشرية .

وليست ظاهرة التجديد وقفا على الفن ، انها ظاهرة الحياة العامة كلها ، وضرورة حتمية لكل العلوم ولا تختص بأمة ولا تقف عند شعب من الشعوب .

وليس التجديد نبذ كل التراث ، والابتعاد عن القديم كله ، أو سحق الارث الكبير ... انما اختيار الجيد الأصيل من التراث بعناية ودقة ، ليلائم روح العصر ، ويطور حاجة الحياة المعاصرة والحضارة الجديدة .

ان فهم التجديد ، وطبيعة التطور ، ضرورة لمن يريد أن يستفيد منه فيجب أن يكون التجديد قائما على أسس فنية ، واسلوب علمى منسق ، ومعرفة عميقة بطبيعة الانتاج الفنى ، ومقدار استجابته للحياة الاجتماعية ، ودرجة التماسك اللغوى واصالته الفكرية .

وأن تكون قاعدة التجديد قائمة على أسس من الجمال الفنى ، والابداع المتطور ، والذوق العالى . حتى يثري التطور ، ويفيده ، وينقل المجتمع وفكره الى درجة أفضل من حياته التى يعيشها ويعيش فيها .

ولابد أن يكون التجديد بمنظور واقعى ، يستمد نشاطه من الحياة المعاصرة والاتجاهات الفنية ، والقابلية الذوقية التى تلائم الحياة المعاصرة ، ليكون اثر التجديد واضحاً ، ومميزاته الذوقية متطورة فيسمو الفكر ، وترتفع أساليب اللغة .

لأن كل فكر أو تيار أو فلسفة لابد أن تقوم على قاعدتين أساسيتين لاتتغيران مهما طال الزمن وتغيرت الظروف ، وهما :

التراث القديم أو ارث البشرية الحضاري ، والثانية الحاضر المعاصر أو الحداثة المتطورة .. ومايلائمهما من حركة مثمرة وتجديد فعال . ويقينى أن التراث والمعاصرة هما المؤثران الخالدان فى فكر الإنسان وحضارته مهما طال العمر وتغيرت الأزمان والإنسان خالد ، ما أراد الله ، بعاداته وتقاليده وشكله الخارجى وعواطفه ومشاعره الداخلية وقلما تؤثر فيه الحضارة وتطورها فى القضاء على الغرائز الفطرية ولن تقدر على النيل من موروثه (البيولوجى) .

انه انتج خيرة الأعمال الفنية واقسى آلات الدمار . وسيبقى أثر الخلود والفناء والفن والتقليد ، باختلاف الثقافات وتباين العوامل النفسية للبشرية مادامت الحياة على الارض .

لأن الانتاج الإنسانى المبدع هو العنصر الذى يديم الحضارة ويطور الفن ويزود البشرية المتعة سواء أكان مسرحية أم قطعة موسيقية تهز المشاعر النفسية وتسعد أصحاب الذوق وتمتعهم بسموها ورهافة جرسها .

وسيبقى الارث الحضارى المبدع على اختلاف المنتجين ، وتباين الحضارات ، ملكا لكل البشر ، فبالرغم من التطور الحضارى فى التقنية وعلمى الاجتماع والاقتصاد ، فقد فاز الارث الفنى المبدع بالاعجاب والتقدير ، من أصحاب الذوق المرهف ، والحس الفنى الصادق ، برغم قدمه لأنه أصيل حى ، فماتزال حتى اليوم آثار العرب وحضارتهم الاسلامية منبعاً ثرا فى الأدب ، والعمارة ، والبناء ، تقلدها الحضارة الغربية ، وتستفيد منها بصمت وهدوء .

١ ـ معنى التجديد

هل يخضع التجديد فى الشعر لقواعد التطور العامة ؟ وهل كل تغيير تجديد مفيد ؟! لاشك بأن التجديد يجب أن يصاحبه تغيير فى الأسلوب والصناعة ، للوصول الى الابداع الفنى الأصيل وان يكون الجديد خيراً من القديم ، وأفضل منه ، ولايكون التجديد أصيلاً ، إلا إذا كان بعيداً عن التعقيد اللفظى والغموض الفكرى والفنى ، ويسير فى تيار الانسانية فى المجالات المتعددة ، ليبرز الخصائص البشرية العميقة ، ويعرِّف بمحتوى الكون الواسع ، ومافيه من رفَّات الجمال ، وهمسات الابداع ، ونوازع الحب ، ومكامن الخير والشر .

وقد تطورت حياتنا المعاصرة ، فيجب أن يلائم الشعر العربى الواقع المعاصر ، ليسعد ويفيد ، ويطرب ويمتع . بموسيقاه ومعانيه الجديدتين .

وأن يكون ملائماً للذوق الأصيل ، والعبارة الموسيقية الرشيقة .. مستمداً من الشخصية العربية والتراث الاسلامى انطلاقة حياته الفنية المتطورة . مستفيداً من حركات العالم الحضارية الحديثة ، دون الانبهار بها والضياع والحيرة فى خضمها .

ان التخلص من شوائب الأدب القديم ، والخروج بالاصالة الى العالم الخارجى ، حياة الفن وعنوان بقائه ، والاستفادة من الماضى والحاضر ، جزء من الديمومة الفنية له .

ولاشك بأن شعرنا العربى مرّ بفترة ركود وهدوء ، ولكنه لم يمت أو يندثر ، مثل الآداب الأخرى ، وقد عنى فى هذا الدور بالمحسنات اللفظية والبديع المتكلف ، وكان محدود الخيال يصّور مجتمعه بعبارة ساذجة همها الجناس والطباق والتورية ورد الصدر إلى العجز دون الاهتمام بالمعنى .

٢ ـ التجديد وتحدى الغرب

ولما احتك العرب بالتيار الغربى وبحضارته ، وتحدى العرب بقوته ، بدأت المفاهيم القديمة تتغير ، لأن الحضارة الجديدة هددت الشخصية العربية والكيان الاسلامى ، فسرت روح جديدة فى الأدب العربى ورواء حديث فى الفكر لمجاراة هذا التيار والتغلب عليه .

فعكف الرواد على إحياء التراث العربى والفكر الاسلامى ، تحقيقاً ونشراً ، لاعادة الثقة بالنفس والقوة للأدب . بينما الغرب اعتمد فى تطور فكره وأدبه على تراث اليونان والرومان .. وشتان بين أدب يستمد جذوره من أصالته وأدب يعتمد على الفكر الأجنبى .

جاء البارودى وقلد الشعر القديم ، وأدخله فى تجاربه الشخصية ، حتى استقل بالتجربة الذاتية ، مستفيداً من التراث الأصيل فى (المختارات) ، ومتأثراً بالحياة المعاصرة ، وأصبح إنساناً جديداً ، وانطلق شاعراً متطوراً ، وصف العالم الخارجى وعبّر عن مجتمعه ، وبعث الشعر فى معان جميلة ، وجزالة محببة ، وصوّر حياة الشعب ومعاركه ، وثورته على الظلم والطغيان اللذين سادا المجتمع .

وقال بصراحة بعد أن نُفى إلى سرنديب ان الانجليز الأجانب هم أساس البلاء لأنهم قضوا على ثورة عرابى واحتلوا مصر بعدها :

يا أيها الظالم فى ملكه أغرك الملك الذى ينفد ؟!
اصنع بنا ماشئت من قسوة فالله عدل والتلاقى غد

وكان واضح الصوت فى محاربة الأجنبى ، الذى دخل البلاد ، وتخلص من فردية محدودة إلى وطنية شاملة ، لأن واجبه شاعراً يدفعه إلى تنبيه أبناء الوطن فقال :

تكلمت كالماضين قبلى بماجرت به عادة الإنسان أن يتكلما
فلا يعتمدنى بالاساءة غافل فلابد لابن الأيك أن يترنما

ان الاتجاه النفسى الصادق فى مهاجمة الأجنبى ، كانت من مظاهر التجديد التى فرضتها عليه ظروف بلاده ونفيه بعد أن أسهم فى محاربة الأجانب ، وطالب بصراحة تامة مساواة أبناء مصر بالأجانب الحاكمين .

كان البارودى فى صدقه العاطفى ، ووضوح التجربة الذاتية ، أول من صور حياتنا وتأثر بما كان يدور فى العالم الخارجى ، لأن الأحداث جرته إلى الاهتمام بالمعنى ، والعناية التامة بالحدث ، وكانت عنايته بالمعنى وترك الالفاظ أول قاعدة ضخمة فى التطور الشعرى الحديث .

ولكن الشاعر لم يترك جزالة الشعر القديم وأصالة الأدب فى مضمونه ومعانيه ، ولم يكتف بالعناية بالمعنى ، انما جدد فى شكل الشعر وخرج على العروض بقصيدة لا عهد لعلماء العروض بها ومن هذه القصيدة :

ليس من أسى مثل من جرح
ايـن من رأى فاسداً صلح !
كل من وشى سوف يفتضح
فاترك الأذى فالأذى ترح
واسع للعلا من سعى نجح

وقد أثر البارودى فى جميع الشعراء الذين جاءوا من بعد فى أبراز التجربة الفردية فى شعرهم ، ولا أشك بأن اسماعيل صبرى وهو أستاذ شوقى وحافظ ـ تأثر بأسلوب البارودى ، وسرت هذه الروح فى شعر الشعراء فى الوطن العربى . لأن الحياة الحديثة التى اختلطت فيها مُثل الغرب ، مع مُثل الشرق ، طورت الـمُـثل الأدبية ، فكان رد تحدي الغرب للأدب العربى تجديده وتطوره .

وكثرت الأحداث السياسية فى الوطن العربى ، وتعاورته والشرق كله ، المحن والأمراض ، والجهل ، والفقر وسيطرة الأجنبى ، وظلم الاستعمار . فكان رد الفعل عميقاً ، فى نفوس شعراء هذا العصر .

وقد احتك شوقى بالغرب عن قرب ، وحاول جاهداً مجاراته ، متأثراً بالروح الابداعية (الرومانتيكية) ، التى كانت منتشرة فى فرنسا تحمل فى طياتها التجديد ، ونبذ قديم الاتباعية (الكلاسيكية) وعمق هذه الروح صلاته الخاصة بهذا التيار ولاسيما صداقته العميقة لشاعر الابداعية بول فاليرى .

وأخذ يتخلص من أسلوبه القديم ويخطو بحذر شديد ، نحو التجديد . فقد خطط للتطور بالمقدمة التى كتبها للشوقيات (سنة ١٨٩٨ م) وذكر فيها أنه لن يُدخل الشعر مضيق اللفظ والصناعة ، لأنه يكره ظلمات الكلفة ، والتعقيد ، والوقوف عند القديم .

أراد شوقى أن يخرج من القديم المظلم الى نور الابانة والسهولة ، وأن يكون الشعر واقعياً يمثل الحياة . فامتدح الشعراء الذين ابتعدوا

عن ذل السؤال ومدح الرؤساء مثل ابن الاحنف فى رسائله الوجدانية والبهاء زهير الذى عتب واشتكى وعانى من الحب وأوجاعه . وامتدح ابن خفاجة فى وصف الطبيعة وجمالها وحلاوتها وحلاها وآثر الوصف على النفس والشعر .

وقد أحس شوقى بأن موهبته الشعرية هبة ـ من الله تعالى ـ يجب أن تخدم الإنسانية وتشاطر البشرية أحزانها وهمومها . وظهر التجديد فى أسلوب معالجته الفنية عندما نظم قصص الأطفال مقلداً (لافونتين) الفرنسى : وقد حدد أصولاً وقواعد فنية يسير فى ضوئها الشاعر المجيد هى :

١ ـ أن يكون الشاعر أصيلاً وله سليقة مواتية

٢ ـ أن يتعهد الرواد أصحاب القريحة الشعرية صغارَ الشعراء .

٣ ـ أن يكون الشاعر متسع المعارف الثقافية والأدبية

٤ ـ العناية بالشعر عناية كبيرة ، والتفرغ له ، لكى يتقن الشاعر شعره ، ويأخذ قصب السبق فى الحلبة الأدبية[١] .

وقد حاول شوقى أن ينهج طريقاً فريداً ، فى التجديد ، لكن الارث القوى ، وارتباطه العميق بالتراث حالا دون الانفلات الكامل من القديم .

---

(١) مقدمة الشوقيات المطبوعة سنة ١٨٩٨ م والغريب أن المقدمة حذفت بعد ذلك !! ولم تطبع مرة ثانية مع انها تصور حياة الشاعر وفكره

فقد نظم على وزن جديد قصيدة عدّها المؤرخون من الأوزان المخترعة هى :

مال واحتجب وادعى الغضب

التى قلد فيها الشاعر محمود سامى البارودى ، ثم جاء بقصيدة أخرى مطلعها :

طال عليها القدم فهى وجود عدم

قال الدكتور بدوى طبانة والدكتور إبراهيم أنيس ، انها من الأوزان المخترعة ، فقد التزم شوقى فيها (مستعلن فاعلن) ثم انه نظم فى المقتضب ، الوزن الذى لم يوافق عليه الأخفش ، مقلداً أبا نواس فى قصيدته :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب[1]

ونظم أبياتا فى مجنون ليلى وكليوباترة ، خرج فى أوزانها على العروض ، منها الأغنية التى رددها الجيل الماضى :

---

(١) سخر احد الشعراء من هذا الوزن فقال :

انشال وانخبط وادعى العبط

ليت ها جرى يُبلع الزلط

هلا هلا هيا نطــوي الفــلا طيا
وقربــى الحيا للنــازح الصب

فالشطر الأول من المجتث والشطر الثانـى من تفـاعيل الرجـز ومنها :

يا نجـد خذ بالزمام ورحـــــب
سر فى ركاب الغمام (ليثـــــرب)

فبحر المجتث فيه (فاعلاتن) قد صارت (فاعلات) ، ولو تتبعنا ما جدده شوقى لوجدناه يأتى بوزن جديد فى كليو باطرة :

بل حارس جاف من حرس القصر
معربــد الخطو من نشــوة النصر

وقد احصى الزميل الدكتور بدوى طبانة مثل هذا التجديد فى كتابه (التيارات المعاصرة) ، والغريب ان داعية التجديد العقاد حمل على شوقى بشدة لأنه غير القوافى والأوزان فى قمبيز ، وعد تجديده من الخلل والاسفاف ، لأن كل بيت من بحر وتختلف القافية فى كل منها .

تاســوا : أحــوم حول صنمى وحــول هذا القدم
نفريت : حول رجلى أنا ؟

تأسو : أجل حول هذا الشهد ، والزبد ، والنمير الصافى

ما بك يا نفريت ؟ ما هذا الأسى ؟ ما بال عينيك تريدان البكا ؟

وهاجمه لأنه نظم فى بحرين وجاء بقافيتين عندما قال :

قمن الى اللهو يا عذارى وخذن صنجا وخذن دفا
واهتفن بالشعر ، والأغانى واقطعن ليل الشباب ، قصفا
وانشدن مع القوم نشيد الملك العانى[1]

فهل كانت نقدات العقاد موفقة وناجحة ؟ إنه فى نقده مثّل الفكرة العامة التى كانت تسيطر على النقد . التى لم ترضَ بالخروج على الوزن والقافية ، ومن قادة التجديد ، فأين هم اليوم ليروا العبث الذى ساد الشعر ، والفوضى التى عمت الموسيقى الفنية ، فى العمل الفنى ؟!

وقد اثر النقد العنيف الذى صّبه العقاد والمازنى فى ابداع شوقى وتجديده ، وحدّ من التطور الذى اعلنه فى مقدمة ديوانه ، ومع هذا فقد ظهرت روح التجديد فى الاطار الشعرى فى المسرحيات ، عندما

(١) رواية قميز فى الميزان ـ للعقاد ـ ص ١٠ عن الدكتور بدوى احمد طبانة (التيارات المعاصرة ص ٣٠٧ ـ ٣١٤ فى النقد الأدبى ـ الطبعة الثانية ١٩٧٠القاهرة) والدكتور ابراهيم انيس (موسيقى الشعر) ٢٠٤ ـ ٢٠٨ .

أدخل بعض الأوزان الجديدة التى لم ينظم فيها الشعراء من قبل . ان العقاد كان أول من جنى على تجديد شوقى حسدا .[1]

ان سبب هجوم العقاد والمازنى بعد صيت شوقى الـذى اخمـل ذكرهما ، وسيطرت سمعته على الجو الأدبى فى جميع الدنيا العربية ، فكانت قصائد شوقى تقرأ فى كل البلاد العربية ولم نعرف مثل هذه السمعة الشعرية للعقاد الذى تحول الى كاتب وناقد وأصبح ـ بعد أن اخفق ـ كاتبا ، وتحول المازنى الى أديب ساخر وكاتب مقالات وعرف ناقدا ليعوض عما فاته فى دنيا الشعر الصعبة المرتقى .

٣ ـ غربة مطران وتجديده

وقد اختلف الشاعر مطران كثيرا عن الشعراء فى تجديده ، وتطوره

---

(١) بقى عباس محمود العقاد حاقدا على احمد شوقى حتى مماته فقد كتب لى الأديب المعروف وديع فلسطين : سألت العقاد فى اخريات حياته : أألنت مقيم على رأيك الذى اوردتـه فى « الديوان » من ان شوقيا بلا شاعرية ؟ الا تعتقد بعد انقضاء هذه السنين الطوال ان هذا الشاعر كان مبدعا ولو فى بعض شعره ؟ فكان جوابه القاطع : أنا لا أفصل الشاعـر عن شعره . وقد كان شوقى رجلا بلا اخلاق ، اهاجمه فى العلن ، فيستأجر فى الخفاء من يهاجمنى فى الصحف الصفراء ولهذا لم ارحمه ولن ارحمه فهو شاعر ردىء ولا بد ان يكون شعره بالتالى رديئا ..)

وفى الديوان كتب العقاد (ان شوقى يقول لخلطائه وسماسرته : هبونى لست بالشاعر ، أليس لى فخر آخر ادل به ؟ نقول أجل ، ولكنه على كل حال ليس بفخر الفحول ...!!) ص ١١٥) .

الشعرى ، لأن الأساس الذهنى الذى قام عليه التطور أجنبى الجذور ، فقد دعا الى التجديد فى مقدمة ديوانه ، لكنه لم يطبق هذه الآراء كلها خوفا من نقدات المحافظين القاسية ، ولأنه كان يحس بالغربة فى مصر وهذا الاحساس الداخلى أفقده الشجاعة الأدبية وحدّ كثيرا من مظاهر التجديد فى شعره . لأنه احس بأن الغريب ، حتى فى وطنه العربى ، سهل المنال ، تُغرى غربته التافهين ، وأصحاب الفكر الأقليمى الضيق على النيل منه .

ولم يكن يقدر الشاعر على مجاراة شوقى وحافظ اللذين كانا يسيطران على ساحة الأدب والأحداث الاجتماعية فى مصر .

لا شك بأن (مطران) أكثر الشعراء تأثرا بالمدرسة الفرنسية الابداعية (الرومانتيكية) ، ودفعه عدم مطاوعة اسلوبه القديم على التعبير الرقيق الى نقد الشعر القديم، وتمسكه بفكرة الوحدة العضوية ، لأنه وجد صعوبة فى مجاراة الأسلوب العربى الجزل ، الذى أسعف البارودى وأعان (شوقى) و (حافظ) . وقد ساعدته أحداث السياسة والمجتمع فى الشرق ومصر بصورة خاصة على التخلص مما كان يعانيه . لكنه بقى فى قرارة نفسه غير راضٍ عما حظى به برغم حفاوة مصر به وتسميته (بشاعر القطرين) ، وموقف طه حسين الايجابى له ومساندة جماعة (أبوللو) له . فقال :

ماذا يريد الشعر منى   اضنى عليه علوسنى

هل كان ما ذهبت به الـ أيام من أدبي وفني
أحسنت ظني والليا لي لم توافق حسن ظني

ومن مظاهر تجديده الاستفادة الواضحة من احداث الدولة العثمانية وحركات مصر فكان موقفه واضحا من تقديره للحرية والاحرار والدستور ، ونظمه القصة الشعرية وترجمة بعض الانتاج الغربي .

٤ ـ شعراء آخرون

وقد كان هذا الجيل يجدد دون ان يفقد شخصيته العربية وفكره الأصيل ، فهو يجدد من موقع القوة التي استمدها من التراث العربي والفكر الاسلامي ويأخذ من الجديد ما يوافق الذوق العربي والأصالة الموسيقية ، ومن هؤلاء الشعراء معروف الرصافي ، وجميل صدقي الزهاوي ، وعبد الرحمن شكري ، وعلي محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل ، وغيرهم من ابناء الوطن العربي الكبير .

وقد حاول العقاد جاهدا أن يكون شاعرا مجددا ، عندما هاجم (شوقي) ثم عبد الرحمن شكري الذي يعدّ في طليعة المجددين ، ناسيا هو والمازني الفكرة التي تجمعهما والود الذي يلفهم عندما نظم عبد الرحمن شكري قصيدة من الشعر المرسل . مع ان المازني والعقاد كانا ينهجان اسلوب الشعر الانكليزي تأثرا بالناقد الانكليزي هازلت

Hazlitt وبكتاب معروف فيه مختارات من الأدب الانكليزى Golden Treasury (الذخيرة الذهبية).

ولعل للمازنى فضلا كبيرا على العقاد الذى كان يجهل الانكليزية فى ايصال معانى النقد اليه .. ودفعه للتجديد والتطور .

فالتطور أو التجديد بدأ عند شعراء لهم اصالة فكرية وشخصية ادبية قوية ، استفادوا من الجديد دون أن تضيع الاتجاهات الأصلية فى شعرهم انبهارا بالغرب وجديده .

فقد جددوا أولا فى المضمون الشعرى ، عندما خرج البارودى على الأسلوب القديم وعنى بالمعانى ، ونظم البدايات الأولى فى الاطار ، تبعه اسماعيل صبرى ، وتجلى هذا التجديد فى شعر من جاءوا بعدهما متأثرين بهما . كأحمد شوقى وحافظ فى مصر .

الشعر عند العرب

وبرغم وضوح المعنى المراد من الشعر ، وبعد مرور أكثر من اربعة عشر قرنا على ظهور الشعر العربى ، فما زال النقاد المعاصرون يختلفون فى معنى الشعر ، كما اختلف النقاد العرب من قبل ، وزاد فى الاختلاف اليوم دخول اهداف للشعر ، وغايات للشاعر والمجتمع لم تكن موجودة فى عصور قديمة .

هل ان هدف الشعر ، الشعر نفسه ؟

أى أن الفن للفن ..

أو أن الشعر ينظم للمتعة النفسية واللذة الفكرية ؟ أم انه تصريف لرغبات مكبوتة ، وعواطف محبوسة فى قرارة النفس ؟ تظهر فى المعانى والألفاظ والموسيقى فى قصيدة الشاعر ؟!

ويتساءل بعض المفكرين ما فائدة نقل المشاعر المحبوسة ، والأحاسيس المكبوتة للقارىء والسامع ؟.

والجواب مختلف كل الاختلاف حسب القاعدة الفكرية للناقد ، والباحث ، فمن أراد للشعر هدفا مميزا لن يرى فى الشعر الفنى فائدة مرجاة من نظمه ، ومن أراده فناً ومتعة روحية لا يرى فى الشعر الملتزم فائدة ، ويرى أن هذا الشعر الملتزم يموت مع الحدث ، ومن قراءة النقد القديم وجدنا اختلافا واضحا بين هذه الآراء ، وان تباينت نظرتنا لهذه الأفكار .

فإبن رشيق حدّد الشعر باللفظ والوزن والقافية والمعنى[1] ولكن ابن خلدون لم يوافقه قول ابن رشيق ، انما رأى ضرورة ان يكون الشعر ضربا من الكلام البليغ الذى تزينه الاستعارة والوصف الجميل ، وأن يكون الشعر مفصلا بأجزاء متفقة فى الوزن والروى والا يبتعد عن اساليب العرب[2] .

(١) العمدة ١١٩/١ قال : الشعر يقوم على اربعة اشياء وهى اللفظ والوزن والمعنى والقافية ، فهذا هو حدّ الشعر) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مكتبة لبنان ١٩٧٢ .

(٢) المقدمة ص ٥٧٣ .

والشريف الجرجانى عدّ الشعر علما من العلوم فقال :

(الشعر لغة العلم ، وفى الاصطلاح ، كلام مقفى موزون .. وفى اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من المخيلات ، والغرض منه انفعال بالترغيب ، أو التنفير)[1]

وقال الآمدى :

(وليس الشعر عند أهل العلم به ، إلاّ حسن التأتى وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع الالفاظ فى مواضعها وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه ، المستعمل فى مثله وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه .. فان الكلام لايكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف)[2] .

والحق ان الشاعر فى كل الأمم يكون مرهف الحاسة الفنية ، فهو يستفيد من الحدث ويعرف نتائجه فمن الضرورى ان يعبر تعبيرا جيدا حسب الفكر الفنى فى قومه ، فاذا افترض العربى وقوع أمر فلا بد له من ابرازه ، وفى دقة نظره ورهافة حسه ما يميز به الالفاظ والمعانى ، فهو يختار كلمة أو عبارة لا يختارها شاعر فى أمة اخرى ، لأن اختيارها موحى به من احداث أمته ومشكلاتها .

وهذا الاختلاف فى الهدف الفنى ، والقصد الفكرى ، والتركيب

---

(١) التعريفات ١٣٢ ، مكتبة لبنان ١٩٦٩ نسخة مصورة عن نسخ اجنبية تحقيق فلوجل .

(٢) الموازنة ص ٣٨٠ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ١٩٤٤ (لم يذكر محل الطبع) .

الشعرى ، هو الذى جاء بالاختلاف بين الأهداف والغايات والآراء التى تتطلب من الشاعر . وجرّ هذا الاختلاف الى ضرورة وجود تعريف للشعر وما يراد منه وما معناه . حتى ظهر كتاب عنوانه (الشعر كيف نفهمه)[١] . ومما جاء فيه : ان الشعر (اداء فنى بالالفاظ) . ومن الضرورة ان يكون فى الشعر مؤثران : هما المؤثر الفنى والمؤثر النفسى ، وقالت اميلى دكنسون عن قراءة الشعر (اذا بدأت أقرأ وشعرت أن قمة رأسى قد انتزعت فاننى حينئذ ادرك أن ما أقرأه شعر ؟) .

وبذلك فان (الشعر فن وليس رسالة اجتماعية ولكننا يمكننا ان نفصله عن المعنى فهو يبدأ بمعطيات خارجية ويصقلها فى الداخل ويخلقها خلقا جديدا)[٢] .

وقال الجاحظ :

(والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوى والقروى والمدنى وانما الشأن فى اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفى صحة الطبع وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير)[٣] .

---

(١) تأليف اليزابث درو وترجمة الذكتور محمد ابراهيم الشوش والقول لروبرت فروست .

(٢) المصدر السابق ـ ص ١٠٤ و ١٠٥ . وطبع الكتاب فى بيروت ١٩٦١ .

(٣) الحيوان ص ١٣١ و١٣٢ . للجاحظ .

وقد اعطانا الجرجاني رأيه ، متأثرا بالحضارات التي مرت بالفكر الاسلامي ، ودخلت فيه ، وصور لنا الفكر الأدبي الذي كان يسود في عصره ، عندما وضع قواعد الشعر ، وحدد مفاهيمه ، وعده علما من العلوم ، يجب أن يسير فيه الدارس حسب اسلوب علمي مدروس فقال :

(ان الشعر علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع ، والرواية ، والذكاء ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من اسبابه . فمن اجتمعت له هذه الخصال ، فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منه تكون مرتبته من الاحسان ، ولست افصل في هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلي والمخضرم ، والاعرابي والمولد) ، وقال :

(وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه احوالهم فيرق شعر احدهم ، ويصلب شعر الآخر ويسهل لفظ احدهم ، ويتوعر منطق غيره)[1] .

وبذلك فالجرجاني وضع القواعد ، الفنية واللغوية ، والقابلية الفردية ، اضافة الى العوامل النفسية ، وتظهر القواعد والعوامل المؤثرة في طبع الشاعر وذكائه ومقدار مرانه وتدريبه على نظم الشعر ، واشترط وجود جميع المؤثرات والعوامل ليكون الشاعر مبدعا مبرزا ، ولم يكتف

---

(١) الوساطة ص ١٥ و١٧ للقاضي الجرجاني تحقيق ابو الفضل ابراهيم والبجاوي طبعة البابي الحلبي ١٩٦٦ م .

بقولة قدامه بن جعفر بأنه القول الموزون المقفى الدال على معنى[1].

أراد الناقد أن يقول بوضوح : ان الشعر فن من الفنون ، يجب ان يعانى فيه الشاعر معاناة روحية ، ويبذل فيه وقتا ، ليكون شاعرا مبدعا يفهم اسراره وفصاحته ، وأساليبه ، ولن يكون مع كل هذا الجهد شاعرا الاصاحب القريحة الصافية والطبع السليم وان يكون بصيرا بالعبارة قوة وضعفا ، حتى يأتى شعره عفو الخاطر ، ليس فيه تكلف فى اللفظ ونبو فى الاسلوب لكى ترتاح اليه النفس ويقبله القلب . وقد يكون الشيء متقنا محكما ولا يكون حلوا مقبولا ويكون جيدا وثيقا ، وان لم يكن لطيفا رشيقا[2].

فالعربى ركز على سهولة العبارة ، وابتعد عن التعقيد اللفظى فى اللغة ، والابتعاد عن الألفاظ المهجورة ، كيلا يفسد ماء الشعر ، لأن اللفظ الجميل والمعنى البديع من مقومات الشعر الممتاز ، ولا يمكن ان يستغنى الشاعر الجيد عن اللفظ والمعنى ، وهذا ما دعا قدامة بن جعفر الى التأكيد على سهولة اللفظ ، والمعنى الشريف الذي يتسم بالموسيقى فى الوزن والقافية والروى .

---

(١) نقد الشعر ص ٦٤ لقدامة بن جعفر ، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧٨ .

(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومه ٩٦ ـ ١٠٠ .

فالعربى الأصيل اراد الشعر واضح المعنى ، جميل الأسلوب ، رقيق الألفاظ ، يفهمه السامع ، ويتمتع بموسيقاه، وبخياله الخصب ، او صوره البديعة ، لأن العربى اعتمد على اذنه فى فهم موسيقى الشعر فميّز بين الجميل والخشن من الألفاظ ، والرقيق من النشاز فى صناعة الأوزان . ومتى اعتمد الشعب على اذنه فسوف يكون شاعره جميل اللفظ ، مرهف الموسيقى ، ذرب العبارة ، حتى يرضى الأذن المرهفة التى صقلها المران ، والذوق الحساس الذى رققه ترداد الألحان ، وبذلك جاء الشعر العربى مطربا ، واضح القصد ، موسيقىّ التراكيب ، سهل العبارة .

* * *

الشعر عند الغرب

وكما اختلفت نظرة النقاد والشعراء عند العرب ، فقد اختلفت هذه النظرة عند شعراء الغرب ونقادهم فى معنى الشعر ، وفى تعريفه ومفهومه الفنى واللغوى ومن دراسة رأى الشاعرين كولرج S.T. Coleridge ووليم وردزورث W.Wordswprth يظهر هذا الاختلاف الفكرى والفنى ، الذى أثر فى شعرهما عندما حاولا تجديد مضامين الشعر الانكليزى ، وتطوير طرقه وأساليبه واهدافه ، لما نظما مشتركين القصائد الغنائية Preface to Lyrical Ballads ، فقد قال وردزورث :

(الشعر هو التعبير الخيالى لشعور عميق داخلى يكون موسيقى الأداء لأنه فيض عفوى للعواطف القوية تنساب للشاعر بهدوء ..)[1]

وقال : (الشعر تاريخ علم العواطف)[2]

وقال : (الشعر خيال الانسان والطبيعة وصورتها)[3]

فقد أكد الشاعر بأن الشعر هو العاطفة الصادقة والاحساس العميق ، فهو يرى بأن أصل الشعر احاسيس الانسانية ، تسعد

---

(١) Preface to Lyrical Ballads .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

البشر وتمتعه بالموسيقى ، لأنها صورة منه تنساب الى القلب بهدوء ومتعة ، ويثير العواطف لاسعادها من خلال الجمال الفنى .

أما الشاعر كولرج ، فله رأى آخر وان كانا قد اتفقا على اسلوب واحد فى التجديد فقد قال : (اذا قارنا القصيدة الشعرية ـ بالعلم ـ تميزت بهدفها السريع ..)

(القصيدة .. مقارنة بالعلم تهدف الى ادخال الغبطة الى النفس ، ولا تريد الصدق فى القول)[١] .

أى أن الشاعر متى قارن بين أثر العلم فى النفس والشعر ، فيرى الشعر مؤثرا يدخل الغبطة السريعة الى النفس ، ولا يهتم بالصدق فهل هذا من باب أكذب الشعر أحلاه !!

وقال (الشعر [اسلوب] لاثارة العواطف للوصول الى سرور آني يتخذ الجمال وسيطا [لتحقيقه])..[٢]

وقد أثر الشاعران الكبيران بنظرتهما فى التجديد فى الشعراء الانكليز وسار فى هديهما المجددون الذين اتخذوا الابداعية (Romantic) اسلوبا لشعرهم لان موجة التجديد والتخلص من

---

(١) Biographia Literaria, CHP.14

(٢) Samuel Taylor Coleridge, On the Principles of Genia Genial Criticism Concerning the Fine Arts, Essay Second. Reprinted in Criticism: the Major Texts, ed. Walter Jackson Bate (New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1970), 336.

التقليد القديم (*Classic*) كانت دعوة للثورة على المفاهيم القديمة التى لم تعد قادرة على التعبير عن معاناة الجيل الجديد فقال شيللى : (الشعر تعبير عن الخيال)[1] وقال مرة أخرى إن (الشعر سجل لاجمل اللحظات وأسعدها لافضل العقول وأسعدها ..)[2] وعلى هذا (فالشعر يحول الأشياء الى متعة وفتنة لأنه يسمو بالجمال ، ويجعله أكثر نضارة وجمالا ، ويضفى الجمال على القبح ظله ، فيصوره جميلا ويتحلى بأجمل الصور وأزهى الأشكال ..)[3]

وهذاه يذكرنا بقول ابن المعتز :

قلبى وثاب لهذا وذا ليس يرى شيئا فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغى ويرحم القبح فيهواه

مع اختلاف النظريتين والدوافع الإنسانية عند الشاعر العربى والشاعر الغربى .

أما الناقد الانكليزى هازلت فقد قال :

(الشعر تعبير عن الانطباع الطبيعى ، لرد فعل فى حادثة ، يثير بحيويته حركة لا شعورية فى الخيال ، والعاطفة ، ويخلف الانسجام

---

(١) Percy Bysshe Shelley, A Defense of Poetry.

(٢) Percy Bysshe Shelley, A Defense of Poetry.

(٣) المصدر السابق

تغييرا فى الطبيعة المعبرة عنه فى اللغة أو الموسيقى)[1]

وقال :

(الشعر لغة الخيال والعواطف ، ان له صلة وثقى بكل ما يسعد ويمنح المتعة السريعة ، أو الألم العميق للعقل البشرى .. انه اللغة العالية التى يتمسك بها القلب بالطبيعة مع ما يملكه من احساس عميق)[2]

وقال جون رسكن :

(الشعر تقديم الاسس النبيلة للعواطف النبيلة ، والخيال بأسلوب موسيقى ...)[3]

وقال روبنسن :

(الشعر لغة الاحساس تصور ما لا قدرة لنا على تصوره من حدث لا طاقة لنا على وصفه ، وان علت مرتبة الشعر أو صغرت ...)[4]

---

(١) From Lecture 1,
William Hazlitt, On Poetry in General,
Lectures on the English Poets. Reprinted in Criticism : the Major Texts, ed. Walter Jackson Bate (New York : Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1970), P. 303.

(٢) المصدر نفسه الصفحة ذاتها .

(٣) John Ruskin,
Quoted in A Handbook to Literature, C. Hugh Holman (Odyessy Press, The Bobbs - Merrill Copany, Inc. :New York, 1972), P. 404.

(٤) Edwin Arlington Robinson,
Quoted in A Handbook to Literature, C. Hugh Holman (Odyessy Press, The Bobbs - Merrill Company, Inc. :New York, 1972), P. 405.

أما ديلان توماس فقد قال :

(الشعر حركة موسيقية ، تأخذنا من الظلام الدامس الى الرؤية العارية ...)[1]

وقال بابت دوج :

(الشعر فن يستعمل الكلمات والموسيقى ، ليكشف عن لحقائق التى سجلتها الحواس ، وبعثتها المشاعر ، وأدركها العقل ، ورسخها الخيال المجنح ..)[2]

من هذا الاستعراض الفنى للفكر الوجدانى الابداعى نجد ان الشعر الغربى يهدف الى العاطفة الصادقة ، والخيال السامى ، وتصوير حقائق الحياة بأجمل الصور وأعذبها ، وقد اهتم كثيرا بالعاطفة الانسانية والاحساس المرهف ، والموسيقى العذبة ، لتخلد الشعر وتلذ النفس سماعه .

أما الشعراء المعاصرون الذين جاءوا فى آواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين سواء أكانوا فى بريطانيا أم أمريكا ، فقد اختلفت نظرتهم للشعر باختلاف النظرة الحديثة ، وتطور الحضارة المعاصرة ، وظهور مطالب جديدة ، ومشكلات لفّت الغربى ، فاهتم بها وأثرت فى حياته الحديثة المتحضرة .

---

(١) Dylan Thomas, quoted in Handbook to Literature, C. Hugh Holman (Odyessy Press, The Bobbs - Merrill Company, Inc. : New York, 1972), 404.

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٥

وكان من تأثير المجتمع الجديد ، ان ابتعد هؤلاء عن الحركة الابداعية الانسانية ، واهملوها بعد سيطرة الفكر المادى البحت والآلة التى اخترعها الغرب فسيطرت عليه .

ويكفينا رأى شاعر واحد ، وان لم يكن من كبار شعراء العصر الا أنه صاحب حظ كبير فقد دُرِّس فى البلاد العربية وفى اقسام اللغة الانكليزية بالصدفة المحضة ، فتعلق به المجددون لانه أول شاعر عرفوه فى دراستهم .. انه ت . اس . اليوت

قال :

(ليس الشعر انهزاما عاطفيا انما هرب من العاطفة ، وهو ليس تعبيرا عن الشخصية انما الهرب منها ...)[(١)]

ولنواصل دراسة آرائه فقال عن التراث ـ وسماه التقلب والمحاكاة ـ الذى يهرب المعاصرون من دراسته والاستفادة منه وفيها تتضح نظرته وتأكيده على موهبة الشاعر الفردية :

(ان التراث لا يمكن أن يورث ومن أراده يجب أن يبذل جهدا وعناء كبيرين . فهو يتضمن بالدرجة الأولى الحس التاريخى الذى لا غناء عنه لاى شخص يكون شاعرا .. ما بعد سن الخامسة والعشرين من عمره ..)

---

(١) T.S. Eliot, "Tradition and the Individual Talent". Reprinted in Criticism : the Major Texts, ed. Walter Jackson Bate (New York : Harcourt Brace Jovonaovich, Inc., 1970), PP. 526.

(والحس التاريخي ليس ادراك دور الماضي وحسب انما أثر الحاضر في شعر الشاعر فعندما ينظم قصائده فلابد أن يتسرب التراث في شعره . فالشاعر حينما ينظم لا يصور الجيل المعاصر له وحسب انما تحس بأن كل الأدب الغربي في طياته منذ أيام هوميروس .. اضافة الى تراث وطنه كله يشاركه متحدا مع التراث الجديد والحداثة .. فالشاعر يجب أن يكون صاحب تراث وحداثة في الوقت نفسه واعياً بما في الزمان والمكان ... وهذا الاحساس التراثي هو الذي يظهر الشاعر تقليديا ومجددا في الوقت ذاته لانه يعي موقعه في جيله ..)

(ليس هناك شاعر قادر على إمتلاك معنى الشاعر الكامل الا ويعرف اهمية صلة التراث به ، لاننا لا يمكن أن نقيم شعرنا المعاصر وحده ، دون ان نقارنه بالاعمال الفنية المبتكرة الماضية ، والمستفيد منها عند ابتكار عمل فني)[١]

فالشعر لا يمكن بأية حال من الأحوال ان يعيش على الحاضر وحده ، وبخاصة الحاضر البعيد عن فكر الامة وتراثها وأصالتها ، لان الأدب والشعر جزء منه لابد أن يكون جزءا من عواطف الانسان المعاصر ، وحاجاته الاجتماعية ، وليست مكونات المجتمع الا من جذور التراث وحضارة الامة .

---

(١) المصدر السابق ٨ ـ ٥٢٥ ـ ٥٢٦

ان عناية (**اليوت**) بالتراث الغربى منذ أيام هوميروس دعاه الى العناية فى الوقت ذاته بالحياة المعاصرة .. إذ وجد فى التراث ارثا تاريخيا لا يمكن الاستغناء عنه برغم أن تراث اليونان بعيد كل البعد عن تراث ايلوت المعاصر .

وفى الوقت نفسه ، ان تراث العرب والاسلام أقرب الى العرب فى كثير من قواعده من تراث اليونان الى الانكليز والامريكيين .. فلو درس الادباء العرب حضارتهم لوجدوا كثيرا من جذور الحضارة الغربية والحداثة التى انبهروا بها واضحة واصيلة فى ادبهم العربى .

إن الشاعر الأصيل لا يمكن أن يكون شاعرا مبدعا ما لم يحس بالتراث ويدخله بلا شعور الى حياته المعاصرة .

لان قابليته الشعرية الأصيلة وتذوقه الفنى ، لا يكون من دافع منفرد ، اذا لم يكن له صلاته بالشعراء الرواد الذين سبقوه (لانك لا تستطيع أن تقوِّم الشاعر منفردا ، ولابد أن تعقد مقارنة بين شعره وشعراء مبدعين ، وتفاضل بينه وبين من سبقه .. وكل ابداع جديد ، لابد أن يؤثر فى الأفق المعاصر ، والنظرة السائدة فى الانتاج الذى سبقه ...)[١]

فالحياة الغربية اليوم بعيدة كل البعد عن حياة اليونان ، وفهم

---

(١) T.S. Eliot, "Tradition and the Individual Talent". Reprinted in Criticism : the Major Texts ed. Walter Jackson Bate (New York : Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1970), PP. 525 - 526.

تراثها ، واليوت ، بخاصة ، يرى فى التراث الغربى حساً تاريخياً يسير فى الشعر المعاصر اراد الشاعر أم لم يرد .

وفلاسفة اليونان ، وعلى رأسهم أفلاطون ، لهم نظرة سلبية تجاه الشعراء ، فأفلاطون عندما أخرجهم من جمهوريته الفاضلة التى أقامها على الاخلاق العالية رأى أن الشاعر له احساس مرهف ، ومشاعر ملتهبة ، وبها يؤثر العاطفة على العقل ، وخشى منه أن يذكر نقائص الآلهة والابطال عندما يرى هذه النقائص واضحة فى تصرفاتهم ، فيفسد على الناس عقائدهم وايمانهم عندما يرسم صور الآلهة الحقيقية .

ان الواقع النفسى ، هو الذى فرض هذا الرأى على افلاطون لانه عندما دخل مسابقة الشعر لم يفز بالجائزة الأولى ، كما كان يطمح ، وانما فاز بالثانية ، فحمل على الشعر والشعراء حسدا لهم ، وغضبا عليهم وبغضا للشعر . والانسان عدو ما يجهل ، وهرب من ميدان الشعر الى ميدان الفلسفة والحكمة ، لانه أسهل من معاناة الشاعر ، ومن ابداع الموهوب ، وهذا واضح عندماه يخفق المبدع ويصبح ناقدا .

ولنتابع آراء آخرين منهم شيللى الذى قال ان الشعر :

(تعبير الخيال عن نفسه) وعدّه هازلت (لغة الخيال والعاطفة) وقال عنه كولرج (انه نقيض العلم ، هدفه المباشر اللذة وليست الحقيقة) وقال جونسون انه (الأدب الموزون وانه فن توحيد السرور

مع الحقيقة باستخدام الخيال وجو الاختراع)[1]

إن هذا الاختلاف فى التعاريف والفهم يعود الى الذوق الفردى عند كل شاعر أو ناقد ، ونلاحظ الاختلاف نابعا من اختلاف البيئة والثقافة والعصر الذى عاش فيه الشاعر أو الناقد ، فمقاييس ابن سلام تختلف عن مفاهيم ابن قدامة وابن قتيبة ، ومقاييس العرب تختلف كثيرا عن مقاييس الافرنج ، وهذا مايدعونى دائما أن أقول : إن لكل امة ذوقها ومقاييسها البلاغية ، ومتعها الفنية ، ومن الغبن الكبير أن نلوى الآراء الفكرية ، والتيارات النقدية والمدارس الادبيةالغربية لتلائم الأدب العربى والذوق الفنى عندنا .

ومن الخطأ الذى يسرى بين الناس القول بأن الفترة الشعرية فى القرن الماضى فترة (كلاسيكية) وأن فترة شوقى وأصحابه (الكلاسيكية الجديدة) . وان شعر شوقى (رومانتيكى) وشعر الصعاليك واقعى ، وان الشاعر العربى الفلانى شعره رمزى . مقارنة بالمفاهيم الغربية .

ان لكل امة مقاييسها النقدية وذوقها الفنى ، ومن يريد ادخال مقاييس الذوق الغربية مثل من يريد ان يلبس العربى فوق العقال والكوفية قبعة ، وان يرفع الشمسية خوفا من المطر والدنيا صحو ، ويرتدى المعطف فى الصيف خوف البرد .. فى بلاد مشمسة حارة

---

(١) هذه الآراء ترجمها الزميل الدكتور داود سلوم فى كتابه (النقد الأدبى جـ ١ ـ ص ١٤٧)

كالجزيرة العربية والعراق ومصر وغيرها من بلاد العرب الصاحية الشديدة الحرارة .

إن ذوق الأمم ومقاييسها يختلف باختلاف البيئة والمجتمع والارث الحضارى ، فليس من الضرورى أن يكون فكر العربى الذى يحمل ثقافة الاسلام عبر العصور مع الفكر الغربى الذى يحمل اللاتينية والانكلوسكسونية والرومانية واليونانية .

ويجب أن يختلف الحكم النقدى باختلاف الذوق والعصر والبيئة والثقافة والحضارة .

لم نجد من النقاد المعاصرين من قارن بين الشعر اليابانى والعربى أو الهندى والعربى أو الصينى والعربى مع أن هذه الامة الشرقية اقرب لنا ثقافة من الغرب وحضارته ، لاننا لانرى فى هذه الامم ما يسد النقص النفسى عند هؤلاء النقاد .

ان الاختلاف الفنى لابد منه لان التجربة الذاتية للاديب تعبر عن معاناة داخلية لاشعورية ، وهنا محل الاختلاف لان ردّ الفعل النفسى يختلف ، والسيطرة الذهنية تتباين فى عمليات الإبداع ، وبخاصة إذا كان الشاعر حرا فى مجالات القول والخيال .

إن الفن كالجمال لا يمكن أن توضع له مقاييس عامة ومحددة ، لأن الفن نبع مشاعر عميقة ، نتمتع بها عند القراءة او الانشاد أو المشاهدة او السماع ، ففى خلجات الجمال ، وانفعال الحدث الفنى ، رد فعل عند المتلقى يختلف باختلاف التجارب النفسية ، ودرجات

الإبداع عند الشاعر وقارئه واصحاب الذوق الشعرى يجدون الفارق الكبير بين الشعر والنثر لاحساسهم بجمال الشعر الفنى وايقاع الفاظه الموسيقية فوضعوا لكل منهما حدودا فاصلة ، بالرغم من وجود الوحدة اللغوية المتكاملة فى النثر ، وما فى بعض النثر من نفحة شاعرة .

وسيبقى النثر منفصلا عن الشعر كانفصال السير بالشارع ، وطلوع الجبال وهبوطها ، عن الرقص الذى يصحبه العازف الذى ينظم حركاته ولايمكن أن نسمى السير فى الشارع وطلوع الجبل رقصا ، كما لا يمكن أن نسمى الرقص سيرا أو مشيا .

ان الموسيقى النثرية تختلف عن موسيقى الشعر لان الموسيقى نبض الروح الفنية وعدم وجود الموسيقى فى النثر ووجودها فى الشعر سيبقى الكلام الفنى غير الموسق فى حدود النثر .

لان الأدب يكون شعرا أو نثرا ، إما اضافة صفة نثر شعرى أو شعر نثرى فهو تعدٍ وافتئات على الفنون الأصيلة ، وسيكون المولود الجديد هجينا فليس بالشعر وليس بالنثر انه البغل أو الهزروف ولن يكون شعرا ولو اضيفت له صفة من صفات الشعر .

ومما لاجدال فيه أن كل شاعر أو ناقد يتحدث عن تجربة خاصة اثرت فى حياته ، ومرت فى مشاعره ، وحفرت اثرها فى اللاشعور ثم ظهرت فى انتاجه .

فالبيئة الغربية تهتم بالفن القصصى أكثر من اهتمامها بالشعر ،

فالقصة والرواية والمسرحية فرضت مكانتها فى الغرب وابعدت الشعر . ورأى بعض نقاد الغرب أن الشعر من صفات الشعوب البدائية ، لان المجتمع الغربى لا ينظر الى الشاعر كما ينظر اليه العربى والشرقى لطول حياة الشعر العربى وقصر حياة الأدب فى أوروبا والتأكيد على النثر وأنواعه الادبية .

والشعر سيبقى حيا ما خلدت العواطف الانسانية ، والاحاسيس الصادقة ، والحب العميق ، لان الاحاسيس جزء من كيان الانسان (البايولوجى) ، سواء اراد أم لم يرد وهو الذى يلهم الخير والمتعة والسلام ، وهذا ما عناه شيللى بأن الشعر صفة روحية وود واضح ، غير مباشر يلهم الناس الخير والحكمة عن طريق صقل الروح وتهذيبها .

والعاطفة الانسانية الخيرة أجمل الموروث الاجتماعى الحضارى الذى سكن فى اللاوعى .. وفيه يكمن الحب والبغض والحقد والود والعقل والعاطفة ، ومتى تغلب الخير والعقل سعدت الانسانية ونجت من الدمار والفناء .

والفن الأصيل يجب أن يطور حياة الانسانية الى أفضل ما يمكن أن يعيش فيه من التسامح والود وصقل عواطف الحقد والبغض واحساس السيطرة والقهر .. لانه وحده النبع الصافى الذى يخلص الانسانية من بلائها .

الحَديث (١)

اختلف المؤرخون والنقاد فى معنى كلمة (حديث) ومتى يوصف بها الشعر العربى ، ولهم الحق فى هذا الاختلاف ، لان معنى الحديث هو الجديد ، والجديد دائم مستمر ، يأتى كل يوم على الناس ، واختلاف المؤرخين على معنى الشعر الحديث ناتج من عدم فهم التيارات السياسية والاجتماعية والحضارية التى سيطرت على العالم العربى والاسلامى والشرقى .

وقد قالت العرب : الحديث هو الجديد ، وحدث حدوثا وحداثة نقيض قدم ، وحدثان الامر أوله وابتداؤه .

واختلف النقاد فى معنى الحديث بعد أن تداخلت الافكار وتصارعت الآراء فقد دخلت الآراء الغربية وبدأت عناصر التجديد تظهر فى مصر قبل ان تظهر فى العراق والجزيرة . فبدأ تاريخ الادب الحديث بُعيْد الحملة الفرنسية على مصر ، اما فى العراق والجزيرة ، فقد وصلتنا بعد اعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨م . وجهل هذا الامر الذين كتبوا عن مصر وارخوا لشعرها . وحسبوا ان تاريخ الادب الحديث يبدأ بوصول الحملة .

---

(١) حدث حدوثا وحداثة نقيض قَدُمَ ، وحدثان الامر اوله ، وابتداؤه ، والاحداث امطار اول السنة ، ورجل حَدَث السن وحديثها ، بينّ الحداثة ، فتى ، والحديث الجديد .

ان دراسة تاريخ المنطقة هو الذى يحدد هذا المعنى ، وهو اساس هذا الاختلاف . ففى مصر بدأت النهضة بعد الحملة الفرنسية ، وحكم محمد على باشا الذى كان عاملا مساعدا فى حركتها . ولم تأت أكلها الا بعد حكم الخديوى اسماعيل .. لان النهضة والحضارة لاتأتى بمجرد الاخذ بالجديد ، وتغير الشكل الخارجى للامور ، فالحضارة لابد ان تأتى من الداخل ، ثم تحاول ان تجدد فى الفكر والادب ، بعد ان يحتوى الفكر هذا الجديد ويستفيد منه .

واختلفت التيارات فى مصر عنها فى الشام ، لان مصر لها مؤثراتها المتفاعلة بين الحضارات الاسلامية والمسيحية والشرقية ، أما فى الشام فهناك تفاعل وتداخل بين المسيحية التى جاء بها المبشرون وبين حضارة الشرق الاسلامية .

وكان لابد أن تعد الحملة الفرنسية بداية دخول الجديد فى الحياة الشرقية الفكرية لسهولة البحث ، وبذلك فان دخول الجديد مع الحضارة الغربية الى عالمنا العربى اختلف باختلاف الزمان والمكان .

بقيت الجزيرة العربية والعراق مع الدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الاولى ، ولم تقبل الحضارة الغربية وتفتح لها صدرها ـ مع وجود المعارضة ـ الا بعد ان اعلن الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨م ، وبقيت هذه الديار وحدة متكاملة فقد كان البغدادى يصل الى مكة المكرمة بسهولة ويسر ، وكان النجدى يسافر الى ضفاف دجلة والفرات تاجرا ، ويأتى طالب العلم من الموصل الى كل المدن

العربية ، دون عوائق ودون جوازات سفر ، أو حدود وتفتيش ، وقد اخطأ بعض الكتاب عندما ظنوا ان النهضة الحديثة التى ظهرت فى مصر واكبتها حركة فى العراق ، والحجاز ، ونجد والشام ولهذا كانت نتائج بحوثهم مغلوطة لانهم اعتسفوا الاحكام ولم يدرسوا العوامل التى اثرت فى الفكر الفنى ، والتيار الادبى فى الوطن العربى كله ، وحاولوا فرض هذه الآراء برغم بعدها عن الواقع الادبى وبرغم خطأ النتائج التى توصلوا اليها .

فالشعر الحديث فى مصر فى اواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، كانت بدايته بالشاعر البارودى ، ثم اسماعيل صبرى ، ولمّا طبع احمد شوقى ديوانه الشوقيات سنة ١٨٩٨ ذكر انها تشمل شعره ما بين سنتى ١٨٨٨ و ١٨٩٨ وان والده جمع له شعره ..

وبذلك فشعر حافظ ابراهيم وخليل مطران ، ومن عاصرهما فى مصر يعّد من الشعر العربى الحديث وقد سبق الشعر فى الجزيرة والشام.

أما العراق فلم يبدأ الجديد فيه الا بعد ذلك عند الرصافى والزهاوى وخيرى الهنداوى وعبدالمحسن الكاظمى وغيرهم ، ولاشك بأن الشعر الجديد لم يظهر فى الجزيرة العربية الا معاصرا لشعراء العراق ، بالرغم من قرب مصر من الحجاز . لان الجزيرة والغراق والشام كانت مع الدولة العثمانية وكانت مصر تحت الاحتلال البريطانى .

المعارضة :

ان المعارضة التى تقف اليوم ضد التجديد فى الشعر ، شابهت معارضة قوية ضد شوقى والبارودى ومطران ، وقامت مثل هذه المعارضة ضد التطور الشعرى العربى فى العراق ، لان المفاهيم النقدية اختلفت باختلاف الفكر ،والزمن ، والارث الحضارى ، والمقياس النقدى .

وعدت بعض التيارات تطرفا ، وخروجا عن المألوف الفنى للشعر ، ومفاهيمه التى يريد ان يطبقها الناقد ، قياسا بالشعر العربى القديم ، او تأثرا بالشعر الغربى الذى اكتسح افكار بعض هؤلاء ، والشعر صورة المجتمع الذى يخرج منه ، ويصور تطرفه ، او هدوءه ، وخلقه ، وما يجول فى افكاره من اهداف وغايات .

وكان للجيل الاول فى مصر والعراق والجزيرة العربية قاعدة اصيلة ـ اساسها القرآن الكريم ، والشعر العربى . فقد حفظ اكثر الشعراء القرآن والاحاديث ، وروى ما حفظ ، فتأثر الشعر بها فى اساليبه فلما جاء الجديد كان الشاعر قوى الصلة بالتراث ، فاستفاد من الفكر الغربى ولم ينبهر او يضيع اصوله وجذوره ، لانه قد تحصّن بقوة التراث واصالته ، ولم تدهشه الحضارة الغربية ، وما ضاع لبه بما فيها من جديد ، لانه قد استفاد من الموروث الاصيل ، الذى حماه من ضياع الشخصية . فقد وظف شعره فى حياته المعاصرة مستفيدا

من الآراء التى نشرت ، والمخترعات الجديدة التى وصلت إلى عالمه .

هذا الجيل تلاه جيل الحرب العظمى الثانية ، الذى كان اقل صلة بالتراث ، واقل اعتمادا على الذاكرة والحفظ ، لانتشار العلوم الحديثة ، ووفرة وسائل التعليم كالمطبعة ، والكتاب ، والورق ، والحبر ، وعلى هذا الجيل فرض الفكر الغربى تياراته ، وقوانين الغرب ، فى الحياة العامة . وقد حفظ بعض الشعراء جانبا كبيرا من التراث الذى تسرب الى الشعر ، من القرآن الكريم ، والشعر ، ثم وثق الشعراء صلتهم بالجديد واستمروا يدرسونه

فكانت قاعدة التراث عصمة لهذا الجيل من الهبوط اللغوى ، والاسفاف الفكرى ، لانه عرف العربية معرفة جيدة ، وتمرس بتاريخ امته ، ونظر الى الفكر الغربى بحذر وان اعجب به واخذ بجانب من هذا الجديد .

كان الجيل السابق لجيلنا الذى انتهى اثره فى حياتنا الفكرية فى منتصف القرن الميلادى الحالى ، اكثر صلة واشد تعلقا بالتراث العربى ، لانه لم يكن يعرف غير التراث العربى الا القليل منهم الذى اطلع عليه من خلال الادب العثمانى .

وجاء الجيل الذى انا منهم ، فكانت جذورنا العربية اقل عمقا وصلة بالتراث ونظرنا الى الحديث نظرة اعجاب ، وحذر وكان محفوظنا الشعرى اقل ، من الجيل السابق ، لكن هذا المحفوظ والصلة بالتراث ، كانت اعمق من الجيل التالى ، فكنا اكثر حداثة وصلة

بالحاضر الذى عشنا فيه فى اللغة والفكر ولكننا اقل جزالة فى الاسلوب ، واضعف نسجا فى التراكيب ، من الجيل الماضى الذى اعجبه التراث وهام به . فقد كان الرصافى يحفظ شواهد النحو ، وقصائد الشواهد ، ووجدنا البارودى يختار خير الشعر واجوده ، وسار فى اثره فى العراق الزهاوى وسليمان فيضى الموصلى . ان جمع المختارات دليل اهتمام واضح بالتراث الشعرى .

اما الجيل الذى جاء بعدنا ، فقد اعتمد على المجلات والجرائد فى ثقافته ، لرخص الثمن ، وتوفرها فى السوق ، ولم يعد يحفظ كثيرا ، وغدا نصيبه من تراثه الاصيل محدودا ، فسرت فى ادبه السطحية ، لانه لم يبذل كثيرا من الجهد فى العلم ، وساعدته الحياة الجديدة على السرعة وقوى هذا التيار فى النفوس اساليب التعليم الجديدة .

وسرت البلبلة الى الجيل الذى نما بعد خروج الاستعمار من البلاد ، فسف وأسف فقد ألهته المخترعات الجديدة فى الترفيه عن الصبر فى العلم ، والمعاناة فى الدراسة ، واصبح جل همه ان ينتهى من الدراسة ليحصل على الشهادة ، وكان الجيل السابق يتعلم لاجل العلم ، وليأخذ مكانته به فى المجتمع ولم يكره على التعليم وتفرض عليه مناهج العلم والدراسة ، وكانت له حرية واسعة فى اختيار الاستاذ الذى يريد والمساجد او المدارس التى تناسبه ويذهب فى الوقت الذى يريده لطلب العلم بالاتفاق مع استاذه .

ولم يكن يهتم بالسنوات التى يقضيها ، فقد يدرس كتابا او علما

على استاذ بسنة واحدة او عدة سنوات او يدرس عدة علوم على استاذ واحد .. وعند اتقان العلم او الكتاب ، او العلوم ، يأخذ الاجازة فى العلم الذى اتقنه .

البنية الشعرية :

الشاعر انسان يملك احساسا اشد رهافة من بنى جنسه ، فهو يحس بالحدث ، ويستوعب نتائجه ، قبل غيره وله شعور عميق دفاق ، وصلات انسانية صادقة فمن احساسه العميق ، وعلاقاته الخارجية ، يتكون انتاجه الفنى . وعندما يهضم الحدث ويستوعب العمل ، الفنى يتردد فى عالمه الداخلى غير المنظور ، لانه يتكون من تزاحم المشاعر ، والرؤى الداخلية ، مع الاحداث الواقعية فى هذا العالم الذى يعيش فى دنيا الموجودات المادية .

ومن هذا فالشاعر يتعامل مع الاحداث ضمن احاسيس لا يدركها الا الشاعر نفسه ، حتى يخيل لمن لا يفهمها انها الوهم المجرد ، والخيال المجنح ، لأن المبدع يدرك قضايا يصعب فهمها احيانا ، وقد تكون بعيدة عن الواقع الذى يراه كاتب الرواية ، وانما يموسق مشاعره الداخلية ، لامتلاكه القدرة التى لا يملكها غير الشاعر .

فالبنية الشعرية ، او الكيان الفنى فى الشعر ، يختلف كثيرا عن النثر

لان الشاعر يجول فى اللاوعى ، لانقاذ الواقع المادى من سيطرة الحقيقة المؤلمة ، فى الحياة العامة . ليلائم بين الحلم والواقع ، كما يلائم العبقرى بين الحياة والموت فى انتاجه وتصوراته .

الشعر له بنية جديدة تختلف عن النثر ، والفنون العليا . فهو طوق النجاة الذى تقدمه الاحاسيس الصادقة لتخلص الانسان من عذابه اليومى فى المتناقضات الاجتماعية ، التى تسود الحياة والتى تسيطر على الكيان الانسانى ، وتسرى فى دمه الهموم ، والعذاب ، والفراغ ، والقلق . وبهذا يختلف عن نتائج العلوم والفلسفة ، لانه يوحد كل الامانى ويصور الشقاء والقلق فى خلاصة فنية تظهر فى القصيدة الفنية .

مواد الشعر :

فالشعر ليس خيالا صرفا ، وليس وهما خالصا ، وليست القصيدة عاطفة واحساسا مجردين ، لأن الخيال والوهم والعاطفة لن تأتى من فراغ وما جاء من الفراغ لا يحس به المجتمع ولا يؤثر فيه .

انما للشعر مواده البنائية الاولى ، ومكوناته الفنية التى تقف بقوتها امام الاسفاف ، والنشاز اللفظى ، وله قواعد فنية أصيلة يقف عليها البناء الفنى المتكامل .

وأهم هذه القواعد :

المحيط الذى يعيش فيه الشاعر الذى يزوده المواد الاولية ، خلال الممارسات اليومية التى تحرك المجتمع الانسانى الذى يحيط بالشاعر ، وقد يكون للعلم الحديث اثر فى وجودها ، متأثرة بالتطور التاريخى والحضارى .

ان هذه الممارسات اصبحت حياتنا لانها الواقع الذى يقوم عليه كيان المجتمع كله ، تتردد فى النفس والعقل وتظهر فى اللغة فى كل ساعة ، وتبدو فى كل لحظة ، ولا يمكن بتر المجتمع عن الشاعر ، وفصل المحيط عنه ، لانه يستمد من المحيط لغته ، فيحس بالحركة السريعة ، وولادتها فى بطء الحياة او موتها ، او سرعة الحدث وهدوئه .. لان اللغة العربية من اكثر اللغات الحية تطورا ، وتجديدا ، وقابلية على التغيير ، بما فيها من اشتقاق ومجاز وتورية . ومرت هذه اللغة بدور حضارى نشيط ، وتجددت ثم تباطأت الحركة فيها وسلمها الله من الموت ، ـ بوجود القرآن الكريم ـ وبه حفظ لغتهم وحضارتهم كالبابلية ، والسريانية ، واللاتينية ، والفينيقية .. بما فى اللغة من نحو متطور وصرف دقيق ، وتغلبت على الضمور ، وتفتحت من جديد بالاشتقاق واستردت حيويتها وحركتها بالتعريب واحتوت على ما فى اللغات من معان جديدة وتفاعلت معها . لذلك نجد فارقا كبيرا بين اللغة التى تتحدث بها ، ولغة المعجمات .

وللذوق العام اثره فى ترك كلمة او لفظة او جملة ، عندما لا تساير المحيط اللغوى المتطور الذى يعيش فى ظلاله المجتمع الحديث .

وبقيت هذه اللغة الرقيقه ، او الحديثة ، او المتطورة او المتجـددة او العصرية . حسب المفاهيم التى يريدها الكاتب ، عند كثير من شعراء العرب ، برغم مرور اربعة عشر قرنا من الحياة اللغة العربية ، كما حافظ القرآن الكريم على الذوق العربى ، وسلامـة الموسيقـى المختارة ، ولم نحس بجفاء العبارة ، وقساوتها لأن الارث اللغوى العربى الطويل ، صقل الذوق ونما الموسيقى الفنيـة فيهـا ، فكان الترابط العضوى بين الكلمة وحيويتها منغما ، يدخـل فى التركيـب البنائى لها ، فعاشت فى محتوى التجربة حيـة ، وغـدت جزءا من اللغة ، وقد تكون احيانا موحية باكثر من معنى ، وخير الامثلة شعر البارودى الذى عاش فترتين بارزتين من حياة اللغة العربية الاولى ، بطء حياتها وقوقعتها ، والثانية يقظة اللغة ونهضتهـا ، وباحساسـه المرهف اصبح رائد الشعر الحديث بعد ان طور اللغة وادخل فيها تجاربه الفردية ، كما اهتم بالقضايا العامة التـى اثـرت فى حياتـه انسانا ، ومسؤولا . ولم تعد اللغة القديمة تصلح للتعبير عن الحاجة الجديدة فابتعد عن زخارف القول ، والمحسنات اللفظية ، وخرج من عالمه الداخلى الى العالم الخارجى ، الذى بدأ يتحـرك بعـد جمـود وسكون فآثر المعنى على اللفظ فى شعره .

وساعدت الاحداث الكبيرة التى مرت بالشاعر على تطور شعره ، وتجديده ، التى ظهرت خلال الثـورة العرابيـة وبعـد ان نُفـى الى

سرنديب[1] وقد اثرت هذه الاحداث فى تجديده عندما التزم فيه بقضايا الوطن ، وحاجات المجتمع وألهمه نفيه واختلافه مع صحبه مواضيع جديدة ، عالجها باسلوب جميل ، وبصدق وسهولة واعتمد على الالفاظ الموحية بأكثر من معنى فقال :

انا المرء لا يطغيه عز لثروة اصاب ولا يُلوى باخلاقه الكد
اصد عن الموفور يدركه الخنا واقنع بالميسور يعقبه الحمد
ومن كان ذا نفس كنفسي تصدعت لعزته الدنيا وذلت له الأسد

فالالفاظ (أنا) و (المرء) و (يُلوى) و (تصدعت) أعطت كل كلمة معانى جملة ، توحى للنفس بما فى طياتها من عمق فنى ، وادبى ، اكثر من كلمة واحدة .

كان الشاعر صادقا ، ولم يفكر بوضع قواعد للتجديد ، لان قريحته تملك حركة ، انعكست فى شعره بعفوية واصالة ورهافة حس .

وقد ساعده عصره (الذى كان فيه احياء اللغة العربية ، والتراث الاسلامى الاصيل ، وبعث للحضارة العربية) على قوة النسج ، وجزالة الألفاظ ، ومعالجة مشكلات العصر ، وقضاياه الوطنية ، وتأثير الحركة الجديدة فى احياء المخطوطات العربية ، وطبع الدواوين المختارة ، وما فيها من جديد وتطور واصالة .

---

(١) سرنديب : سيريلانكا

وقد أحس الشاعر بالواقع الاجتماعى إحساساً خاصاً ، ووجد فيه إلهاماً ووحياً نفسياً ، لم يجده الشعراء الذين عاصروه ، وتلك هى السمة الشعرية للشاعر المبدع . لأن الشعراء الذين كانوا يعاصرون البارودى كانوا صناعاً من الدرجة الجيدة ، مقلدين بدرجة ممتازة لمن سبقهم ، فقد أحسوا بالمجتمع وعرفوا محتواه ، لكنهم لم يكونوا قادرين على الابداع ، لأنهم لم يملكوا اداة التميز ، والنظرة العميقة ، فكانت لغتهم قاصرة ، وان فهموا سطح المجتمع لأن الوعاء اللغوى المحدود ، هو المسيطر عليه واختفت التجربة الشعورية التى أبرزها البارودى ، وتفرد بها مع المقارنة الصائبة بين الاحداث وهضم نتائجها .

ان لغة المبدع محمولة على تجربته الشخصية ، التى تحمل الايحاء اللغوى والنفسى ، فالمحيط اليومى ، أو البيئة اليومية أقوى أسس الابداع ، وأهم قواعد التجربة التى تُحس من خلالها التطور المستمر والتجديد التقنى ، الذى يستفيد منها الإنسان المعاصر ولايمكننا أن نتخلى عن المحيط الذى يولد المعانى الأصيلة ، ولايمكن فصل حياتنا الفكرية والفنية عنه ، لأنه عامل مؤثر فى اللغة وفى الشاعر وتجربته وأدبه(١) .

---

(١) يراجع (فصول فى الأدب الحديث والنقد) للمؤلف المطبوع فى الرياض ١٩٨٢ م مكتبة دار العلوم فصل عن البارودى وتجديده ص ٥٩ ـ ٧٩ .

أما العامل الثانى أو القاعدة الأخرى للبنية الشعرية فهى اللغة التى يعبر بها الشاعر عن المشاعر الدفينة للافصاح عن البيئة التى تؤثر فيه ، فتظهر فى الحوار الداخلى الموحى ، فى موسيقى اللفظ واصالة الكلمة ، منفردة أو متكاملة مع الجملة وفى المصرع أو البيت أو القصيدة كلها . ولست أريد أن اتحدث عن العروض ، والبحور الشعرية ذات الموسيقى التامة ، فى الشعر العربى طوال عصره والتى يظنها بعض المعاصرين اداة تعويق للابداع .

انما اراها آلات مختلفة أنغامها المتعددة ، كاختلاف انغام العود مع انغام المزمار ، وانغام الكمان .. وهذا الاختلاف واضح بين البحر الطويل والرجز والسريع ولست أريد ان اتحدث عن التفعيلات العروضية التى كثر فيها البحث لأنها ليست مدار بحثى ، انما لابد لى أن اتحدث عن الموسيقى الداخلية ، أو النغم الفنى فى القصيدة ، وجمال اللغة فى البيئة الشعرية التى ابتعد عنها بعض الشعراء لعدم فهم هذه الموسيقى وظن القافية رتابة فيها تكرار ممل .

البنية النغمية فى القصيدة العربية الاصيلة ، تنطلق من وحدة البيت ، وفى هذه الوحدة يظهر الذوق المرهف ، والشعور الاصيل بجمال الامتاع ، ولذة الفن الساحرة . باختلاف المعنى وتباين الوقع الموسيقى .

ان وجود القافية فى البيت أو فى القصيدة ينوع المعنى ويزيده ، لأن الشاعر يملك القدرة اللغوية وحفظ الشعر العربى يزوده القوافى

المختلفة قال : أحمد شوقى ..

شيعت احلامى بطرف باك ولممت من طرق الملاح شباكى
وبجانبى واه كأنه خفوقه لما تلقت جهشة المتباكى
شاكى السلاح إذا خلا بضلوعه فاذا اهيب به فليس بشاكٍ
قد راعه انى طويت حبائلى من بعد طول تناول وفكاك
ويح ابن جنبى كل غاية لذة بعد الشباب عزيزة الادراك
كنا إذا صفقت نستبق الهوى ونشد شد العصبة الفتاك
واليوم تبعث فِىّ حين تهزنى مايبعث الناقوس فى النساك

والقصيدة طويلة فهل فى هذه القوافى تكرار أم انها جاءت بمعايير جديدة ، وحافظت على ماء الشعر وطراوته ومختلف المعانى باختلاف القوافى ؟

وقال الاخطل الصغير :

قتل الورد نفسه حسداً منك وألقى دماه فى وجنتيك
والفراشات ملت الزهر لما حدثتها الانسام عن شفتيك

إن القوافى المختلفة المعانى عند الشعراء تعكس التجربة الشعرية للشاعر ، فى مرحلة جمالية عذبة ممتعة ، وتعبر عن التجربة بصدق وان اختلفت باختلاف بيئة الشاعر ، وعصره وثقافته ، فلو حذفنا كلمة واحدة من أى بيت من الأبيات العربية الأصيلة لاختل المعنى . ومن

الطريف اننا كنا نسمع أم كلثوم تغنى لشوقى :

والمجد عند الغانيات رغيبة   يُبغى كما يُبغى الجمال و يعشق

ولم نكن نسمع الصوت فى (رغيبة) وحاولنا جهدنا أن نضع كلمة عوضها فما قدرنا لأن الشاعر كان دقيق المعنى ، وعميق الفهم جزل التراكيب . وضع الكلمة فى موضوعها .

فالشعر وعاء التجربة النفسية الكاملة ، وفيها تظهر رقة الألفاظ متداخلة ، ومنسجمة مع احساس الشاعر وتجربته ، ومتى كانت التجربة الشعورية صادقة ، فقد عبرت عن احساس الإنسانية ، وعلى عمق التجربة ، يكون الفرق بين شاعر وشاعر ، لأن العمل الفنى الصادق هو الذى يخلد وفى ابداع الشاعر ومحتواه الفنى يظهر عمق الأحاسيس الإنسانية .

ولابد للشاعر من امتلاك الموهبة الاصيلة ليقدر على الخلق الفنى ، وإلا كان العمل الفنى بعيداً عن الحدث العاطفى ، وصار نشازاً ، لأن الشعر الصادق نوع من النشاط العاطفى للإنسانية ، ويظهر أثره فى توصيل المتعة الفنية الى عواطف المتلقى ، بأسلوب لاشعورى فيمتعه ويهز أحاسيسه .

الموسيقى الداخلية :

ويختلف الشعر عن النثر ، بما يحويه من الموسيقى ، التى تمكن

الشاعر من توصيل تجاربه إلى المتلقى ، دون أن يحتاج إلى وسيط ، لأن الشاعر المبدع قادر على ايصال عواطفه الى أحاسيس البشر ، فهو كأى مبدع يوصل بأسلوبه إلى الهدف الفنى ، فيسعد أو يشقى عندما يخلق الاحساس الذى يصور الجمال ، ويمتع الشعور ، ويروى الاحساس الفنى ، ومتى تمكن الشاعر من الوصول إلى الوحدة الفنية بالانسجام الموسيقى ، فقد وفق كما يوفق الموسيقار فى قطعته ، والنحات فى تمثاله ، والرسام فى صوره .

ان النثر سيبقى نثرا ، ولو سمى بالنثر المشعور ، أو الشعر المنثور ، مادام فقد القاعدة الفنية الشعرية ، وابتعد عن الموسيقى . لأن الموسيقى هى لغة الشعر ، التى تضبط الايقاع ، وتحفظ جمال الفن فيه .

ان الابتعاد عن عروض الفراهيدى ، معناه تكوين نغمى جديد ، فى بيئة موسيقية جديدة ، فاذا بعثت هذه الموسيقى المتعة واللذة أو الشقاء والألم فى النفس ، وحركت الأحاسيس ، فقد نجح التكوين النغمى الجديد .

ولكن الابتعاد عن الموسيقى الأصيلة ، يولد فوضى نغمية تجر إلى النشاز المرفوض فنياً ، وتخرج الفن الى آفاق أخرى . لذلك كثر الشعراء وقل الشعر بعد أن فقد الفهم الموسيقى ، وضاعت فى نشاز الذوق . ان التمرد على الموسيقى فتح الطريق لدعوى كاذبة وإلى عدد كبير من دعاة الشعر .. أخذوا يصفقون لأنفسهم ويبالغون

ويتطرفون فى التمسك بهذه الفوضى النغمية ، لأنهم لم يكونوا قادرين على فهم الاصالة الموسيقية ، بعد أن فقدوا رهافة الذوق ، وعمق الفكر وجزالة اللفظ ، وهاجموا الاصالة الفنية والمتعة الجمالية ، لاقناع الناس بأنهم شعراء وأنهم مجددون لأنهم اعتمدوا على القشرة الخارجية للفن الاصيل ، وشغلتهم سطحيتهم النغمية عن مشكلات مجتمعهم ومصائب امتهم ، التى صبتها عليهم الاقدار ، وقد فقد أكثر هؤلاء عمق الاحساس الفنى ، وصدى النغم الروحى .. لأن الحياة المادية ، والاعجاب بالتافه من أدب الغرب المترجم ، لم يترك لهم فرصة للمقارنة ومعرفة اللب من القشر والاصالة من الزيف .

ان العصر عصر مادة وقلق وحروب وطغيان واعتداء على الحريات وحبس الشعوب فى اقفاص الآراء الفردية ، ومنع حرية الكاتب وقتله ، فخاف أكثرهم وضلوا السبل فى اصلاح المجتمع وقيادته ، وكان عليهم المعول فى تغيير دفة هذا التيار العارم الذى مسخ الشخصية العربية ، وتوجيهه نحو الفن الأصيل ، والفكر العالى والأسلوب الجيد .

ان الموسيقى التى جمع قواعدها الفراهيدى ، تمثل ذوق الأمة العربية ، وموسيقاها الداخلية العميقة ، وقد ارتبطت بالكيان الداخلى لها ، وشعر الغرب مرتبط ارتباطاً جذرياً بحضارته ومشكلاته ، فهو فى فنه يختلف جذرياً عن الفن العربى الذى وصل مرحلة عالية فى الخط والعمارة والشعر والموسيقى وصعب على أبناء الغرب تمثلها والاستفادة

منها لأن البيئة الغربية تختلف فنياً عن المحيط الشرقى والعربى ولا أنكر محاولات بعض الشعراء فى الغرب تقليدنا ولكنهم لم يوفقوا ولاذنب لهم ، لأن الاستعداد النفسى والمؤثرات الثقافية والفكرية ، تختلف عن حياتنا وحضارتنا .

وقد سرت السرعة والسطحية فى فكر الشعراء الجدد ، لأن الحياة أصبحت سريعة ، وتهتم بالسطحية والمظهر الخارجي ، ولأن الشاعر العربى المعاصر لايملك عمق اللغة ، واتساع الأفق اللفظى ، فابتعد عن بحور الخليل ، واستعصت عليه التجربة ، فتمرد عليها عندما لم يقدر على استيعابها وظن ادعاء الجديد منجاة له .

وجد الشاعر الجديد نفسه ضعيفاً ، محاطا بأطر فنية ، وقواعد موسيقية ، ومضمون نغمى لايقدر على مسايرته ، ضمن التكامل العضوى للقصيدة الأصيلة ، فخرج على تيار الموسيقى المألوف الى طريق أسهل يمكن استغلاله حسب طاقته المحدودة .

الشعر العربى كالسمفونية المتكاملة المحتوى ، فيها نغمة التكوين ولحن الحيوية . ومن لايعرف التكوين والحيوية وجذورهما يصعب عليه فهم السمفونية .

ولايختلف الشعر عن الموسيقى ، فالنغم الداخلى يأتى صدى للمحتوى النفسى ، أو موسيقى اللفظ ، فهى تعبير عن هواجس الاحساس وعمقه ، وكلما كانت الموسيقى عذبة ، كانت أقرب الى محتوى النفس ، وهاجس الشعور واصالته .

فالشعر الجديد كالموسيقى الجديدة عالية الصوت ، كثيرة الحركات ، تنتهى آثارها بانتهاء العزف ، وتصريف الطاقة المخزونة ، لهذا كانت سهلة النغم ، سطحية اللحن ، عالية العزف ، لتمتص عرام النفس ، وكبت الوجدان ، دون أن ترفع من مستوى النفس ، وتمتع العقل ، وتسعد العاطفة .

هل للشعر هدف ؟

اختلف نقاد الفنون الجميلة ، فى مهمة الفن ، وهدفه ، وعمله ، ووظائفه ، والغاية التى يريدها المبدع فعندما ينظم الشاعر قصيدته ويبذل المثال جهده فى نحت تمثال ، والرسام عندما يرسم لوحة ، والموسيقار عندما يؤلف الحانه ويعزفها ، يبذل كل فنان طاقاته فى سبيل الوصول بانتاجه الى اعلى درجات الابداع .

قال بعض النقاد أن ليس للمبدع غاية الا العزف ، والرسم ، والنظم ، والتأليف ، فهو يعزف للعزف نفسه ، ويرسم للرسم ذاته ، وينظم لأجل النظم ، ويؤلف ليكون مؤلفا ويعزف ليسهم فى الموسيقى ..

وتلك هى النظرية العامة التى سميت نظرية الفن للفن .

وأنا اختلف مع هؤلاء اختلافا كبيرا وأرى أن الحياة أو المحيط أو البيئة هى التى تخلق الأديب ، والموسيقار ، والرسام ، والنحات ،

والشاعر ، فالفنان صدى لمشاعر اجتماعية عميقة الجذور ، وان توهم احيانا بأن عمله هو للفن الخالص ، ولو درسنا أية قطعة فنية سنجدها تعبيرا لا شعوريا عن حدث جرى فى محيط الفنان ، اراد أم لم يرد ، فهو يسهم ـ اذا كان مبدعا وليس صانعا ـ فى امداد مجتمعه بفنه ، محاولا تجديد المفاهيم فيه وتطوير القيم الفنية ، وأساليبها فهو يعطى مجتمعه بمقدار احساسه ، ورهافة شعوره ، بالحدث الخارجى ولا شك فى أن بعض النقاد القدامى لم يحفل بالمهمة العميقة التى يقوم بها الفنان ومنهم الشاعر ، وقد انصب النقد على الوزن والقافية ، أى على الموسيقى ثم المعنى ، متجاهلا العوامل النفسية المؤثرة فى نظم الشاعر فى رغبته ورهبته وطربه ، وسمى الشاعر فحلا اذا اتقن القواعد ، وبنيت طبقات الشعراء حسب تلك المفاهيم التى كانت محاولات الفن النقدى الأولى عند العرب ، ونسى العامل النفسى فى أدبه الواضح بالدفاع عن قبيلته ، والذود عن حماها وذكر مآثرها ، والتغنى بأمجادها وانتصاراتها ورد كيد اعدائها..المفروض من المحيط أو البيئة أو حياة المجتمع ومثله المؤثرة فى اللاشعور ، وتتجلى هذه النظرة فى رد الحجاج المساور بن هند :

لِمَ تقول الشعر ؟

فقال : أسقى به الماء ، وأرعى به الكلأ ، وتقضى لى به الحاجة ، وان كفيتنى تركته .

وقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الشعر يسكن به الغيظ

وتطفأ به الثائرة ويتبلغ القوم ، ويعطى به السائل .[1]

فالشعر له غاية وله هدف ، باختلاف هذه الغايات ، وتنوع الأهداف ، سواء أكان هدفا خاصا بالشاعر يعيش به أم يدافع عن القبيلة بنظمه .

وظن اعداء الشعر العربى أن التكسب أو المديح غاية الشاعر الأولى ، ونسى هؤلاء ان المديح تركيز على الصفات الجيدة - والمزايا الحميدة ، والأخلاق الفاضلة ، التى يريد الشاعر ان تسود مجتمعه ، وفى شعره يعكس تلك السجايا والمزايا العالية ، لتكون رمزا يحتذى فهو بشعر المناسبات يثبت دعائم الخير وينشر أسس الأخلاق العالية ، فى مديحه وفى المجتمع وإن كان فاسدا .

ورأى بعض دعاة التجديد ، أن فى هذا الهدف امتهانا للشعر والشعراء ، ونسى هؤلاء الدعاة انهم أكثر امتهانا للشعر فى هذا العصر عندما فرضوا اسماءهم والفاظهم وأفكارهم على الشعر . والفرق كبير بين التغنى بفضائل المجتمع ومزاياه العالية ، وبين فرض ما تريده لأن فرض الرأى هو الاستعباد ، والذل وامتهان الرأى ، وعبادة الأوثان ، وسلب حرية الرأى عندما تفرض ما تريده .

كانت اهداف الشعر العربى فى المناسبات ، اثبات الخلق الرضى ومحاربة الخلق السىء . ولم يكن الشعراء راضين فى قرارة نفوسهم عن

---

(١) محاضرات الأدباء جـ ١ ص ٨٠ - الراغب الأصفهانى - ط دار مكتبة الحياة .

التكسب بالشعر .. وقال أحد هؤلاء : ما أجد أكلا للسحت ، ولا أوضع وأطبع وأقل نفسا ، من شاعر مكتسب بشعره[1] فالعرب برغم ما فى شعر المديح من تثبيت لدعائم الأخلاق الا أن الأسلوب لم يكن يرضى الشعراء أنفسهم وعندما جاء خير من الشعر فى دعم الفضائل الأصيلة والسجايا العالية انصرفوا اليه وحفظوه وطبقوا المثل العليا التى وردت فيه وتعاليمه السامية ، لأنهم وجدوا فى أدب القرآن خيرا من شعرهم فى تثبيت دعائم الخلق الرضى ، والسجايا العالية فانصرفوا الى القرآن الكريم يتدارسونه ولكنهم لم يتركوا الشعر وينصرفوا عن روايته وذكر الفضائل العالية التى وردت فيه .

تطور الشعر :

التطور ضرورة حتمية لاستمرار الحياة وبقاء الحركة والنشاط . لأن الهدوء والسكينة يقودان الى الجمود والموت البطىء .

والتطور والتجديد حركة واحدة لا يتم التطور بلا تجديد ولا يدخل التجديد فى فكر إلا طوّره وبدّل من قيمه ومفاهيمه . وعلى قدر ابداع المطور وذكاء المجدد يستمر هذا التجديد ويخلد هذا التطور .

لأن القطعة الأدبية أو الانتاج الفنى بصورة عامة لا بد له من

---

(١) المصدر السابق ص ٨٠ .

صلات قوية ، وروابط عميقة ، وأواشج متينة ، لتكون صدى للمجتمع الذى يوحى بالحدث الفنى ، لأنه ينبعث منه ، والصلة التى تربط الانتاج الفنى بالمجتمع تتحكم فى حياة الانتاج ، وخلوده وشهرته أو اغفاله وموته ؛ لأن للروابط الحية للمكوناته الجزئية للانتاج الأدبى أو الابداع الفكرى صلة وثيقة بواقع الحياة وجذور المجتمع المرتبطة بالعالم الخارجى والمضمون النفسى الداخلى للمنتج .

فاذا كانت مضامين الشاعر صادقة ، وأطره الفنية جيدة ، ونجح فى التناسق الموسيقى ، وسما بالذوق الفنى ، فقد خلد . لأن استعمال الأوزان ، واختيار الموضوع ، وانسياب المضمون لا يتم الا اذا كان الشاعر مرهف الحس رقيق الأسلوب ، عميق الشعور .

ان صاحب الملكة الخصبة ، والقريحة الجياشة ، والخيال الواسع ، والفنان المبدع سواء أكان شاعرا أم رساما أم موسيقارا ، هو المنتج المبدع الذى يخلد انتاجه عندما يملك الأدوات الفنية القوية الممتازة ، والمقومات اللغوية السليمة .

أما الجاهل بلغته الذى لا يعرف خصائصها ولا يملك الأدوات الفنية للشعر ، والملكة اللغوية فسوف يكون انتاجه هزيلا ، وان حشد فيه عشرات النقط ، وعلامات التعجب ، والاستفهام . ودقت له كل طبول الاعلان ووسائل الاعلام التى ينتمى اليها .

ان الذين يملكون القاعدة اللغوية ولا يعرفون التاريخ الأدبى والفكرى للأمة العربية لن يفلحوا فى خلق أدب خالد ، وان قلدوا

شعراء الغرب واقتبسوا من افكارهم وتعلقوا بها .. فانهم لجهلهم بالعربية لن يحصلوا الا على القشور وسوف تفوتهم اللآلى والدرر.

ان الابتعاد عن العربية شعور بالنقص ، واعتراف بالهزيمة النفسية ، لأن المقلد لا بد أن يسير فى هدى ما يقلد ، ولن يقدر ان يتفوق على النموذج ، ما لم يملك اصالة وقابلية كبيرة وفهما عميقا لآداب لغته ولغة الغرب .

انتشر هؤلاء الضعاف المهازيل فى وسائل الاعلام بعد أن احجم النقاد عن وضعهم فى حجمهم الطبيعى ، لأن أكثر المشرفين على نشر كتب الأدب العربى فى اكثر الأقطار العربية هم من أبعد الناس عن اللغة العربية ، والآداب ، فقد جاءت بهم الظروف المرتبكة فى التوجيه الفكرى والاعلامى لحماية النظم والدفاع عنها . دون مراعاة للقابلية العالمية .

فكان رجال الإعلام أداة طيعة بيد الحكام، وخائفة على مراكزها شغلها الخوف والارتباك عن الأدب وتياراته . فشكل هؤلاء مراكز قوى اشبه بالعصابات والزمر كى تحافظ على مصالحها .

أن سلامة اللغة العربية وحمايتها من العبث هدف من اسمى الأهداف القومية ، ودفاع عن المقومات العربية ووحدتها .. وينبغى عدم التساهل فى هدم اللغة والعبث بالمقومات الجميلة ، التى قامت عليها العربية والتراث الاسلامى .

ليس التجديد غريبا على الأدب العربى ، ودعاة لتجديد

موجودون فى كل العصور ، وسوف نجد هؤلاء ما دامت الآداب تعبر عن احاسيس البشر ، وتصور حياته ومشاعره .

ففى العصر الاسلامى والأموى والعباسى كانت هذه الدعوات متأثرة بطبيعة التيار الجديد ، الذى دخل المجتمع العربى والفكر الاسلامى .

كان الشعر الجاهلى معبرا صادقا عن حياة العربى فى حبه وبغضه ، وفى سفره واقامته وانتجاع الكلأ والبحث عن مصادر الماء فى وصف حياة القبيلة ومثلها العليا : من كرم ونجدة ونخوة والدفاع عن الكرامة .

ثم برز الاسلام بتعاليمه الجديدة فآثر المسلم تعاليمه ، واعتمد عليها وسكت بعض الشعراء بعد أن وجدوا فى القرآن الكريم فصاحة وبلاغة واسلوبا فيه الجدة والطلاوة والتحدى ، فقد قيل للشاعر لبيد لم لا تقول الشعر فقال : فى سورة البقرة وآل عمران شغل عن الشعر[١] .

كان الابتكار التجديد فى الشعر من ضرورات تطور الحياة ، فى مختلف العصور ليعبر عن الأحداث والتغيير الاجتماعى والفكرى .

ثم هبطت مقاييس الشعر وانكمش أثره فى المجتمع وأصبح اداة من أدوات الزلفى ، والتقرب للسلطان ، لأن الشاعر يعيش على رفد

---

(١) محاضرات الأدباء ص ٨٠ .

السلطان ، وما تمنّ به عليه يده ، فبولغ فى العطاء وغالى الشعراء فى الوصف والمديح مبالغة مجّهـا الـذوق الأصيل ومنها هوجم الشعر العربى .

مع ان قصائد المديح والزلفى يتساوى فيها الشرق والغرب ، فلما كَان الشعر الغربى بعيدا عن هذا الاتجاه وكان الملوك والأمراء والنبلاء محط أمل الشاعر ، والممثل ، والمسرحى ، وفى قصورهم ازدهر الأدب الغربى وفى رعايتهم تطور المسرح الأوروبى .

كانت بداية التجديد فى الاسلوب الأدبى والفكر الفنى عندما تحضرّ الشاعر ، وأصبحت مساكنه المدن والبيوت الوارفة الظلال ، ولم يعد يسافر من أجل الماء فقد سكن على ضفاف دجلة والفرات وعاش عيشة يسيرة سهلة وأصبح طعامه سائغا لذيذا .

فلم تعد ضرورة للوقوف على الطلل ، والتغنى بالصحراء ، والبحث عن بعر الآرام ونؤى الحوض .. حتى قال أبو نواس :

دع الأطـلال تسفيهـا الجنوب وتبلى عهـد جدتهـا الخطوب
وخـلِّ لراكب الوجنـاء ارضا تخـب بهـا النجيبـة والنجيب

وقد دافع المحافظون عن هذا الأسلوب وهاجمه المحدثون ، فكانت حربا سعرت بين التطور والتجديد .. وقد وقف ابن قتيبة موقفا وسطا ، ودعا الى ضرورة الأخذ بالتجديد والتطور دون ترك التراث

الاصيل ، وقد سار فى كتابه على هدا النهج فقال :

(ولم اسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له ، سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره .. ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين واعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه .) .

وقد علل هذا الحياد بما كان يراه من تعصب للقديم وعدم العناية بالجديد لأنه معاصر فقال :

(فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه فى متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه أو أنَّه رأى قائله) .

وكان الناقد صادق النظرة عميق الرأى وآمن بالجيد مهما اختلف عمر الشاعر وعصره فقال :

(ولم يقصر الله تعالى العلم والشعر على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً فى عصره وكل شرف خارجية[1] فى أوله ،

---

(١) الخارجى الذى يخرج ويشرف بنفسه ، من غير ان يكون له قديم ومنه الخارجية وهى خيل لا عرق لها فى الجودة فتخرج سوابق وهى مع ذلك جياد .

وجاء فى الوساطة ، ومتى سمعتنى أختار للمحدثين هذا الاختيار ، وابعثه على الطبع ، وأحسن له التسهيل ، فلا تظن أنى اريد بالسمح السهل الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث ، بل اريد النمط الأوسط ما ارتفع عن الساقط السوقى ، وانحط عن البدوى الوحشى).. ص ٢٣ .

فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين ، وكان أبو عمر بن العلاء يقول : (لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد ، هممت بروايته) .

(ثم صار هؤلاء قدماء عندما بعد العهد منهم ، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمى والعتابى والحسن بن هانى واشباههم ، فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه وأثنينا به عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه كما أن الردىء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه ..)[1] .

وقد روى الآمدى مثل هذه الرواية فى مهاجمة الشعر المعاصر لأنه جديد والتعصب للقديم لأنه أصيل فقال :

(وما أكثر من ترى وتسمع من حفاظ اللغة وجلبة الرواة ، من يلهج بعيب المتأخرين ، فان احدهم ينشد البيت فيستحسنه ويستجيده ، ويعجب منه ويختاره ، فاذا نُسب الى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذّب نفسه ، ونقض قوله ورأى تلك الغضاضة أهون محملا وأقل مرزأة من تسليم فضيلة لمحدث والاقرار بالاحسان لمولد .) .

(حكى عن اسحق بن ابراهيم الموصلى أنه قال انشدت

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٢ طبعة دار المعارف .

الأصمعى :

هل الى نظـــرة اليك سبيل فيبل الصدى ويشفـى الغليل
إن ما قل منك يكثـــر عندى وكثـــير ممـــن تحـــب القليل

فقال : والله هذا الديباج الخسرواني ، لمن تنشدنى ؟ فقلت انهما لليلتهما ، فقال : لا جرم والله ان أثر التكلف فيهما ظاهر)[1] .

وفى دراسة كتب النقد العربى سنجـد ذلك الأمـر واضحـا فى (الموشح) و(سر الفصاحة) و (الشعر والشعراء) و (الوساطة) فحول الشعراء وغيرها من كتب النقد العربى فقد هاجم ابـن الاعرابـى الشعر المعاصر له فقال (انما اشعار هؤلاء المحدثين ، مثل ابى نواس وغيره ، مثل الريحان يُشم يوما ويذوى فيرمى ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا) ..(وأنشده رجل شعرا لأبى نواس أحسن فيه ، فسكت . فقال له الرجل : (أما هذا فمن أحسن الشعر ؟ فقال : بلى ، ولكن القديم أحب اليّ ...)[2]

وخشى الآمدى لوم اللائمين اذا كان حياديا فقال : (وليس يجب اذا رأيتنى أمدح مُحدثا أو أذكر محاسن حضرىّ أن تظن بى الانحراف عن متقدم أو تنسبنى الى الغض من بدوى ، بل يجب أن تنظر مغزاى

---

(١) الوساطة ص ٥٠ ، ورويت فى الأغانى بشكل آخر .

(٢) الموشح ٣٨٤ ، للمرزبانى ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة ١٩٦٥ .

فيه ، وان تكشف عن مقصدى منه ، ثم تحكم عليّ حكم المنصف المتثبت وتقضى قضاء المقسط المتوقف ..)[1] .

وبذلك فالجديد والقديم معركة مستمرة ومن النقاد من يساير القديم ويتعصب له ومنهم من يتعصب للحديث ويبالغ فيه ، وكان فيهم الوسط والمعتدل الذى لا يهمه الا الجودة فى الأسلوب ، والمعنى والموسيقى .

وقد أنصف ابن قتيبة المحدثين ، ثم انصفهم الثعالبى وعد شعراء الجاهلية مرحلة من مراحل الشعر العربى ، وان لدى المعاصرين شعرا أحسن من شعر العصر الجاهلى . وقال ابن رشيق صراحة بأن الشعر المعاصر أو المحدث خير من القديم ، لسهولة عبارته ويسر كلماته وكل شعر فى الجاهلية جيد نجد له ما يحاكيه فى الشعر المحدث ، وما كان من قبح فهو من عندهم .[2]

وبقيت حركات التطور والتجديد تؤثر فى الشعر العربى ليساير الحياة المعاصرة التى يعيش فيها الشاعر دون أن نجد الأغلاط اللغوية والخروج عن الذوق الأصيل برغم ما دخل الى الفكر الاسلامى من آراء وفلسفات يونانية ، وهندية ، وفارسية ، التى فرضت المجون والطيش وذكر المحرمات ، والغزل بالغلمان ، وكل شاعر كان يعكس جانبا من تجارب المجتمع ، فمطيع بن أياس ، وأبو نواس

---

(١) الوساطة : ص ١٥ .

(٢) العمدة : أصل الرأى لأبى عمرو بن العلاء جـ ١/٩٠ ـ ٩١ .

، فى جانب وكان أبو العتاهية فى جانب مغاير لهما ، وكان اتجاه الشعر عند المتنبى يختلف عن مؤثرات الشعر عند أبى العلاء ... فقد حافظ هؤلاء جميعهم على الاصالة والموسيقى وسمو المعنى . مع رسم صور صادقة للمجتمع الاسلامى الذين كانوا يعيشون فيه وابراز تجاربهم الذاتية ومشاعرهم الخاصة خلال شعرهم .

تطور الاطار الفنى :

لم يقف الشعر العربى طوال عصوره عند تجديد المضمون ، عندما ادخل متطلبات الحضارة الجديدة التى غيرت المفاهيم فى استعمال العبارات والاستفادة من الألفاظ بحسب ثقافة الشاعر وعمق فكرته انما جدد الشاعر فى الشكل والأطر الفنية بصورة عامة وبرز التجديد فى المغرب بصورة خاصة ، وفى الموشحات بروزا ظاهرا ، وأحبها الشعراء وأكثروا النظم فيها .

والموشح احد الفنون الأدبية والفنية التى تفرد بها أهل المغرب وعدوا الموشح ميزة امتازوا بها على أهل المشرق .. وقد توسع المغاربة فى فنون الموشح ، وأكثروا من انواعه ، واشكاله ، وتنوع قوافيه وأوزانه[١] واستنبط اهل الأندلس ضروبا متنوعة وأوزانا مختلفة .

وسار الجديد والتطور حثيثا وظهر الرجز ، والمواليا ، الذى اخترعه

---

(١) توشيح التوشيح صلاح الدين خليل أيبك : الصفدى طبعة ١٩٦٦

أهل واسط ، من بحر البسيط ، والكان كان ، وله وزن واحد وقافية واحدة ، ولكن الشطر الأول من البيت اطول من الشطر الثانى ، وقد اخترعه اهل بغداد والقوما وقيل ان أول من اخترعه ابن نقطة[١] والسلسلة[٢] وغيرها من الأطر الشعرية .

وظهرت المربعات ، والمثانى ، والمسمطات ، وغيرها من الاطر الجديدة التى لم يألفها الشعر العربى القديم .. لأن الشاعر العربى كان ذا محصول لغوى كبير وثروة لفظية واسعة ، فلما تحددت ثقافته اللغوية ، ودخل فى الفكر العربى الأنماط الجديدة ، لم يكن الشاعر الجديد قادرا على الحفظ . واعتمد على الكتابة والتسجيل أكثر من اعتماده على ذكائه ومحفوظه الشعرى .

وكان اتساع محصول الشاعر اللغوى ، هو الذى سهل عليه تطويل القصائد وتنويع القافية ، والحفاظ على (الروى) ، ولما ضاقت به حيل الحفظ نراه يلجأ الى الضرورات الشعرية الكثيرة منها الخرم والخزم[٣] .

والعربية من أكثر اللغات مفردات ومرادفات ، فقد وجدنا فى اوائل

---

(١) العاطل الحالى والمرخص الغالى لصفى الدين الحلبى تحقيق وهلم هونرباخ طبعة ألمانية ١٩٥٥ فيه تفاصيل وافية

(٢) ألف الزميل الدكتور كامل الشيبى كتابا عن هذا الفن وجمع فيه نماذج كثيرة

(٣) الخزم : اشتراك الواو مع الياء فى ردف القصيدة وهو حرف العلة الذى قبله نحو غيور وعسير .

الشعر العربى أن الخنساء تقول :

حمّال ألويةٍ

هبّاطُ أوديةٍ

شهّاد أنديةٍ للجيش جرارُ

سخارُ راغيةٍ

قهّارُ طاغيةٍ

فكّاكُ عافيةٍ للعظم جبارُ

ووجدنا الشاعر الحموى يقول :

قل للأمير اخى الندى والنائل الهطال للشعراء والقصاد
لا زلت تنهك العدى بالذابل العسال والحساد

فقد جاء بخمس قواف فى البيت الواحد لأن محصوله اللغوى كان كبيرا ، وما تعذر عليه تعداد القوافى ، ومع ذلك فقد حافظ على الأسلوب الجيد ولم يدخل شعره الهزال ..

ولم يبق من تلك الحركة الجديدة ،والأساليب المتطورة التى فرضها هؤلاء الشعراء غير الموشح ، لقربه من الذوق الأصيل ، ولمحافظته على الموسيقى والجزالة اللغوية ، ومن أشهرها الموشح .

ايهـــا الساقـــى اليك المشتكى   قد دعونـــاك وان لم تسمع
ونـــديم همـــت فى غرته وبشرب الـــراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الـــكأس اليه واشتكى وسقانـــى اربعـــا فى اربع

ليس لى صبر ولا لى جلد
يا لقومى عذلوا فاجتهدوا
انكروا شكواى مما أجد

مثـــل حالى حقهـــا ان تشتكى كمـــد اليأس وذل الطمع

كبد حرى ودمع يكف
يعرف الذنب ولا يعترف
أيها المعرض عمّا أصف

قد نمـــا حبـــك عنـــدى وزكا   لا تقل فى الحب انـى مدعى[١]

وسار الموشح ـ فى المشرق والمغرب ـ وتفنن فيه الشعراء وادخلوا فيه عددا من البحور والقوافى وسمى بأسماء متنوعة ، وظهـر بأشـكال متعددة وسجل الشعر صفحات خالدة فى التطور والتجديد من خلال هذا الابداع المحدث .

---

(١) لابن معافر أو ابن زهر أو لابن المعتز على اختلاف آراء المؤرخين .

الدمار السياسى :

وبدأت الدولة الاسلامية تتدهور ، وسرى فى اعطافها التفرق ، والأثرة ، وتغلب على مقدرات الفكر العربى والاسلامى ، من لم يعرف حتى اللغة العربية ، وان كان مسلما ، ثم سيطرت الأطماع الفردية فغلبت الفردية الانسانية ، وتنازعت الفرق وتقاتلت الطوائف وسفك الدم المسلم والعربى بلا حساب .. وتفرقت الانبراطورية الاسلامية الى حكومات ، ودول ، مما شجع المغول على ابادة القوم المتفرقين ، والأمة المقسمة ، المتناحرة وحكم دولة العرب والاسلام ، الأجانب بله الكفار وعباد الوثن .

واعادت الدولة العثمانية الأمل ، عندما بدأت تتسع واعلنت الاسلام دينا لها ، وسيطرت على العالم العربى الذى أحس بالرضا بحكم هذه الدولة الجديدة ، التى تحمي دينهم وتذود عن عقيدتهم ، وبقى القرآن الكريم يتلى فى المساجد وفى المدارس وحفظ الاسلام والعرب من الاندثار كالآشوريين والبابليين والفينيقيين واللاتين والبيزنطيين .

ومر الشرق العربى والأمم الاسلامية فى غفوة وهدوء ونوم عُنى فيها المؤلفون بشرح الكتب والتعليق على الشرح .. ولم نجد ابداعا أو تجديدا فى الفكر والأدب .

وبعد الشاعر عن المساهمة فى الحياة العامة ، وانصرف الى نفسه

مهتما بالمديح ، والقضايا الفردية ، مثل استهداء دجاجة ، أو باقة سعف أو الاحتفال بعرس ، أو ختان أو بناء حجرة أو غرفة .. وركن الى الجمل الجاهزة ، والألفاظ المبالغة ، والكلمات التى لها جرس واضح .. ونبرات عالية .[1]

وبقى الشعر فى هذا الاطار والأسلوب الفنى الذى لا يلائم الذوق المعاصر ، لعدم وجود تجارب جديدة واحداث تطور الشعر العربى ، وتجدده ، وتخرجه من ركوده وهدوئه .

وكانت اصوات مدافع نابليون فى حملته تتردد فى جميع الوطن العربى والاسلامى والشرقى ، وأحس المفكر بالخطر الذى يتهدد أمته .. وشاهد العرب اشياء جديدة ، وعلوما غريبة ، لم يسمع بها من قبل ورأى التجارب فى المختبرات التى ادهشت (الجبرتى) ومن رآها من علماء مصر .[2] .

وظهرت الطباعة والصحافة والكتب ، ثم كثر انتشارها بعد أن حكم مصر محمد على باشا ، وعادت البعوث من اوروبا ونشرت الفكر الغربى ، وأشادت بروح الغرب فى الحرية وأدهشها ما رأت وما سمعت .. من هذه الحضارة العجيبة .

وبدأت الكتب القديمة والدواوين تنشر محققة ومطبوعة ويستفيد

---

(١) الشعر العراقى فى القرن التاسع للمؤلف فيه أمثلة يمكن مراجعتها .

(٢) فى تاريخ الجبرتى شواهد كثيرة .

منها المفكر بعد ان اصبحت اقل كلفة وأوسع انتشارا من المخطوطات ، وظهر البارودى ، ثم اسماعيل صبرى ، وجاء بعدهما احمد شوقى وحافظ ابراهيم ومطران وسرت الروح الى العراق فظهر الرصافى والزهاوى والشبيبى ، وظهرت هذه الروح مع ما كان من أثر البعثات التبشيرية فى الشام فى التجديد وولدت لنا الأخطل الصغير وبدوى الجبل .. وابراهيم طوقان وغيرهم من شعراء التطور والتجديد .

وبدأت القصيدة العربية تأخذ مسارا حديثا ، فقد سرت فيها روح المجتمع الجديد ، وظهرت آثار هذه الحياة فيها ، وبدأ الشعراء ينظمون بوعى جديد ، واتجاه فكرى نحو مشكلات الشعب وقضايا الأمة .. وبدأت النضارة تسير فى اعطاف الشعر .

وثار المحافظون كراهية للجديد ، ودفاعا عن التقاليد الشعرية التى الفوها وعاشوا على شكلها ، ومضمونها ، وأساليب الشعر المتحجرة .

والحق ان التجديد ساير العصر الحديث ، ولم يبعد عن التراث ، لأن الحاضر هو وليد الماضى والحضارة المعاصرة لها جذورها فى الحضارات جميعها ، وكل الحضارات فى مختلف العالم تأخذ من غيرها وتستفيد من الجديد وتجدد تياراتها .

واخذ الشعراء بالالتزام بقضايا الفكر ، والسياسة ، والاقتصاد ، والعلم .. وكان الفكر الاسلامى على الأعم هو الذى يدفع الشاعر الى

التجديد ، فى الدفاع عن عقيدته واثر الاتجاه الشرقى أو الاقليمى وكان يدفعه للتغنى بوطنه وبموقعه الجغرافى .

وقد التزم الشاعر فى كل اقطاره الشرقية والعربية والاسلامية بالمثل السامية ، والتقاليد الأصيلة ، وكان واقعيا فى تجديده بادخاله حوادث المجتمع ، ومشكلاته فى الشعر ، كالفقر ، والمرض ، والجوع ، ومآسى المجتمع العامة ، وأثار الاستعمار فى تكوين حكومات وجهها عربى ، وباطنها واتجاهها أجنبى .

وقد ارهفت الحوادث فكر الشاعر وساعدته على بناء شخصيته الفنية فى تطوير أدبه .. وابتعد عن الألفاظ واهتم بالمعانى وسرت روح العلوم العربية والاتجاهات الفلسفية فى الشعر والنظريات العلمية . فى ثنايا الرأى .

وجرب وصف المخترعات الحديثة ، وتبنى بعض آراء فلاسفة المجتمع والسياسة ورددت اسماء لم يعرفها ابن الشرق من قبل .

هذا التجديد وهذا التطور لم يمسخ الشخصية العربية ، وما اضاع الفكر العربى ، لأن الشعراء كانوا يملكون قاعدة فكرية اصيلة فما انبهروا بالتيارات الجديدة ، وما جرفهم الفكر الحديث ، انما استفادوا منه واحتوى الفكر مضامينه فى سبيل التطور والتجديد .

وبذلك امتلك التجديد ، والاصالة ، ولم تمتلكه الآراء الجديدة ويغرق فى بحرها لأنه سبّاح ماهر ، تسلح بالفكر الأصيل ، واختار اصالة التراث ، وصفاء الاسلوب ، وجزالة التركيب ، واستغلها فى

وصف تجاربه الذاتية ، ورسم حياة المجتمع المتطور الجديد ، فكان أدبه قوى الديباجه . جديد المعانى ملتصقا بالمجتمع الجديد ومستفيدا من أصالة التراث وصفائه .

* * *



الفصل الثانى

بواعث التجديد وجذوره

الشعر الجديد

سواء أراد الدارس أم لم يرد فقد اصبحت عبارة (الشعر الحر) مصطلحا محدود المعنى يدل على ما ينشر هذه الأيام من الكلام العجيب الذى تكثر فيه الفواصل ، واشارات الاستفهام ، وعلامات التعجب ، والتفعيلات المختلفة الوزن المتباينة الأشكال ، بلغة لفها الغموض وسرى فيها الرمز الذى لا يفهمه قائله .

وضاعت الصلة الفنية بين القريحة الشعرية ، والموسيقى الأصلية ، والبنية الفنية ، لأن أكثر التجارب ليست صادقة وتعتمد على الشكل السطحى ، والفكر المراهق ، ولا تلتزم بالصيغة الفنية للشعر .

وما كان الشعراء الرواد ، يفكرون بما آلت اليه حالة الشعر اليوم فقد كانوا شديدى الحرص على مراعاة القواعد الفنية ، والأسس الجمالية ، للشعر والحفاظ على الذوق العربى ، وقواعد اللغة العربية ، وأساليبها الممتازة .

ودعاة التجديد اليوم ارادوا ان يقلدوا الغرب ، دون ان يعرفوا أدب الغرب ودون أن يفقهوا ما يريدون ، فقد قال ارسطو : إن الفن تقليد للطبيعة ولكنه افضل من الواقع . ومعناه ان تكون وحدة القصيدة وتكاملها العضوى يوحى بلذة فنية تفوق لذه الواقع إن المقلد (بكسر

الدال) لا بد له من دراسة مستوعبة للمقلَّد ، وحياته واختيار النماذج الجيدة ، ليسير على منوالها ، والاستفادة من معارضتها المعارِض أو المقلِّد أو المحاكِى .

ولا يعرف أكثر هؤلاء تطور التجديد فى الشعر الغربى ، وما الاسباب التى دعت اليه وما الحاجات الفنية والفكرية والاجتماعية التى ادت الى ظهوره .

إن أثر الاضطراب الروحى والقلق النفسى والانفصام فى شخصية الغربى ، التى فرضتها تغييرات حياته من الاقطاع والزراعة الى الحرية والصناعة ، وسيل المخترعات الكثيرة وسيطرة الآلة ادخلته فى دوامة المادة ، وخلفت للغرب مشكلاته الحضارية من جراء الحياة المادية الجديدة ، فكان شعره رد فعل لحياته ومشكلاته وحضارته وضياعه .

بداية التجديد :

كانت بدايات التجديد فى مصر محاولة تقليد أدب الغرب ، بما قام به ابراهيم عبدالقادر المازنى الذى كان يعرف الانكليزية وعباس محمود العقاد الذى أشك فى معرفته لها ، فى تلك الفترة ، فقد تأثر المازنى وعبدالرحمن شكرى وخليل مطران بالانكليزية ... اكثر من العقاد ، عندما دعا شكرى الى الشعر المرسل ، وسار مطران فى تجديد المعانى

والأساليب .. وابرز ماجدد فيه خليل مطران ، مهاجمة الاستبداد والحكم الفردى المطلق ، فقد كان يحس كأنه فى سجن وان حريته كانت مسلوبة فى لبنان . وان الحرية مضمونة فى مصر ، والحق ، ان مصر كانت تتمتع بحرية كبيرة فى ظل الاحتلال البريطانى ، قياسا بالاقطار العربية الأخرى ، فقد اضفى الانكليز معالم الحرية على مصر ، وتركوا للصحافة والكتاب حرية كبيرة ، مادامت لاتؤثر فى مصالحهم وتهدد وجودهم ، والاستفادة من خيرات مصر .

فقد نظم المازنى فى نيرون وحرق روما وفى (تيلفول) الذى عين حصانه رئيسا لمجلس الأعيان ، سخرية بالأعيان ، وخرج الى نتيجة اثبت التاريخ صدقها بأن الشعوب القوية الواعية لن تدع الفرد يتحكم فى مصيرها ، ويسوقها كالقطيع ، وانها هى التى تخلق الجبار الذى يسومها سوء العذاب ، بذلتها وطاعتها ، ولو ثارت عليه وحاسبته على اخطائه لما تجرأ على الحكم المطلق وظلم ابناء الشعب قال :

كل قوم خالقوا نيرونهم قيصر قيل له ام قيل كسرى

وفى قصيدة لزرجهر قال :

هم حكموه فاستبد تحكما وهم ارادوا ان يصول فصالا
ماكانت الحسناء ترفع سترتها لو ان فى هذه الجموع رجالا

اضافة الى اكثاره من القصص الشعرى والمعانى الأجنبية فى تجديده ومن جميل شعره القصصى :

هل تذكرين ونحـــن طفلان عهـــدا بزحلـــة ذكر غُنْمُ
اذ يلتقـــى فى الـــكرم ظلان يتضاحـــكان و يأنس الكرم

فالدعوة الى الحرية ومهاجمة الحكم الفردى ، كانت من مظاهر التجديد ، لأن هدف المجددين كان ادخال عناصر جديدة فى الشعر العربى ، مؤكدين على المضامين المتطورة والآراء الجديدة ، لاثبات الذات ، وابراز الشخصية الفردية ، بعد ان غطى احمد شوقى عليهم ولم يترك شعره لهم مكانا فى الساحة الأدبية .

ويجب ان نعرف جيدا ان الأديب الغربى ، وبخاصة الشاعـر الانكليزى الذى سار فى ظلاله هؤلاء المجددون ، له ارث حضارى وتراث ادبى وفكر عريق ، اساسه المسيحية مختلطا بتيارات حضارية ولغوية لها جذور تتصل باللاتينية والرومـانية واليونـانية والـكلتية ، اضافة الى اثر السكسون والانجلس ومافى اسكتلندة واوروبـا من تجارب متنوعة وافكار وثنية واساطير وخرافات متنوعة فى عالم الفكر الغربى اجمع .

ولكن ابرز تيارات التجديد والثورة على الأدب القديم ، الحركة التى قام بها الشاعـران الانـكليزيان وردزورث *W.Wordsworth*

وكلولـــرج S.T.Coleridge عندمـــا نظما القصائــد الغنائية Lyrical Ballads فقد خططا للتجديد وكان يعرفان القصد من عملهما وحددا المفاهيم الأدبية ، والأساليب الشعرية ، التى يجب ان يسيرا عليها سلفا ، وان اختلفا فى التفاصيل فيما بعد .

كانت الأغراض محدودة بأن تكون لغة الشعر واضحة ، وقريبة من لغة الحياة ، على اختـلاف عصـور النظـم ، مع الحفـاظ على الموسيقى الجيدة ، لأن الشعر لايقوم الا بها وعلى رنينها الخالـب ، ومسيرتها الفنية الجميلة ..

وهو أمر سبق ان دعا اليه العرب ، ووجدناه واضحا فى شعر ابى نواس وابى العتاهية وشعر ابن نباته فيما بعد .

ولم يكن المجددون العرب ، قد اتفقوا فى هذه الفترة على معانى الشعر وتجديده ، وظنوا بأن الشعر الحر Free Verse كما قال النويهى - هو الذى يتحرر من القافية او الشعر الذى يغير البحور فى قصيدة واحدة ، او انه الشعر الذى يغير عدد التفاعيل من بيت الى بيت[١]

ومأأراد الفرنجة او طلب ت . اس . ايلوت ماذهب اليه هؤلاء (انما الذى كانوا يعنون به الشعر الذى يتحرر تحررا مطلقا من اى ترتيب ايقاعى)[٢] .

---

(١) قضية الشعر الجديد ص ٢٧ ، ٢٨ معهد الدراسات والبحوث العربية القاهرة ١٩٦٤

(٢) المصدر السابق ص ٢٨

ورأى اليوت ان التحرر يجب ان يسير على قاعدة فنية ادبية و (ان الشاعر الحق لايسعى الى التحرر من الشكل الموزون وان الشاعر الرديء وحده هو الذى يحاول التخلص من الشكل الموزون)[1]

وبغير الموسيقى يخرج الشعر عن عمله لأن الموسيقى وحدها (تمكن الفاظ الشعر من تعدى عالم الوعى والوصول الى العالم الذى يتجاوز حدود الوعى التى تقف دونها الألفاظ المنثورة) .[2]

ان النقاد الانكليز صبوا نقدهم على شعرهم الذى يصف مجتمعهم ويتجاوب مع تقاليدهم الفنية وتراثهم الحضارى والفكرى ، ان شكل الأدب الانكليزى وعمره محدود زمنيا بظهور جوسر (Chaucer) حتى العصر الابداعى وماكان بعيد التأثير فى الحياة الانجليزية التى عاصرها لقصر عمر الأدب والعدد المحدود من الأدباء .

بينما الأدب العربى له ارث حضارى عريق وأصيل تمتد جذوره وعصره الحضارى ، قبل ان يتحضر الانكليز . ففى الوقت الذى كان العربى ينعم بحضارته وترفه وحماماته ، كان الانكليز يعيشون حياة بدائية ويلبسون الجلود التى يسلخونها من الصيد .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨

(٢) المصدر ذاته ص ٢٩

فينبغي على النقاد الذين يفرضون النقد الغربي على ادبنا وفكرنا ، ان يعرفوا الارث الحضارى لهذا النقد ، ويدرسوا تطوره واسبابه واثر الحضارة الغربية فيه ، قبل ان يفرضوه على بيئة ارسخ حضارة من ادب الغرب .

فان شكل القصيدة الانكليزية تختلف اختلافا بينا عن شكلها عن القصيدة العربية فى قوافيها ، واوزانها ، وخيالها ، ونظامها ، المفروض من حياة الغرب .

ان عدم الوعى والفهم العميق للتراث الغربى ، والحضارة العربية ، ساق هؤلاء الى فوضى فى اللغة والابتعاد عن الأوزان العربية ، والتخلى عن القواعد الفنية للشعر ، ومجانبة السمات الأدبية الجمالية ، فى الأدب العربى فكانت لغتهم غريبة التراكيب ، والاشتقاق ، تسير بلا نمط فنى ، او اسلوب موسيقى او نسق جمالى رفيع .

عندما اقرأ الشعر المعاصر الذى ينشر اليوم فى الجرائد او اسمعه يلقى فى المحافل الشعرية ، اعجب لهذا الأسلوب الذى لايفهم والنمط الذى لايملك اصحابه ابسط قواعد الذوق الفنى ، القائم على رهافة الحس ، وموسيقى اللفظة ، وصدق التجربة ، واثرها الروحى فى جمال العبارة ورقة اللفظ وانسجام الصور .

ولو درس هؤلاء اسس الأدب الغربى دراسة جيدة ، او تعرفوا على اصالة الأدب العربى ، لما ضاع الذوق الفنى ، وتخبط المنتج فى

فوضى من ترتيب الكلمات ، ورصف العبارات ، لأن الشاعر ارق الناس احساسا واكثر تأثرا بالجمال واقدر على نقل احساسه المرهف الى المتلقى ..

الفراغ الروحى :

انا لا ألوم هؤلاء الشباب المعاصر الذين عكفوا على تقليد الشعر الغربى ، دون فهم ، ولست ضد التجديد والتطور . بل انا من رواده ودعاته الأوائل .. انما اخشى على هؤلاء الشباب ، وفيهم نخبة جيدة ، ان تضيع شخصيتهم الأدبية وتمسخ آراؤهم الفكرية والفنية باسم التجديد والتطور . وان يضلوا طريقهم فى متاهة فكرية لايعرفون طريقها ، ومادرسوا اصولها ، وفهموا مشكلاتها فهما جيدا . كما تاه الكثير منهم وضل سبيل الفن والشعر والفكر .

ان الهزات الاجتماعية والاضطراب السياسى ، والتناقض الفكرى ، والتغيير الحضارى ، الذى حدث فى اوروبا من اثر سيطرة الآلة العمياء ، والمادة القاسية ، افقدت الفكر الايمان فى كثير من مفاهيمه القديمة وعاداته الموروثة ، واستعاض عنها بتجربة المعمل ، والايمان بالعلم التطبيقى الصرف ، واغرق نفسه فى هذه الظاهرة العلمية التى لم تسعده بعد ان جربها ولمس آثارها . وقادته الى فراغ روحى آذاه ، فركن الى (الميتافيزقيا) الفكرية يخدر بها نفسه

ليبعدها عن سيطرة المادة الجافة التى مات فيها الرواء ، وندر فى كيانها الماء .. وجفت منها خضرة الحياة ونضرة الروح .

ان حضارته لم تسعده ، ولم تسعفه بعد ان خلت من همسات الروح ، وحنان الحياة .. فانصرف الغربى الى نفسه والى فردية متطرفة ، يظهر فيها انهزام العقائد ، وهروب الايمان ، وعدم اطمئنان النفس .. ولم يعد يرتبط الا بالحاجات الفردية ، والنفع الذاتى ، والمتعة الخاصة .. فكان انتاجه مؤكدا لهذه الذاتية المطلقة .. والنزعة الفردية الواضحة .

هذا القرن الذى يعيش فى ظلاله الفراغ الروحى ، تسود فيه الأثرة ، وحب الذات والنرجسية .. التى ولدت العنف فى القول والثورة فى المجتمع الغربى .. فسرت هذه الظاهرة فى الفن والأدب .

هذا الفراغ الروحى جر الى القلق العميق ، والحيرة النفسية ، فأبعدت شباب الغرب عن التأمل الهادىء ، والمتعة المترفة ، والاحساس المرهف ، الذى يوحى بالفن الأصيل والأنغام الصافية ، وانغمس فى المتع السريعة ، والمخدرات القاتلة التى ادت به الى العصابات لهدم المجتمع ، الذى لايلائم نرجسيته وحب ذاته . وقد جر الفراغ الروحى الى التشاؤم والسخط والتبرم من الحياة لأنه يعانى من انفصام واضح بين الحياة الحقيقية ومثلها ، وبين التطبيق الواقعى لها .

وشبابنا يعانى أشد المعاناة من حياته المعاصرة وطموحه السياسى والفكرى بعد ان تخلف التطبيق العملى عن المثل العربية ومجتمع

العرب ، فهو يعانى برهافة حسه من هزيمة روحية من جراء النكسات المتوالية ، وانعدام الحرية الفكرية ، وقتل الحرية الفردية وتخلف المجتمع عن مسايرة الحياة البشرية ، وتسلط الفرد على مقدرات المجتمع .. فكان انتاجه سريعا وفكره سطحيا ، وتتمثل هذه الخيبة والمرارة فى شعر عبدالله العثيمين :

حدثونى
منذ ما يربو على عشرين عاما
ان اسرائيل باطل
فتقدمت الى الميدان عن حقى اقاتلْ
غير انى كل مرة
اترك الساحة من غير انتصار
ثم لا البث ان أصغىِ الى شرح الكبارْ
يخبرون الناس عن سر الهزيمةَ
بعبارات تغطى دائما نصف الحقيقة
مرة قالوا : خيانة
مرة قالوا : تآمر
مرة قالوا : تدخل
وأخيرا ذكروا لى
اننى امضى الى حرب شريفه
تكفل العزة للاجيال والنصر المؤزر

وتعيد الأرض والحق الى شعبى المشرد
فتقدمت اقاتل
وتحولت الى نار تدمر
غير انى
بعد ما سطرت فى التاريخ انباء صمودى
وبدت فى غرة الكون تباشير انتصارى
اوقفونى
غرسوا فى الظهر خنجر
وأتونى بمشاريع كسنجر
بدأوا يحكون عن سلم وعن حل وسط
حقى الواضح بالزيف اختلط
فاذا الباطل بالأمس يقود اليوم حقا
واذا الكاذب بالامس يقول اليوم صدقا[1]

ان الهزائم المتوالية وانقسام العرب وتطاحنهم هز المثل العليا فى نفوس الجيل المعاصر ، وسرت فى النفوس الخيبة ، والمرارة ، والخذلان ، وضاعت الثقة بانفسهم ، فانصرف الشاعر والكاتب الى السلبية ، والبكاء والحزن ، بعد ان نزفت الامة العربية روحيا ، اثر المتناقضات الحادة فى مصير العرب ، وفى تسلط العدو ولم تؤثر الهزيمة

---

(١) عودة الغائب ص ٥٨ الرياض ١٤٠١هـ

على الشباب انما هزت الشعراء الكبار مثل نزار القبانى فقد قال :

أنهى اليكم يا اصدقائى

اللغة القديمه

أنعى لكم

كلامنا المثقوب كالاحذية القديمه

ومفردات العهد والهجاء والشتيمه

أنعى لكم

نهاية الفكر الذى قاد الى الهزيمه

مالحة فى فمنا القصائد

مالحة فى ضفائر النساء

والليل والاسفار والمقاعد

صالحة أمامنا الاشياء

يا وطنى الحزين

حولتنى بلحظة

من شاعر يكتب شعر الحب والحنين

لشاعر يكتب بالسكين[١]

ولخص الشاعر رأيه بقوله :

لقد خسرت الحرب مرتين لان نصف شعبنا ليس له لسان ما قيمة

---

(١) هوامش على دفتر النكسة بيروت ١٩٦٧

الشعب الذى ليس له لسان ؟!

من أول من جدد ؟

اختلف المؤرخون فى أول من جدد فى العصر الحديث ، والحقيقة ان فكرة التجديد بدأت مع أول النهضة الفكرية والأدبية فى المضمون الفكرى والادبى ، وسوف تسرى روح التجديد عند الشعراء مادامت الحياة تنبض بالحركة ، وتوحى للشاعر احداث عصره ، واضطراب مجتمعه بالجديد والمبدع .

ولا أشك فى أن الزهاوى هو اول من فكر فى التخلص من القافية ، لانها كانت ترهقه فلم يكن محصوله اللغوى كافيا لتكرار القوافى ، وقد كان الرصافى خيرا منه فى المحصول اللغوى والمفردات العربية . فأدى ضعفه اللغوى الى التجديد فى الشكل .

ووجدنا من قال ان محمد فريد أبوحديد اول من جدد ، وقال آخرون انه عبدالرحمن شكرى ، وقال ثالث انه باكثير ، ولاشك فى أن كل واحد منهم اراد ان يجدد . لقد كتب ابراهيم عبدالقادر المازنى وعبدالرحمن شكرى قصائد فى التجديد والتطور ، والشعر المرسل ، ولكن الزهاوى اول هؤلاء دون شك تاريخيا وضعفا .

ولابد من الاشارة بأن (على أحمد باكثير) من الرواد الأوائل الذين نظموا الشعر المرسل ، عندما اخبره استاذه الانكليزى بأن

الشعر العربى ليس فيه شعر مرسل ، فحـاول ان ينظـم (روميـو وجوليت) التى درسها فى الكلية وحاول المحاولة ذاتها فى مسرحية (اخناتون) واسماه (الشعر المنطلق) .

وقيل عن هذا النظم ، انه مزيج من النظم المرسل والنظام الحر ، فهو مرسل من القافية ، وهو منطلق لانسيابه بين السطور.[1]

وبذلك فقد وضع الشاعر تعريفا له عندما قال :

المنطلق : لن يكون البيت قائما على الجملة التامة المعنى سواء أكانت سطرا أم أكثر .

أما المرسل : فهو المرسل من القافية .

و (باكثير) جاء متأخرا عن الزهاوى وعن الشاعرين عبدالرحمن شكرى والمازنى ، اللذين تأثرا قبل باكثير بالأدب الانكليزى تأثيرا عميقا ، حتى اتهم شكرى بانه كثير السرقات من شعراء الغـرب وعدت هذه السرقات ، ودُلّ على أصولها من (شيللى) و (هاينى) و (هود) و (بيرون) وغيرهم من الكتـاب والشعـراء ، ولما صدر ديوانه سنة ١٩٢١ هاجمه المازنى وسماه (صنم الالاعيب) .

ولا أشك فى ان (شكسبير) و (ملتن) من الشعراء الذيـن نظموا الشعر المرسل ووصفوا فيه أجمل الافكار ، وأرق الاحاسيس ، وهما الشاعران اللذان يدرسان فى الأدب الانكليزى ويحفظ شعرهما فى

---

(١) على أحمد باكثير شاعرا غنائيا ، د . عبده بدوى ص ٤٠

المدارس الثانوية ، والكليات فى العالم العربى ، وتأثر الشعراء العرب بالأدب الانجليزى واضح كل الوضوح .

المصطلح الشعرى :

اختلف النقاد والشعراء فى تحديد مفاهيم الكلمات التى وضعت لحركة الشعر ، وخلطوا بينها خلطا عجيبا ، لانها كانت جديدة على الفكر الفنى ويمكن ان نحدد هذه المفاهيم الآن فنقول :

١ ـ الشعر المرسل

وهو أول ما فكر فيه الزهاوى وشكرى الفضلى فى العراق وعبدالرحمن شكرى وتبعه المازنى فى مصر ، وهو أقرب الى الشعر الانكليزى الذى احتذى حذوه الشعراء وسار على منواله « باكثير » فقد احتفظ بوحدة البحر او الوزن وغير فى القوافى ، متأثرا بالشاعرين الانكليزين (شكسبير) و (ملتن) ثم جاء (ولت وتمن) الامريكى الذى لم يلتزم بالأوزان والعروض والموسيقى الشعرية .

ان عدم توفر القوافى فى الشعر الانكليزى وبخاصة قوافى الحقيقة لا قوافى المجاز دعت الى الشعر المرسل ، فى اللغة الانكليزية ولم يكن العربى بحاجة الى هذا الضرب من الشعر لتوفر القوافى وكثرتها فى العربية .

٢ ـ الشعر المنثور

هو الكلام الذى لا يساير الأوزان الشعرية ، اى انه بلا موسيقى وليست فيه قواف ، انما يعتمد على جمال الصور ورشاقة الالفاظ ، وجرس الكلمات ، ويبرز فيه عمق العاطفة ، ورقة الاحساس ، وجمال الجرس .

٣ ـ الشعر الحر

الشعر الذى يعتمد على التفعيلة العروضية ، وبصورة خاصة على الأوزان الصافية ، وكان الرواد يهتمون باللغة العربية لاصالتهم الفكرية وقاعدتهم العربية الأصيلة . فما خرجوا عن الموسيقى والمعانى الجميلة ، مثل بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور ويوسف عز الدين وفدوى طوقان والبياتى ونزار قبانى .

ثم جاء جيل هوى واسف وظن الشعر هو الغموض والفوضى ، وتسطير الألفاظ ، وولج ميدان الشعر جمهور من المتشاعرين اساءوا لانفسهم وللتجديد .

وسوف يحكم الزمن على صلاحية هذا الشعر الذى ليس فيه ذوق فنى ، ورهافة حس ، لانه لم يحقق تطورا ملموسا فى مضامين الفكر ، ولم يأت بفكر مبدع ، يجدد فيه الاسلوب حتى قال بدر السياب ، (ثورة الشعراء الشباب على الشكل والقوافى والأوزان ثورة سطحية ، وانها اذا بقيت على ماهى عليه ستعود على الشعر العربى

بابلغ الضرر) وبالفعل اضرت ضررا بالغا ، وادت هذه الثورة الى اختلاف واضح فى التسميات والمعانى وعادت على الشعر بالتفاهة والسطحية ، لان الشعراء الأوائل لم يعرفوا الأدب الانكليزى كالزهاوى ، أو عرفه وحاول وضع مصطلح جديد له مثل عبدالرحمن شكرى وباكثير . والحقيقة ان الشعراء الذين ارادوا الخروج على الشكل العربى ، كانوا من ضعاف الشعراء ، ولا يملكون ثروة لفظية ، فأرادوا التخلص من القوافى ، او انهم جهلوا ان اللغة الانجليزية محدودة القوافى ، وقلما تجد الطباق والجناس فيها وقد تتفق الكلمة وتختلف فى المعنى ، لكنها لا يمكن ان تكون قافية مثل القوافى فى اللغة العربية برغم التساهل فى قبول القوافى . وقد أخفق الأدب الانكليزى فى صنع قواف للشعر تلائم اللغة الانكليزية ، وموسيقى الشعر ومقاطع الكلمات والألفاظ .

وقد حاول (يتس) الاعتماد على نصف القافية لتكون لديه اعداد أكبر من القوافى ، ولكنه اخفق لان المقاطع الانكليزية ما كانت تساعده كثيرا ، بالرغم من ان اللغة الانكليزية متأثرة بعدة لغات اجنبية ولها جذور تاريخية متباينة معها . فاعتمدت القصيدة الانكليزية على المقطوعة لانها أشد جمالا ، وأكثر تأثيرا ، وانسيابا موسيقيا ، بالنسبة للذوق الانكليزى ، واللغة الانكليزية .

وعندما بدأ الزهاوى بالتخلص من القافية ، وتبعه الشعراء حاروا حيرة كبيرة فى وضع تسمية له لانهم وجدوا النتائج ولم يعرفوا الجذور

التى دعا اليها الشعراء الى التجديد .

ان الشعراء الانكليز اصيبوا بالسأم من شعراء عهد (فكتوريا) و (إدوارد) المتأخرين الذى يفيض بالبلاغة ، والصفات المكررة ، والقافية المحدودة .

فارادوا التخلص من هذا الثقل الشعرى والانحلال الفنى ، الذى سرى فيه ، والبحث عن اساليب جديدة ، وآراء يستفيد منها الشاعر فى احياء شعر العهدين (الفكتورى وادوارد) واراد ان يتخلص من الكلمات الجامدة والمصطلحات الميتة ويعيد للشعر الانكليزى نشاطه وشبابه ، معتمدا على الانجيل وما فيه من موسيقى لفظية فى التجديد والتخلص من رتابة الشعر القديم[١] .

ولما انتقلت حركة الشعر الغربى الى الادب العربى ، كثرت المسميات منها : المرسل ، والمطلق ، والعصرى ، والحر ، والمنثور ، ومازال النقاد فى حيرة ثانية فى وضع مسمى محدد لهذه الحركة ، وان غلبت لفظة (الحر) على كل المسميات لان التطبيق العملى للتطور والتجديد بدأت جذرة فى احضان الاصالة والعمق وخرجت الى الفوضى والسطحية ، ولانه ما انطلق من قاعدة فنية اصيلة او اسلوب شعرى فنى فاصبح قريبا من الاساليب التصويرية والايحاء اللفظى ، وبعد عن الشعر العربى الاصيل وفنونه وجزالة الفاظه وسمو

---

(١) كتب الانجيل بلغة انكليزية جميلة ، واسلوب رائع .

معانيه .

وقد بدأت البلبلة فى اساليب الشعر عندما وصل الريحانى الى العراق الذى عاش فى امريكا واعجبه الشاعر الامريكى ولت وتمن لان شعره كان سهلا وبلا قواف ، ونظم باللغة الانكليزية الدارجة التى يمكن لعربى محدود اللغة ان يفهمه ويفرح بهذا الفهم معتقدا بانه يفهم اللغة الانكليزية والادب الاجنبى . والحقيقة انه فهم هذا الشعر لانه قريب من النثر الذى يلقى فى الكنائس ، فهو نثر اكثر من شعر ، لو كان لامين الريحانى قابلية واسعة فى فهم الادب الانكليزى لتأثر بالشاعر الاصيل (امر سن) واحتذى حذوه . وبخاصة ان الفترة التى عاش فيها امين الريحانى كانت تدرس فيها الآداب الانكليزية ، ويعرف المثقف الشعراء وردز ورث وكيش وشللى وغيرهم من شعراء الفترة الابداعية ، وكان يقود الادب فى هذه الفترة شاعران كبيران هما (امرسون) و (هاردى) .

غير ان (وتمن) الذى جاء بعد هذه الفترة وهو اقرب الى الريحانى لم يكن من اصحاب الثقافة العميقة ، والاطلاع الواسع على الادب الانكليزى . لانه كان مشغولا فى حياته ، فما قدر على اكمال الثقافة الادبية ، واكتفى بما عرفه فى اوائل حياته الدراسية وتعلمه فى عمله فى المطابع .

لا شك بأن امين الريحانى الضعيف باللغة الانكليزية ، الذى يعرف اللغة العامية اعجب به وببساطة شعره ، وسهولته ، لانه

(وتمن) ترك الدراسة وهو ابن الثانية عشرة وكان يحس بأنه لم تواته الظروف العلمية ، فكان يصحب كتب الشعراء والمفكرين معه لاكمال النقص اللغوى والفنى فى لغته .

ولانه من اصول مختلطة هولندية وانكليزية ، فقد استجاب للوطنية الامريكية الداعية الى رفض سيطرة اوروبا ، والدعوة الى الحرية التامة فى ثوب وطنى دينى ، ونال من الحياة العامة ما يناله كل امريكى يعيش سريعا ، ويكسب سريعا ، ويعرف سريعا ، فليست له فكرة عميقة او فلسفة واضحة الملامح . وعندما كتب عن الحرب الاهلية وابراهيم لنكولن واسهم فيها نال شهرة واسعة لانها كانت مشكلة الساعة وكان لنكولن زعيما شعبيا محبوبا[١] .

ان انفلات الريحانى من اسار الشعر الاصيل ، وهروبه من الوزن والقافية ، دفعه الى السجع واللفظة المؤثرة بتأثير (وتمن) ، الضعيف اللغة ، الذى يدعو الى الحرية والوطنية باطار دينى وعظى .

فقد اجتمعت كل الاسباب التى تدعو الى الاعجاب بالشاعر الامريكى : اولها الدعوة الى الحرية ، والديمقراطية ، والتخلص من سيطرة انكلترا واوروبا .

---

(١) **Walt Whitman , Leaves of Grass**

لاحظ المقدمة : التى كتبها (**Gay Wilson Allen**) استاذ الادب الانكليزى فى جامعة نيويورك والمطبوع فى نيويورك سنة ١٩٨٠ .

الثانية الدعوة الى الوطنية الامريكية ، ووقف شعره لخدمة هذه الدعوة .

الثالثة الاطار الدينى الذى نظم فيه شعره .

الرابعة سهولة ما يكتب وتسمية هذا النوع شعرا أطرب الريحانى واحس بانه يفهم الشعر .

كل هذه الاسباب لها عمق فى نفسية امين الريحانى ، فهو يرى العرب تحت سيطرة الاجنبى ، ويجب ان يستقل العرب ، ويأخذوا حريتهم ، وهو امريكى جديد على هذه الجنسية ، ومن اصل عربى وفى اعماق روحه يسيطر الدين عليه ، اضافة الى كل هذا ان امين الريحانى لم يكن يملك ثقافة شعراء الانكليزية ، ولغتهم العالية ، التى يفهم فيها (شكسبير) و (امرسن) و (بوب) فنظم شعرا حاكى به (ولت وتمن)

وكانت لغة (ولت وتمن) قريبة الى ادراكه النفسى ، ووجدانه الوطنى ، لانها اقرب الى لغة العامة ، التى يعرفها الريحانى ، وسعد بأنه يفهم اللغة الانكليزية ، وآدابها وليبرهن على هذا الفهم ويثبت ذاته ، دعا الى ما دعا اليه هذا الشاعر الضعيف ، بالقياس الى الشعراء الفحول . لان قدرته الادبية ، لا تسعفه على مجاراة الشعراء الكبار ، وقريحته الشعرية محدودة بحدود ثقافته اللغوية ، التى لا تسعفه بالمعانى الكثيرة ، والالفاظ المتعددة ، فى نظم الشعر . فكان الريحانى اول دعاة التجديد الذى قوبل بسخرية من كبار الشعراء

والكتاب فى العراق واحتضنه ضعاف الكتاب والشعراء ومنهم الزهاوى .

اشتداد المعركة :

جاء الريحانى سنة **١٩٢٢** م بعد الثورة العراقية والانكليز فى شغل شاغل بالنفوس الثائرة ورغبة اهل العراق فى الاستقلال ، والتخلص من الاحتلال البريطانى ، وكان همهم الاول كسب الرأى العام العراقى فى هذه الفترة .. للمصادقة على المعاهدة الجديدة .

جاء الريحانى ومعه فكرة التجديد ، والتخلص من الوزن والقافية ، واساليب الشعر العربى الاصيلة ، وقد احتفل به احتفالا كبيرا لانه الصوت العربى الامريكى ، او الامريكى العربى ، واقيمت له الحفلات الكثيرة وألقى فيها من شعره ونثره او من نثره المشعور ، او شعره المنثور ، وهو اسلوب جديد ما اعتاد الشاعر فى العراق على سماعه ، وان قرأه منثورا فى الجرائد قبل وصول الريحانى فسخر منه وجافاه .

وقد شغل الريحانى الرأى العام الفكرى به ، ووجد المناصرين والمعارضين ، وكتبت عن هذه الحركة الجرائد والمجلات ، وانقسم الرأى العام حوله الى قسمين ، كل قسم يؤيد رأيه بقوة وعنف ويهاجم القسم المخالف له .

فهل كان الريحانى جزءا من مخطط لالهاء الرأى العام ، لعقد المعاهدة ، التى كان ينادى بها الانكليز ؟ ام انها الصدف هى التى جاءت به الى العراق ؟ لامتصاص ثورة الرأى والابتعاد عن التحدث عن الاستعمار ومشكلاته .؟!

والحقيقة ان قدومه كان بداية لاتجاه امريكا نحو الشرق العربى للاستفادة منه ومزاحمة الانكليز فيه .

اما بالنسبة للرأى العام فقد اسهم فى الحركة ولكنه لم ينشغل تماما بها ، وان بذرت بذور التجديد والتطور ، وحركت الاقلام والاذهان للاستفادة منها . لان التيار الفكرى او الاجتماعى لا يمكن ان يأتى من فراغ ، فلابد ان تكون الارض خصبة ، تنبت فيها البذور . والعراق اخصب ارض لتلقى كل جديد ، وقبول كل متطور ، وحديث ، وقد يكون الفكر فى العراق مخالفا لكثير من افكار الاقطار العربية الاخرى . ففى ربوعه نبت كثير من الافكار الجديدة ، على اختلاف منافعها وتباين اضرارها ، ولم يكن هذا التيار الجديد غريبا على الشعراء ، فقد كانت هناك عدة محاولات نشرت فى الجرائد والمجلات والكتب وسجلت كثيرا من الامثلة الناجحة والهابطة[١] .

ولعل اهم باعث لهذا التجديد الحرية التى مارسها الاديب فى

---

(١) لاحظ (فى الادب العربى الحديث) للمؤلف طبع الكتاب فى بغداد والقاهرة وبيروت والرياض . هذه المحاولات مفصلة فى جزء (الشعر الحر) وهى اول دراسة لتاريخ (الشعر الحر) ومحاولات التجديد .

العراق ، بعد اعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ م عندما تولى التحرير فيها كل من هب ودب ، ممن لم يستكمل دراسته اللغوية والادبية ، ولم يعرف الجذور الفنية للشعر ، واراد ان يكون شاعرا . لان كلمة (شاعر) لها جاذبية خاصة وسحر واضح فى المحيط الفكرى العربى ، انها تسبغ هالة من الاحترام والتقدير .

ثم اتصل الفكر العربى بالشعر الغربى ، وادبه ، بالترجمة من مصادره الاولى ، اومن اللغة التركية التى كانت قد ترجمت كثيرا من الادب الغربى . وبدأت الجرائد تنشر هذا الادب . واعان على انتشاره نشوء طبقة من الادباء لا تملك قاعدة اصيلة من اللغة العربية والحضارة الاسلامية تريد اثبات الذات فى المجتمع الجديد .

وكانت الاحداث التى توالت على العالمين العربى والاسلامى والحروب التى شنت عليه واستعمار اقطاره المختلفة ، خلق جوا من الاضطراب النفسى والقلق العام ثم هبطت قواعد الذوق الفنى ، والاحساس الجمالى ، بالشعر الاصيل عند اصحاب الجرائد فنشرت صدى بابل سنة ١٩١١ م قطعة وردتها من لبنان من دير القمر حسبتها قصيدة منها :

ليس مانجهله يجعلنا جهلاء
بل ماندعيه
ليس مانرائى يجعلنا ودعاء

بل مانقصده
ليس ماننشره يجعلنا أدباء
بل مانفعله
ليس مانعمله يجعلنا أتقياء
بل مانرتاضـــــه[1] .

انها قطعة خرجت عن الوزن والموسيقى ، واعتمدت على القافية ، فهى أقرب إلى السجع منها إلى الشعر ، وان سطرت على شكل الشعر الغربى .

ان مجىء أمـين الريحانـى إلى العـراق قوى حركة الدعـوة إلى التجديد ، وانتشرت هذه الحركة التى احتفى بها الشعراء الصغار فى الثقافة واللغة والسن .

واعترفت مجلة (الحرية) بان أمين الريحانى يحذو حذو (ولـت وتمن) فى اطلاق الشعر من قيود الوزن ، والقافية ، فابتدع طريقة الشعر المنثور ، وبذلك تحاول أن تمسك بكلمة (شعر) ولا أدرى لم لم تقل النثر الجميل ، أو النثر الجديد ، أو النثر الفنى الحديث .. فقد اضافت كلمة شعر لهذه المحاولـة لأن الشعـر له الصـدارة فى هذا العهد .

---

(١) القصيدة فى (الأدب العربى الحديث) ط الرياض ص ٢٢٢ .

وأكدت المجلة على رأى الزهاوى بترك القافية ، والاكتفاء بالوزن وغمرت الجرائد والمجلات موجة من هذا الكلام الجديد ، أو النثر الحديث ولعل أحسن من نظم فى العراق الشعر المرسل ، الذى ترك القافية وأبقى الوزن شكرى الفضلى ولم يشتهر شاعراً أو يعرف عنه الشعر سنة ١٩٢٥ م قال :

كانت تنوح حمامة والصبح مرآة ادكار
فتريك حاجتها إلى ألم التألف والمعاش
حنت إلى إلف لها ثم ابتغت اكلا وشربا
سر الطبيعة كامن فى قلبها الحر الصغير
لكنها لم تدرى ما الأجل المتاح وما الفناء
فهوت اليها هرة فى سرعة السهم المصيب
فتخبطتها بين أنياب وأظفار حداد
وكأنما قتل الحمامة لم يبشرها بموت
هذه الحياة وسيلة للموت ليتك لم تكنها

شعر جميل الترتيب القصصى وأسلوب جيد ، اعتمد على الحبكة الفنية فى صورة إنسانية جميلة . تخلص من القافية ، ولكن الموسيقى اللفظية ووحدة الموضوع ، والتسلسل الفنى غطت على تغير القافية .. وقد كان الشاعر ينظم قطعته وفى ذهنه الأسلوب الذى يجدد فيه ، وقد مهد الطريق لتدفق الشعور ، ومتابعة الحدث ، وسار

على أسلوب الشعر المرسل ، مع الاحتفاظ باللحن الموسيقى ، والجرس اللفظى ، ورأى ضرورة وجود الوزن ، ليتم فيه النغم الداخلى للقصيدة ، ويوحى بالغناء ، وان اختلفت القوافى لأنه كان يرى أن القافية مصيبة الأدب العربى .. ولو كان الناظم قادراً على استيعاب الأدب العربى ، وبخاصة الشعر وعنده محصول لغوى من القوافى لما رأى القافية مصيبة ترافق الشعر العربى .

وخير مانشر فى هذه الفترة قصيدتان لطارق عبدالحافظ سنة ١٩٣٨ م فيهما مظاهر الشعر الحديث واضحة ، وقد ترك الشعر وأصبح من خير رجال القانون ومن هذه النصوص :

سحر الجمال
كاعب فى وجنتيها
فجر أحلام
ينام
رب تقبيل يزيد
فى احمراره
لهب آمال
يضام ،
بجمال لايسير فى اواره .
كاعب جسمها زبد البحار

ففيها الضياء وفيها دماه
ثغرها الحلو الجميل
من السحر خصيبة ..

وشملت حركة التطور أكثر أرجاء الوطن العربى بما فى ذلك شعراء المهجر فى أمريكا ، لكن التطوير والتجديد كان فى المعانى والأساليب التى تأثر بها الشعراء الشباب المعاصرون لهذه الحركة وكان صدى هذه الحركات يتردد فى العالم العربى ، وبخاصة فى العراق فقد نشرت للمازنى قصيدة من هذا التجديد كاملة الوزن ، جميلة الموسيقى ، ولا أشك فى أنها نقلت من الجرائد المصرية ، فقد نشرتها الصحافة فى العراق سنة ١٩٢٤ م بعنوان (محاورة) .

لم أكلمه ولكن نظرتى
سألته أين أمك
وهو يهذى لى على عادته
مذ ولت كل يوم
كل يوم
فاتى يبسط من وجهى الغضون
ولعمرى كيف ذاك
قلت لما مسكت وجهى يداه
أترى تملك حيله

أى حيله
قال : ماتعنى بذا يا ابتاه ؟
قلت لاشىء أردته
ولثمته[1] .

انها صورة جميلة ، متكاملة ، توحى بالقلق ، والجزع ، والخوف ، والحب . ولو استمر المازنى فى نظم هذا الشعر وأكثر منه لكان الرائد القوى من رواده ، ولا أدرى ان كانت هذه الصورة منقولة من الأدب الانكليزى أم أن المجتمع العربى فى مصر قد أوحى له بهذه الصورة لأنها إنسانية عميقة الغور ، وليست قليلة الماء الشعرى ، والموسيقى الداخلية الموحية بالمتعة ، فهى صورة قصصية متكاملة ، خرج فيها على بحور الشعر ، وحافظ على الاوزان والمعانى ..

وقد كثر الذين نظموا فى العراق من هذا الجديد وانتشرت الظاهرة ، لسهولة الكتابة فيها وزادت الاعداد ، ولكن لم يشتهر إلا القليل منهم ويستمر فى الكتابة بهذا الأسلوب ، ومن تلك الأسماء الكثيرة :

حسين تيمور وكمال إبراهيم وعبداللطيف السامرائى ومير بصرى ورفائيل بطى ومحمد بسيم الذويب وخضر صالح ومحمد الهاشمى ومراد

(١) وقال عبدالمجيد القيسى : له مثلها نثرا مقدمته لكتاب خيوط العنكبوت يبكى فيها ابنته الوحيدة

ميخائيل وأسماء مستعارة ذكرتها فى كتابى (فى الأدب العربى الحديث بحوث ومقالات نقدية) .

ولاجدال فى أن التطور ضرورة حتمية لاستمرار الحياة وبخاصة فى الفن . وعندما بدأت هذه الظاهرة فى العراق ، درسها المفكرون ، وحاولوا معرفة جذورها ودوافعها ، وكتبت عدة مقالات مع الظاهرة ، ومختلف المقالات ضدها ، ومن تلك المقالات مقالة بعنوان (الشعر المنثور) قال فيها :

(ويسمى الشعر الحر أو المطلق) وهذا النوع من الشعر لايشترط فيه أن يأتى من وزن واحد وقافية واحدة ، بل يأتى من مختلف الاوزان ، أما الذى يشترط فيه فهو صوغ الجمل من الالفاظ ، تلك الالفاظ التى يأتلف بعضها الى بعض فى الاوزان الشعرية حتى تكون الجملة منسجمة ، فتبرز الحقائق مصورة فى قوالب شعرية .. وبعبارة أخرى لايكتفى بجمال النغمات الشعرية فقط . بل بكمال جماله ، وروعة حسنه ، بوجود الفلسفة العالية وحقائق الحياة فيه فتثير العواطف الشريفة ، من رقادها لتناول الفضيلة باسهل متناول ، فهو لايقل تأثيراً عن قسيمه الشعر المنظوم ويجب أن تراعى فيه فواصل الجمل ، صغرت تلك الجمل أو كبرت ، أى أن تكون الجملة مستقلة فى رسم الخط .. ويستحسن فيه ربط الجمل بأن يؤتى بعد كل جملة أو جملتين أو ثلاث ـ حسبما يطلب المقام ـ بجملة قصيرة متكررة لتجلب الاذهان فتكون بمثابة البيت الأخير فى بعض

الموشحات ...) .

وقد وفق الكاتب فى وضع قواعد فنية ولغوية للشعر الجديد ، الذى فيه أوزان متعددة وقواف متنوعة متغيرة ، على أن يكون جيد الأسلوب منسجم العبارة ، موسيقى الوقع ، له فلسفة سامية فى التجديد .

والغريب أن الكاتب قال ان الشعر الجديد ليس غريباً على الفكر الشرقى ، فقد ذكر انه منتشر فى الأغانى الدينية ، التى تتلى فى المعابد وأشار الى نشيد الانشاد ، ومافى نغماته من توقيع موسيقى جميل .. ورجح أثرها فى أدب مطران ، ومى زيادة ، والأدب المهجرى .. ولايشك فى أن الشعر الجديد أخذ جذوره وتأثر بالشعر الشرقى المسيحى المموسق ..

ويبعد فى جذور الحر حتى يصل الى أبى العلاء المعرى ويعدّ نثره فى (الأيك والغصون) من هذا النوع الفنى فهو شعر منثور .

ولم يكثر فيه العربى كتابة واهتماما ، لأنه لا يطابق الشعر الجيد ، وعمود الشعر العربى ، الذى احترمه الشاعر وألفته الأذن .. وعزا بداية هذه الظاهرة الى أمين الريحانى ، لكن مقالة رشيد (الشعر باق هذه لم تقنع اصحاب الظاهرة الجديدة ، فرد عليها اصحابها فقال بعضهم :

ان كثيرا من الناس لا يفرقون بين (الشعر المنثور) و(الشعر المرسل) ... (فالشعر المنثور ، هو ما تلتزم فيه القافية ولا يلتزم فيه

الوزن . أما الشعر المرسل : فهو ما يلتزم فيه الوزن ولا تلتزم فيه القافية) .

وأيد الرأى القائل : بأن الزهاوى هو أول من نظم الشعر المرسل وليس أمين الريحانى لأنه نشر قصيدة فى المؤيد فى القاهرة سنة اعلان الدستور العثمانى ، وقال بأن الزهاوى نشر بعد ذلك بعدها بثلاث سنوات قصيدة فى الهلال سماها بعد ألف عام .. وهاجم الكاتب الذى يحاول أن يعزو الريادة لهذا النظم لغير الزهاوى ، لأن الكاتب يريد (أن ينزع هذه الدرة من تاج الزهاوى المزين بها جبينه الوقور لأنه أول من اكتشفه وكتب فيه من شعراء العصر الحديث)[1] .

والحقيقة ، برغم شك العقاد بريادة الزهاوى ، وحشره ثلاثة اسماء روّادا للشعر المرسل ، فان الزهاوى هو أول من التفت الى الشعر المرسل ، فليس توفيق البكرى ولا محمد فريد أبو حديد توصلا الى ما توصل اليه الزهاوى وطبقه ، وان كانت مصر قد أوحت اليه فى مقالات الهلال او المقتطف بذلك اضافة الى محاولة سليمان البستانى فى ترجمة الالياذة وبمقدمته لها .

---

(١) مجلة لغة العرب جـ ٥ السنة ٧ ولم نعرف من رد على (الشعر باف) ولعلها المجلة او الزهاوى نفسه ـ ص ٣٧١ . وتلاحظ مجلة الهلال جـ ٨ الصادر فى ١٩٢٨ م والكلم المنظوم الذى صدر سنة ١٩٠٩ وقد ارخ الزهاوى قصيدته بسنة ١٩٠٥ م نشر الزهاوى فى ديوانه اللباب شيئا من الشعر المرسل سنة ١٩٢٨ م وهذه براهين على سبق الزهاوى فى نظم الشعر المرسل .

الزهاوى كان مصابا بهوس الجديد[1] وكان يراسل مجلة المقتطف ويكتب فيها وله صلات عميقة بالآراء التى كانت تنشر ، فقد نظم فى (المكان والزمان) (اصل الانسان) واعجب (بنظرية التطور) و (النشوء والارتقاء) والنظم فى الجاذبية والسماء والنجوم ومختلف العلوم الصرفة كالكيمياء وعلم الحياة والفلك والكهرباء لأن هذه الآراء الجديدة الغربية بهرته وافقدته حاسة التمييز وزعزعت ايمانه حتى قال :

حيرة فى الحياة قد صرفتنى عن بلوغى من الحياة مرامى
وقضت اننى اطيل وقوفا فى ممر الشكوك والأوهام

لا شك بأن أدب العرب فى المهجر جدد فى كثير من المضامين الشعرية ، فالغربة ، والحنين ، والوحدة ، والعمل فى سبيل الرزق والضياع فى حياة جديدة ، تختلف عن حياة العرب ، وتقاليدهم دعت الشاعر المهجرى الى ان يلائم بين مشاعره ، وأحاسيسه ، وبين متطلبات العاطفة المتدفقة ، والحياة المادية الجديدة .

وقد انشغل هؤلاء فى سبيل لقمة العيش وانصرفوا عن الثقافة اللغوية العميقة ، لهذا ابتعدوا عن عمود الشعر والمطولات ، بعد أن تدفقت العاطفة وانثالت القريحة تعبر عن المعاناة الصادقة .. لكنهم

---

(١) ان ضعف جميل صدقى الزهاوى اللغوى هو الذى ألجاه الى كتابة المثانى ، والموشحات ، والرباعيات ، والمثلثات والى تغيير القوافى فى شعره .

لم يفكروا بالشعر المرسل قبل أمين الريحانى .

واذا كان الزهاوى أول من نظم الشعر المرسل فى العراق أو فى الوطن العربى فقد برز شعراء خرجوا عن الاسلوب التقليدى فى المضمون الشعرى وبشكل فنى ولعل الدكتور احمد زكى أبو شادى من أشهر من واصل النظم فى هذا المضمار ، وكتب كتابا سماه (قضايا الشعر المعاصر) ، وهو الاسم ذاته الذى اختارته نازك الملائكة عندما كتبت عن هذا الشعر ..

وقد كتب الشعر الجديد الشاعر (با كثير) عندما نظم مسرحياته متحديا استاذه الانكليزى بأن الشعر العربى قادر على نظم الشعر المرسل .

وكانت هناك محاولات ناجحة لخليل شيبوب ومحمود حسن اسماعيل وغيرهما من الشعراء المجددين الذين ساروا بالشعر شوطا جديدا بعد عبدالرحمن شكرى[1] .

---

(١) كان لثقافة عبد الرحمن شكرى (عياد) أثر فى تجديده حتى قيل انه قال (لم اعرف قبله ولا بعده .. اوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الانكليزية) وقال نقولا يوسف فى مقدمة الديوان(.. انه رائد هلّ على القصيدة العربية فوجدها ترسف فى اغلال الشكل والموضوع التقليدين فكان فى طليعة المبادرين الى تحرير الشعر من الاغراض القديمة التى كانت تستنفد طاقة الشاعر الابداعية ، فعمد الى تجاربه الذاتية ، وانفعالاته الخاصة ينظم شعرا رائعا عكس موقفه من الحياة والناس ... كما كان له الفضل فى أن يكون اول من يثور على القافية فأدخل الشعر المرسل ، وبذلك اسهم فى وضع أساس القصيدة العربية الجديدة ..) مقدمة ديوان عبد الرحمن شكرى طبعة المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٦٠ م .

وفى الحجاز قال محمد حسن العواد بأنه نظم هذا الشعر ، قبل شعراء العراق ، وهو قول لا يسنده التاريخ لأن عُمُرَ محمد حسن العواد الفنى لم يكن يسمح له ان ينظم قبل الزهاوى ، أو قبل شعراء مصر المجددين ويظهر ان العواد تأثر بشعراء العراق ، ولا سيما جميل صدقى الزهاوى وبحركة الشعر الجديد ، التى ظهرت عند وصول أمين الريحانى العراق لأن تاريخ القصيدة التى نظمها سنة **١٣٤٥** حوالى **١٩٢٤** م يمنعه من هذا الادعاء .

ان وجود صلات فكرية وسياسية بين العراق والحجاز فى تلك الفترة هى التى أملت على الشاعر هذا التجديد ، فقد كان ملك العراق فيصل بن ملك الحجاز (حسين) وكانت الجرائد العراقية ، تصل الى الجزيرة بحرية وسهولة .

حاول محمد حسن العواد الحفاظ على الموسيقى ، ولكنه ترك القافية تسير حسب ما تمليه معانى البيت ، وأخبر بأنه فى شعره لا يتقيد بالقافية وان القصيدة شاذة فى تعدد قوافيها وهو ادعاء يريد به الدعوة الى الريادة الشعرية .

والعواد شاعر اراد لفت نظر المحيط الأدبى حوله بادعاء التجديد والحداثة وقد كانت أكثر تصرفاته تدل على حب المخالفة والبروز وقد حدثنى الاستاذ الدكتور منصور الحازمى : بأن الرجل كان يحب الأغراب فقد أنشأ دارا للنشر سماها (فكفن) حباً فى لفت النظر ويريد بأنها دار (فكر وفن) وكان يسمى النساء بالجنس العطوف بدلا

من التسمية الشائعة (الجنس اللطيف) وغير ذلك من التصرفات التى كان يقوم بها جميل صدقى الزهاوى وفى قصيدته التى سماها (ثورة المحب) نجد الجفاف والافتعال والحذلقة التى تأباها المشاعر الرقيقة قال :

فارجعى فى الأباء كيف تصور ت فؤادى يطيق ذاك ويغضى
نشـوة هذه أم العتـب والاد لال أم تلك كبـرياء التجنى
لا ترعنـى فى عزة النفس يوما فقـوام الحياة ذا هو عندى

ومن القصيدة :

واذا ما رأيت فى النـاس يوما من يرى حفظ نفسه غير حقى
فارمـه ان اردت بالنظـر الشز ر تجـد وجهـه كقطعـة نعل
لا تحـاول عنـد الـذليل غراما ساعيا فهو واطى النفس معشى

ومنـهـا :

وَأنْـأ عنـى فاننـى بعـد اخشى ثورة النفس ان تنـالك منى
أنـا ان لم اجـد حياتـى ملآى بالسمـو الجـرى به كل وقت
فعفـاء على الحياة ومـا فيها وتعسـا لشأنهـا أى تعس[1]

---

(١) آماس واطلاس ص ٤١ وذكر الدكتور نور الدين صمود جزءا منها فى مقاله فى جريدة المدينة (الاربعاء ٢٣ ـ ١٤٠٤/٩/٢٦ هـ

وموضوعها تاه فى الوعظ والارشاد الثقيل ، مع أن الموضوع عاطفى يتحدث عن الأحساس والحب ، ويهز المشاعر والأحاسيس .. فادخل فيه قضايا سفّ فيها وأسفّ .. ليثبت ذاته ويلفت النظر الى شعره .

« البند » تجديد لم يستمر :

كان من شدة حركة الدعوة الى التجديد ، وادخال عناصر التطور فى الشعر العربى ، ان أحيا شعراء العراق فنا جديدا من الفنـون الأدبية الذى اندثر ولم يسمع به الجيل المعاصر ، هو (البند) فقد اخذ محمد الهاشمى وهو من الشعراء الرواد[1] بنشر نماذج من (البند) فى مجلة اليقين ليقول لهؤلاء ان التطور والتجديد له اصوله وجذوره فى العراق .. وان لم يستمر هذا التجديد .

والبند فن شعرى جميل ، لم ينتشر من العراق الى ارجاء البلاد العربية ، بالرغم من ان جذوره تمتد الى ثلاثة قرون[2] وكان خطوة من خطوات التطور الفنى فى الشعر العربى ، ويمكن ان يعد حلقة متوسطة بين النظم والنثر ، اتخذه الشعراء اسلوبا للتخلص من بعض

---

(١) لاحظ ما كتبته عنه فى كتابى (من قضايا الفكر العربى) .

(٢) البند فى الأدب العربى لعبد الكريم الدجيلى وميزان البند للدكتور جميل الملائكة مطبعة العانى سنة ١٩٦٥ بغداد وأول أحيا فن البند بعد نسيانه محمد الهاشمى لما نشر عدة بنود فى مجلته (اليقين) سنة ١٩٢٢ م .

صعوبات الشعر ، باسلوب ذكى للتجديد والتطور ، اذ لم يكن مألوفا الخروج على عمود الشعر فهو يتقدم خطوة واحدة نحو التجـديد ، لكن هذه الخطوة لم تسر فى الطريق وانما بقيت فى مكانها فكان تطورا محدودا .

لم نعرف اصل الكلمة ، واختلف الباحثون فيها ، وأكثر ما نظم فيه من الهزج ، وتختلف قوافيه مع المحافظة على الوزن فى الأعم وجاز فى اول أبياته أو مطالع القصائد ، زيادة حرف متحرك أو بعض الزحاف المقبول ضمن اطار وزن الهزج .

مفاعلين مفاعلين مفاعلين مفاعلين .

ونجد زيادة الوزن فى مطلع ابيات محمد بن الخلفة التالية :

أيهـــا اللائـــم فى الحب
دع اللـــوم عن الصب
فلـــو كنـــت تر الحاجبـــى الزج
فـــويق الأعـــين الدعج
أو الـــريق الرحيقى
أو القـــد الرشيقى
الـذى شابـه الغصـن اعتـــدالا وانعطافا

وقد سمعت بعض منشدى البند يسكنون بعض القوافى ، وهو شعر

موسيقى لطيف المعنى ، سهل الاسلوب ، مقبول من الذوق الفنى العام برغم اختلاف آراء النقاد فيه .

وقد وردت فى بعض الروايات :

ألا يا أيها اللائم فى الحب

وكنت ارجو ان يقول (أيا لائم فى الحب) ليساير وزن الهزج وفات الشاعر ان يقول (ترى الحاجبين) اذ لا يوجد سبب نحوى لحذف (النون) واثبته للتخلص من الزحاف والحفاظ على الموسيقى ، ثم وقع فى خطأ آخر عندما وصف (المثنى) بالزج .

فالبند حوى القافية والوزن الجميل ، والمعانى السامية ، وقال عنه محمد الهاشمى : بأنه (ضرب من الكلام المسجع الموزون اشبه ما نسميه فى هذه الأيام بالشعر النثرى ، وبعض اساجيعه آتية على بحر الهزج ..)

وقال عنه عبد الكريم الدجيلى : (بأنه أشبه ما نسميه بالشعر المنثور) وقالت نازك الملائكة : انه شعر حر تتنوع اطوال اشطره ويرتكز المنثور الى دائرة المجتث مستعملا منها الرمل والهزج) .

وقد كتبه الناظمون فى مختلف الأغراض الأدبية المتنوعة واستخدم فى اكثر حاجاتها .

ان وجود مثل هذا النوع من الشعر ، يعكس لنا حب الأديب للتطور والتجديد ورغبة عارمة للخروج عن الاسلوب العربى المنتشر

فى تلك الفترة ، ان زيادة وتد او وجود خبن وبعض الزحافات يعكس مدى اهتزاز الذوق الفنى فى تلك المرحلة عند هؤلاء الشعراء ، ولا ينكر انه من بدايات التجديد وبخاصة فقد ترك اثره فى الشعر الحر برغم قلة من نظم فيه من الشعراء كيلا يتهموا بركوب أسهل السبل وأبسطها ، فى فنهم الأصيل .

أن عد البنود التى نظمت خلال ثلاثة قرون كانت محدودة ، ولو جمعت نصوص الشعر فى مدينة واحدة فى العراق لكانت مجلدات ، وهو دليل على عدم اقبال الشعراء عليه ومن تلك البنود بند حسين العشارى فى الله تعالى :

لك النعمة والحمدْ
وأنت الصمدُ الفردْ
خلقت الحرَّ والعبدْ
لك الأمر بلا ردْ
تعاليت عن الاسمْ
تجاوزت عن الحدْ
فلا أين ولا كيفْ
ولا شين ولا عيبْ
بلا شك ولا ريبْ
فكم أودعت من سرْ

وكم ابدعــت من أمرْ
وكم حــيرّت من فكر
غــدا فيك حسيرا .

كان قصد محمد الهاشمى الأول من نشره هذه البنود فى مجلـة اليقين أن يقول بأن التجديد عريق الجذور فى العراق ، وان تجديد الشعر المعاصر له اصول فى الشعر ، وأن الريحانى ، لم يأت للعراق بجديد فى الفن الشعرى الذى جاء ينشره متأثرا بالشعر الأمريكى .. واهتم بالشعر الجديد جماعة من ضعاف الأدباء وعلى رأسهم رفائيل بطى الذى جمع مجموعة منه سماها (الربيعيات) وكان حريا به أن يسميها (الربعيات) ، وقد امتدح أمين الريحانى هذه المجموعـة فى كتابه (ملوك العرب) ليشد من أزره .

الشعر الصامت :

وقد انتشرت فوضى فنية ولغوية ، وركب موجه التجديد كل من هب ودب ، للسهولة فانتبه الزهاوى الى هذه الفوضى والعبث اللغوى وهاله الانحدار الفنى ، فحاول وضع قواعد لهذا التجديد ، ورأى ان الشعر المنظوم أشد تأثيرا من المنثور لما فيه من الموسيقى ، وطالب المجدد ان يحتفظ بشخصيته الفنية ، وكيان الشعر العربى ، وتراثـه الحضارى والشعرى فقال :

(عبثا يسعى بعضهم الى جعل الشعر العربى على نمط الشعر الفرنجي ، بحجة ان الافرنج سباقون الى كل علم وفن ، محاولا تقليدهم ، فان شعور العرب اليوم هو ارث متنقل اليهم من آبائهم الأولين ، ولم يتولد هذا الشعور الا من العادات المتأصلة فى الأقوام تعاقب الدهور ..) .

وتساءل الزهاوى ، ما الداعى الذى يدعو الشعراء الى التطور والتجديد ؟ ثم خرج بنتيجة هى : اختلاف القصد وتنوع الهدف وكل تجديد له مقوماته ودواعيه الاجتماعية والفنية ، وينبغى ان تكون الأهداف صدى لحاجة العصر فقال :

متى كانت عادات المتنبى موافقة لعادات شكسبير حتى تكون ارواحهما متفقة وشعرهما متشابها وبحورهما فيهما متماثلة؟![1]

وقد اكد الزهاوى على ضرورة وجود الاحساس الرقيق ، والذوق الرفيع ، فى نسج الشعر وروائه لأن النفس الانسانية تختلف باختلاف المؤثرات العامة ، والظرف الذى يحيط بالشاعر ، فمن الضرورى أن تكون حركة التجديد نابعة من حاجات الفن الأصيل ، والمجتمع الحديث .

وقد القى سنة **١٩٢٢** م محاضرة دعا الى افكاره وآرائه فى التجديد ، وأكد على الشعر المرسل ، الذى يعتمد على الوزن وعلى

(١) فى الأدب العربى الحديث بحوث ومقالات نقدية ص ٢١١ .

تغيير القوافى .

أما رفائيل بطى ، فقد كان ضعيف السليقة الشعرية ولا يملك قريحة فنية فدعا الى اطلاق الحرية للشاعر بأن يتجرد فى شعره من الوزن والقافية . لكى يخفى ضعفه الشعرى ودعا الى الحداثة والعصرية والتجديد مع انه ليس شاعرا فقال :

(ان الأنفس العصرية اصبحت تمج التقليد ، وتكره القيود ، لذلك ترحب بالطرائق الجديدة السهلة ، نظير الشعر المنثور .)

ووقف الرصافى موقفا واضحا من الفن الشعرى لأنه الشاعر الأصيل الذى يملك ثقافة لغوية عالية ، وقريحة وقادة ، وسليقة غطت على شعراء عصره عندما رأى ضرورة الوزن والموسيقى فى الشعر ، وملازمة القافية ، وعلل ذلك بأن الشعر مثل الغناء ، والغناء نغم وايقاع ، ولا يمكن ان يعد شعرا اذا لم يكن فيه النغم والايقاع ، وعاب على هؤلاء الخروج على المألوف الفنى للشعر والابتعاد عن الموسيقى ، وقال انه اطلع على الشعر الغربى من خلال الشعر التركى ، وعرف اسلوب الغرب من تقليد الشعر التركى له ، فوجد الغرب قد حافظ على الوزن والقافية مع اسراف وتجوز وسمى الشعر المرسل الذى بدأ ينشر الفوضى الفنية والخلط اللفظى بأنه :

(اقتران الرعونة بالشعور ، وخلط بين السخافة بالظرافة ، وادغام الثقافة بالنباهة ، وطلب السمعة من وراء البدعة) .

وبذلك عرّض بالزهاوى الذى يدعو الى التجديد ونظمه الشعر

المرسل ، واقترح الرصافي أن يسمى هذا الشعر بالشعر الصامت بدلا من الشعر المنثور لعدم اقترانه بالموسيقى والغناء والرقص .

أثر الغرب في التجديد :

الشعر العربي وصلنا وهو يحمل بين سطوره حضارة قرون عديدة وثقافات مختلفة ، وتجارب متنوعة فيها الجيد الذي يمكن الاستفادة منه ، ومنها الغث الذي يمكن ابعاده ونسيانه ، وتلك طبيعة الحياة ، تأخذ ما يلائمها وتترك ما لا يساير المسيرة الحضارية المعاصرة .

وقد وصل الشعر العربي تام الأسلوب ، قوي البناء ، متكامل اللغة والمعاني ، والتطور المستمر.انحدر من العصر الجاهلي ومثل حياته اصدق تمثيل ، وجاء العصر الاسلامي والأموي فحمل افكار العصر ومتطلبات حياته ودينه وفكره وسياسة الدولة . وما اختلف في العصر العباسي عن المرحلتين السالفتين الا بما دخله من فكر جديد وفلسفة حديثة ، جاءت من فكر الأمم الجديدة وآراء الشعوب المتباينة ، والفلسفات المختلفة . دعت الى ادخال عناصر جديدة ومضمون فني لم يعرفه العرب لأنه لم يكن من تقاليد الحياة الصافية ، ولا عادات الطبيعة الواضحة البسيطة في الصحراء .

جاء التجديد واستعمل الشعراء بعض البحور التي كان النظم فيها قليلا ، كالمقتضب والمجتث والمتدارك وغيرها من الأوزان التي سايرت الحضارة الجديدة وطرز الحياة لأن المسلم المولَّد لم يكن يملك

القابلية العربية ، والسليقة الأصلية ، فاضطر الى ركوب بعض هذه البحور السهلة وهى عكس بحور الشعر كالبحر المستطيل والوسط أو الوسيط وهو عكس الطويل :

لقد هاج اشتياقى غرير الطرف احورْ
ادير الصدغ منه على مسك وعنبر .

وقد ظهرت عدة اغراض فى الخمر والغلمان ومـا لم يرض عنـه المسلمون وجاء رد فعل لهذا شعر التصوف والخشوع والترهيب من العقاب والعذاب والآخرة..[١]

ومع كل التطور والتجديد فقد حافظ الشعر على الموسيقى والاطار العام لها ، وتمسك بالاسلوب اللغـوى والاسـتعمال اللفظـى للشعـر العربى ، سواء فى المشرق أم فى المغرب ، حتى الأندلس التى طورت الأوزان ، واخترعت اساليب معروفة فى شعرنا العربى لم تتخل عن الاصالة والتراث .

وجاء العصر الذى نام فيه العرب ، وهجع المسلمون فيه ، وبدأت سيطرة الغرب على المشرق العربى وعاش الشعر فى القوقعة ، ونام فى احضان الهدوء والاحلام والسكون ، حتى احتك مبـاشرة بالغـرب سياسيا وثقـافياً واجتماعياً وبـدأ يحس بحالتـه ، وتـردى الفـكر

(١) الدكتور بدوى طبانة ص ٢٩٨ : التيارات المعاصرة فى النقد الأدبى ١٩٧٠ القاهرة .

واضمحلال الحضارة ، وموت الفن الأصيل ، فى دنياه .

ورأى ضرورة التجديد فى حياته وفكره ليساير ركب العالم ، ويأخذ مكانة له بين الأمم المتقدمة ، فراجع اساليب الأدب وعكف على دراسة تراثه وعاد الى فهمه ، واخذ منه خير الثمار واطيب النتائج .. بنشر خير الأدب فى عصوره الزاهية واختار احسن الدواوين واجود الكتب ووضعت بين يدى الدارسين والشعراء ، مطبوعة طباعة جيدة وبثمن رخيص .

وهنا برز الشعر بأسلوب جديد وبثوب متطور فيه الحداثة المعاصرة القائمة على التراث الأصيل وخير انواع التجديد ، واخلدها . تلك الأنواع التى تأتى من داخل أدب الأمة ومن صميم تراثها وجذورها الحضارية ، فكان البارودى من رواد التطور والحداثة ، واستفاد من ذوقه الفنى فى تجديد داخلى للأدب وكان صدى لتجربته العميقة ورغبته الأصيلة الكامنة ، فى احساس مرهف افصح فى شعره عن معاصرة رسم فيها هذه التجربة الفنية الرائدة .

وكل انتاج فنى اصيل ومنه الشعر ، لا بد له من خلجات عميقة وموهبة سليمة وسليقة فنية صافية لأن الابداع لا بد له من الموهبة ، ومن أدوات قوية تساعد الموهبة على ابراز التجربة .

والتجديد والتطور فى كل الفنون يلازم المبدع الموهوب والمفكر الذكى الخلاق المستنير ..

وقد بقى المبدعون وقادة الشعر يستفيدون من اختلاف البحور

والأوزان بحسب ذوقهم الفنى ، وموسيقاهم الشعرية ، فكان التجديد اصيلا ينبع من التراث المختار وما فقد الموسيقى العذبة ، والرقة الممتعة ، ورغبات النفس فى غضبها وسعادتها وحزنها وثورتها وسكونها ، فكانت البحور بموسيقاها تعبر عن عميق الأحاسيس وأصدق المشاعر الانسانية .

وكان الشاعر العربى شديد الاحساس ، قوى الروابط بوطنه العربى والاسلامى والشرقى ، وقد ألهمته الفترة عدة مواضيع ساعدته على الاحساس بمصير الأمة العربية والفكر الاسلامى والعلاقة الشرقية ، وتغلبت السياسة والحروب على انتاج اجمل الشعر واخلده ففى شعر شوقى وحافظ ومطران والكاظمى والزهاوى صدى للحياة المعاصرة ، فى مهاجمة من يؤذى العربى أو يقتل المسلم أو يظلم الشعب الشرقى ، مصورا بأدق الصور ومختلف المظاهر فى المجتمع العربى ، والمسلم فى الحرب والسياسة .

واعطت الحياة موضوعات جديدة لم يعرفها الاسلاف فى نظام الحكم فرأى دخول الاستعمار الى وطنه ، وثورة الشعوب على الظلم ، وإعلان الدستور والديمقراطية فى الاقطار المختلفة وكان الشاعر العربى يملك حرية كبيرة فى القول لا يخشى الحاكم او السلطة فقال ينصح مخلصا :

سنّ المشورة وهى اكرم خطة   يجرى عليها كل راع مرشد

هى عصمة الدين التى اوصى بها رب العباد الى النبى محمد
من استعان بها تأيّد ملكه ومن استهان بأمرها لم يرشد

هى حرية ما كان الشاعر قادرا عليها فى عصر الحكم الفردى ، والاستبداد .

لا شك فى ان الغرب تغلب علينا فى جميع مجالات الحياة بالقوة ، ثم سيطر علينا بعدها فكريا وثقافيا ، ولم يسيطر علينا الا بعد ان كانت الارض قابلة لهذه الافكار مرحبة بها ، لان النبت لا ينمو فى الارض السبخة ، والنقد الاصيل لا يثمر الا فى البيئة الخصبة ، فقد كان العرب يعيشون فى ظل حكم فردى مطلق ، ليس للمفكر او الشاعر او ـ الباحث ـ حرية فى القول والنظم والبحث ، الا بالحدود التى يفرضها الحاكم ، ويحددها له ، ولا يخرج عن الميدان الذى تركه فيه والا نال اشد العقاب .

لذلك كان اثر الفكر الغربى الداعى الى الحرية فى القول والنشر عميقا فى نفس المفكر العربى فاندفع دون ان يتبين الدوافع التى دعت الى هذا الفكر والجهود التى بذلت حتى حصل الغربى عليه ، وما قواعد هذا الفكر واغراضه . أخذه دون تمييز ، لانه يعيش فى ظروف سيئة وحياة مسحوقة .

فقد حس طلاب البعثات فى زمن محمد على باشا بالحرية الفردية ، للشعب الفرنسى ومقدار ما تبذله الدولة من عناية ورعاية فى

سبيله ، وقرأ الجرائد والمجلات التى تعارض الدولة ، دون ان تخاف من زائر ليلى او متسلط يأتيه فى الفجر وهو نائم يغط بأجمل الاحلام ، وحضر الاجتماعات التى تعقدها الاحزاب والجماعات واحس بأثر الرأى العام الفرنسى فى السلطة ، وبدأ يقارن ذلك بحياة مصر الذى كان هو احد ادوات (ولىّ النعم) الذى يريد انشاء دولة تحميه ، وجيش يساعده فى التسلط فأحس بالفرق الكبير بين حرية الفرنسى وقيود الشرقى التى يرسف فيها ، وكأنه من البهائم او القطعان التى همها اسعاد سيدها وجلب الخير له ، فأعجب بحياة الغرب وسرّ بها وتمنى ان تكون بلاده متمتعة بمثل هذه الحرية ، فكتب الطهطاوى كتابه (تلخيص الابريز) .

ولا شك فى ان حركة محمد على واصلاحاته جاءت بنتائج ممتازة بين شعب عاش ذليلا مهانا مسخرا ضعيفا مريضا جاهلا ، ولكن هذه الحركة الاصلاحية لم يتح لها الوصول الى هدفها فقد خافت اوروبا منها وفرضت عليها الحماية .

وفى الوقت ذاته كانت اليابان تستعد لمثل هذه النهضة ، التى ما كان يخاف منها الغرب ، لانها بعيدة عن دياره وليس فيها الفكر العقائدى الذى يحمله العربى .. فحارب محمد على خوفا من المارد العربى الاسلامى وترك الوثنية تنمو وتكبر حتى هددته فى حياته المادية اليوم .

ان سيطرة الاستعمار الغربى على العرب ، عامل عميق الأثر

أيقظتهم من نومهم واحسوا بالخطر الداهم الذى هددهم فى ديارهم فكانت ثورات على نابليون والانكليز، سواء أكانت فى مصر أم العراق أم الشام أم شمال افريقية العربية . فكان اختلاف الحياة والعوامل الجديدة التى جاءت من الغرب والاحتكاك اهم مقومات التجديد والتطور فى الشعر العربى الحديث لان العربى والمسلم الشرقى اراد ان يكون قوياً يتحدى سيطرة الغرب بسلاحه وكان الادب خير اسلحة قوته فقلده المشرقى دون ان يختار ما يلائمه منه .

النقلات الفكرية :

لم تؤثر الحرب العالمية الاولى فى الفكر العربى الا فى حدود ضيقة ، عندما جاءت الاساطيل الغربية واحتلت جيوشها الوطن العربى لتفرض سيطرتها وقوتها ، ولم تنفع الشعوب العربية تجمّع شملها وثورتها فى وجه الحكم الاجنبى ، لانه كان اقوى عدة وعتادا .

وبدأت تنشر اللغة الفرنسية فى سوريا ولبنان ، واللغة الانكليزية فى العراق وفلسطين ومصر والسودان ، واللغة الايطالية فى برقة وفزان وبنى غازى وطرابلس ، بين الطلاب فرضا ، وبين الناس احتكاكا ، ومنع المغرب العربى تحت سيطرة الاحتلال الفرنسى والاسبانى من الاتصال بالمشرق ومن تسرب اخباره وآرائه ومطبوعاته ورجاله خارج

الحدود المرسومة له الخاصة بالوطن العربى والارض المسلمة .

وجاءت الحرب العظمى الثانية وكثر المتعلمون ، وزاد عدد الذين يعرفون اللغات الاجنبية ، بعد ان فرضت فى المدارس والكليات ، وبدأت وفود من الاقطار العربية والبعثات المتعددة تذهب الى الغرب ، وتتعلم فيه وتعود مزودة زاداً ثقافيا وحضاريا .

ان تنوع مصادر الثقافة فى الامة العربية .. جر الى اختلاف فى الرأى ، وتمزق فى الفكر ، وكل يدعى ان الثقافة التى حصل عليها خير من ثقافة الآخرين ، ولكنه متفقون على تقدم الغرب وتقليده ..

ثم دخلت الآراء السياسية المتنوعة ، وقلدت النظم الادارية الغربية ، والقوانين الوضعية ، وسارت عليها بعض الاقطار وهى تختلف عن النظم القديمة بقاعدتها الاسلامية .

وبعدها استقلت الاقطار العربية سياسيا عن الاستعمار الحربى ، والسيطرة العسكرية واخذ الحكام حرية كبيرة فى حكم بلادهم ، واصبحت للامة العربية عدة حكومات عربية ، فرح بها الشعب واغتبط لها المفكر ، وطرب لها الشاب ، الذى يقرأ عن الجهاد والنضال فى سبيل الحرية .. والتخلص من سيطرة الاجنبى والاستعمار .

كانت النتائج بعكس ما اراده الشاب المراهق ، والمفكر العميق النظر ، والدارس المقارن ، بين تاريخ الامم .. فقد اتخذ الحكام شعوبهم كالقطيع ، وتحولت الى ادوات حمد وثناء وببغاء تردد ما يريده الحكام .. وكثرت الانقلابات والثورات والتغير السياسى .. وعند تغير

الحاكم لابد ان يغير القطيع الرأى ، ويبدل القول ، ويرفع شعار جديدا ، يأمن فيه سيطرة الدولة الجديدة عليه ويوهمها انه الخادم المخلص لاغراضها فغرست الاقليمية ، وابتعد العرب عن الدعوة الى الوحدة العربية والفكرة الاسلامية وخاف الحكام على كراسيهم من شعوبهم ، ومن حكام الوطن الآخرين .

ان المُثل التى شب عليها الجيل ، والتقاليد التى قرأها فى التاريخ ، ورآها فى الدساتير والقوانين ، ملأت نفسه بالأمل العذب ، والامانى الخلابة ، وعندما رأى الواقع وجده خنق الحرية ، وقتل المفكر ، ونفى المعارض ، وان كان على حق فى الرأى والفكر . وبدأت حالة من عدم التوازن الروحى والنفسى لانه قارن بين حالة امته وشعبه ، وبين الامم المتحضرة ، والشعوب المتقدمة ، فأصيب بالالم العميق والخيبة المرة .. ولم يكن امامه غير الاحتجاج والرفض والثورة والابتعاد عن تقاليد امته ومثلها التى لم تعد تملأ قلبه وتحقق طموحه السياسى ، والاقتصادى ، والثقافى .. ارتمى اكثر هؤلاء فى الفكر الغربى والدعوات السياسية المناهضة لحياته الواقعية ، عساه ان يعوض عن مثله القديمة بمثل جديدة اكثر جدوى واعمق نفعا لامته .

فمنهم من لجأ الى دراسة الاسطورة ، وارتاح الى خيالها ، وسعة جوها ، واطمأن الى حياة « الميثولوجى » مبتعدا عن الواقع والحقيقة ليريح نفسه من همومها .

ومنهم من خاف من السلطة فسرى فى ادبه الغموض والرمز ،

وبالغ فى هذا الخوف بعد ان احس ورأى ما جرّت الكلمة الحرة والرأى الصائب والمعارضة النزيهة على صاحبها من آلام واوجاع ، وغدا الادب احدى ادوات التمرد واصبح ببغاء يردد .. ما يطلب منه ويفرض عليه .

كانت القاعدة الفكرية الاصيلة مرتبطة بالقرآن الكريم والتراث الحضارى الاسلامى ، لذلك كان جيل الرصافى والزهاوى والكاظمى وحافظ وشوقى مزودا بثقافة قوية فهضم الفكر الجديد ، واستفاد منه ولم يضع فى تياراته . ويحار فى فكره .

وجاء جيل ضعفت هذه القاعدة عنده وان حافظت على الاصالة منهم : بدر السياب ونازك الملائكة ويوسف عز الدين وصلاح عبد الصبور ، الجيل الذى درس اللغة العربية مع العلوم الحديثة ، كالرياضيات والكيمياء وعلم النفس وعلم الاجتماع والجبر والهندسة وعلم الحيوان وعلم النبات ، وقد اخذت هذه العلوم حيزا من الثقافة العربية لكنها وسعت الآفاق بما فى هذه العلوم من جديد وما فيها من حديث .

وكان انبهار هذا الجيل اكثر من انبهار الجيل السابق ، فاستمرت روح الوحدة والوفاق فى شعرهم ، ومقاومة الاجنبى تسرى فى ادبهم ، وكانوا اكثر عناية بالتراث العربى والثقافة العربية من الجيل الجديد ، الذى انغمس فى التيار ، واضاع شخصيته بعد ان كثرت عليه المحن من الداخل والخارج ، وفقد الثقة بالسلطة والمجتمع واضاع الاعتماد

على نفسه وفكره .

وظهرت الغربة الروحية فى الفكر العربى ، على اختلاف اقطاره وتباين نظمه ، وكان انتاجه صورة حية لهذه الغربة التى بثها الاستعمار ، عندما سيطر ثقافيا واقتصاديا وسياسيا على الفكر ، لنشر اليأس وتشويه الشخصية العربية والاسلامية ومحاصرة نموها فكريا ، وابعدها عن حضارتها ومقوماتها الاجتماعية ولغتها الاصيلة وفنها ، وسلب منها اهم المقومات الانسانية منها حتى تستسلم له وتعجز عن النضال ، وتعيش فى غيبوبة عن واقع الحياة ولترض بالتخلف الحضارى المفروض عليها .

وقد اعان التفاوت الثقافى ، والتخلخل الاجتماعى ، والتنظيم الطائفى والعشائرى ، فى تعميق هذه الغربة الروحية فى النفوس .

ان الغربة الروحية برغم اختلاف المجتمعات العربية فى نظمها وقوانينها ، لم تؤثر فى الشخصية العربية التى لها سمات مشتركة ومظاهر فكرية واجتماعية واسطورية موحدة ، ولم يقدر الغرب على القضاء على الامل العربى الحلو فى التحرر والوحدة والاستقلال .

لا شك بأن المفكر اصطدم بواقعه ، وخاب امله عندما رأى الابتعاد عن المعركة المشتركة ، وأحس بأن هناك مصالح بين بعض النظم العربية واسرائيل التى وقفت متفرجة على المجازر فى بيروت وشاتيلا وصبرا وحرب العراق مع ايران . واحس باللا مبالاة والانقسام والتمزق فى الصف العربى ، عندما اعلنت حرب موجهة

للمفكر والشاعر الذى احس بالدهشة من ان ابناء امته يحاربونه قبل العدو وغدا المفكر مواطنا لا يعرف اين وطنه ، الذى يحميه ويمنحه حرية القول والفكر ويتركه الى الدول الاخرى ، خوفا من الارهاب والتعذيب والحبس ، (واكتشف فجأة ان ليست هناك معارك حربية صادقة والحرب معلنة عليه شخصيا لقد سلب منه انتماؤه ولم يعد الوطن ملك المواطن وكان هذا هو المدخل للاعتداء على انتمائية الانسان العربى ..[1])

لماذا كان التجديد فى العراق ؟

ورد فى ذهنى سؤال والح هذا السؤال على كثيرا : ما السبب الذى جعل التجديد يظهر فى العراق ؟ او بعبارة اوضح لماذا بدأ هذا التجديد فى الشعر فى العراق ؟ دون الاقطار العربية الاخرى .

ليس الجواب سهلا لان العوامل المؤثرة لا تأتى مباشرة بالنتائج الآنية ، اذ لابد من تمهيد للجديد ومن ارض خصبة تقبله وترضاه .

وقد مهد له فى العراق بالبند والترجمة من اللغات الاجنبية ، ووصول الادب المهجرى الذى اعجب به اهل العراق ، وطبعت بعض دواوينه واعيد طبعها مثل (الجداول) لايليا ابى ماضى ،

(١) محمود درويش فى لقاء له نشر فى السياسة الكويتية السبت ٨٤/٦/٢٣

وعارض الشعراء قصائد منه لاثره العميق فى الفكر وما فيه من جدة وطرافة .

وجاء امين الريحانى الى العراق متأثرا بالشاعر الامريكى (ولت وتمن) وكانت الارض خصبة معدة لتقبل الجديد المفيد ، فسرى فى المضامين وسرت الحداثة فى النسيج اللغوى والمعجم اللفظى ، فى اول الامر ولم تؤثر فى الموسيقى ولا بالقافية الا بقدر محدود .

وقد وجدنا الرغبة فى التجديد متوفرة عند المفكرين ، قبل ان تقبلها بيئات عربية ولكنها لم تولد الحداثة وتظهر بالحجم الذى ظهرت به فى العراق .

وارجو ان اكون موفقا فى الاستنتاج عندما اقول ان العراق له طبيعة متميزة وله فكر منفرد فى الاجتهاد ، ومن طبع هذه الارض الثورة والعنف ، وحب التبديل ، حتى اوصى معاوية ابنه وصيته المعروفة بأن يلبى طلب اهلها ولو عزل كل يوم والياً ؛ لان اهل العراق يحبون التجديد والتبديل .

وقد ظهرت اكثر المذاهب الادبية والفكرية والنقدية ، والنحوية فيه كما ظهرت الآراء الفاسدة والافكار الهدامة وطرق التصوف ومختلف الاديان وتنوع التقاليد على ارض العراق لان الشعوب ، التى امتزجت بالشعب العربى الذى هاجر من الجزيرة ، لها جذور متناقضة وديانات وافكار متعارضة ، وان كثرة جيوش الغزو والابادة فى هذه البقعة العربية وما شن عليها من غزوات متتالية ، خلقت فى

روحه التوثب والتحفز والحذر الشديد . وحب القتال والجلاد .

فالتطور والتجديد من طبع اهل وادى الرافدين والجموح والعنف من عاداتهم .. والتطرف فى الثورة والعنف يقابله رد فعل عميق من الطيبة والسذاجة واللطف ، فولد فيه تطرفا فى حب الخير والطيبة وجموحا فى الشر والغضب ، انه تناقض غريب هل جاءه من البداوة القديمة التى لم تكن فى روحه ام لان البيئة كانت جامحة ؟ ووصفها الشاعر العربى القديم بقوله :

انا اذا اشتد الزمان وناب خطب وادلهم
الفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم
للقا العدى بيض السيوف وللندى حمر النعم
هذا وهذا دأبنا يودى دم ويراق دم

ان الدراسة المتأنية فرضت احكاما جديدة ، لا يوافق عليها النقاد ودارسو الادب ولابد ان تناقش على ضوء علم النفس ، للوصول الى الحقيقة الواضحة والنتائج الموفقة .

هناك اصل تراثى ثابت يرثه الانسان مع ما ورثه من ابويه فالمجتمع يورث ابناءه عاداته وتقاليده وحبه وبغضه وثورته وهدوءه ، كما يورث الوالدان اللون والخلق والطبع بل حتى الامراض والعادات .

قال الشاعر فى العراق :

للخـــير والشر جزاء عندى والارض مهما استودعـت تؤدى

والمجتمع فى العراق مجتمع التحدى والتطور ، وحب التجديد ، يرغب فى الجديد ولا يحب الحالة الواحدة الراكدة وثورة الشعر وتجديده محاولة لايجاد صيغة جديدة يسير عليها فترة من الزمن ، أو البحث عن اسلوب حديث لا يضيع الجوهر فى اطار عربـى سليـم وذوق مرهف .. اراد ان يقود الشاعر فى العراق الشعر ويسـير به نحـو اهدافه .. اراد ان يكون رائدا ولم اجد فى الشام او مصر من حاول هذه الريادة وادعاها بقوة الاديب فى العراق ، وناطح فى سبيلها كما صنع الشاعـر الحديـث فيـه ، وان اختلفـت الدواعـى والمسببـات والنتائج .

كان الشاعر يحاول التحديث مع الحفاظ على التـراث . واراد التبديل دون ان يخرج عن الاطر الفنية العربية .. لكن الشعراء الذين قلدوا هذا الجيل الرائد بعدوا عن الريادة ، وظنوا التجدد انفلاتا ، والتطور ركة وضعفا ، والحداثة فوضى وسطحية واستعجالا

اراد الرواد التجديد واوصوا بضرورة الحفاظ على الجمال الفنى واللغوى ، فقد قال بدر شاكر السياب :

(وجب علينا دراسة الشعر القديم لان فيه السبـك الممتـاز

والبلاغة الرصينة ، واللغة السليمة ...)[1] .

(على الشعراء الجدد ، ان يفهموا الشعر القديم جيدا ، ويدرسوه اكثر ، لكى يتمكنوا من ان يجعلوا من انفسهم شعراء بكل معنى الكلمة)[1] .

وأوضح رأيه بدعوة الى دراسة الشعر العربى بقوله :

(لاجل تقويم لغتنا اولا ولنجعل منه اساسا ثابتا عليه فى أشعارنا[1]

وعندما احس السياب بأن الشعر سوف يبتعد عن الاصالة ، وعن الموسيقى الفنية ، اشترط على الشاعر الا يتجاهل الموسيقى ، والسبك القوى فى انتاجه فقال :

(فليكن الشعر مرسلا ، ولكن عليه ان يحتوى على ديباجة قوية ، وموسيقى ظاهرة ، واسلوب ممتاز ، ليمكن قراءته اولا ، ولكى تستسيغه الاذن والروح ثانيا ...)[2]

وما تخلفت نازك الملائكة عن هذا الحرص ، وبخاصة انها اقوى صلة باللغة العربية واوثق رابطة بالتراث من بدر شاكر ، بحكم دراستها على والدها وانها من قسم اللغة العربية .. قالت :

(اما الظروف التى تعرقل مسيرة الشعر الحر ـ وهو لا يخلو من

---

(١) صفحات مطوية من ادب السياب ، خالص عزمى بغداد ١٩٧١م ص ٢٧ و ٢٨

(٢) المصدر السابق ص ٣٣

مثلها شأنه فى ذلك شأن شعر الشطرين ـ فهى استهانة بعض شعرائه بالعروض ، واحتقارهم له ، ومع ازدرائهم للغة العربية وقواعدها ، وتحقيرهم العامد للتراث ، ومحاولة الاغراب واثارة الدهشة على حساب العقل الانسانى) .

(ومن ابرز هذه الظروف المعرقلة ، ما اسميه بالتعمية ، ولا اقول الغموض ، لان الغموض ، ستار جميل فنى يشف ولا يحجب ، فى حين ان التعمية مأخذ فنى وعيب ينتقص القيمة الجمالية للقصيدة ..) (١)

فالشعراء الاوائل لم يبعدوا عن الاصالة ، ولم يهملوا التراث ولم يكونوا ضعفاء بالنحو واللغة العربية ، عندما ارادوا دراسة الشعر القديم والاستفادة من اسلوبه ولغته ، لان الشاعر لن يكون حديثا اذا لم يعرف القديم .. واشترط بدر وجود الموسيقى والاسلوب الممتاز حتى تقبل الاذن هذا الشعر وترضاه الروح .

ولا ادرى ما رأى الذين يقلدون السياب والذين يخربون الشعر ويهدمون الاصالة ويؤلمون الآذان بالنشاز اللفظى ، وسطحية التفكير فى وصية بدر شاكر !؟

عوامل التجديد النفسية :

كان التجديد فى ارض الرافدين رد فعل لضغوط نفسية عميقة ،

---

(١) للصلاة والتوراة نازك الملائكة ص ٢٤

وثورة وجدانية صاخبة ، اراد الشاعر بها التنفيس عن مشاعر ذاتية ، وألم دفين مرير ، وحزن روحى قاتل .. وخير ادوات التنفيس الفن ، كالرسم والنحت والموسيقى ، ونظم الشعر انه اسلم الوسائل للتخلص من الضغط الداخلى ، عندما يتسرب الى خارج الجسم والروح . وظنى ان الهموم الفردية التى كبلت الشاعرين بدر السياب ونازك الملائكة ، هى التى دفعتهما من اجل السباق من اجل قصب الريادة والصراع من اجل الاولوية .. بما فى ذلك الفراغ الروحى ، والاحساس بالاضطهاد الاجتماعى ، والاهمال الوجدانى .. فهما متقاربان فى الشعور الداخلى والاحساس النفسى .. ولم يكن هذا الصراع الذى قرأناه وعرفناه الا بعض التنفيس ، عن مكنونات هذا الاضطهاد المتمثل فى اثبات النفس وابراز الذات فى هذا الشىء الجديد .

أرجو ألا اكون غريبا فى الرأى وبعيدا عن الصواب ، عندما اقول ان الشعور بالنقص عند الشاعرين هو الذى دفعهما الى الاكثار من النظم بالاسلوب الجديد ، وهو الذى دعاهما الى السباق للفوز بالريادة فى هذا الفن ، ومن دراسة الحياة الوجدانية للشاعرين يظهر مصداق الغرض الذى فرضته .

بدر شاكر السياب :

كان يعيش فى البصرة ، وقد ماتت امه وتزوج ابوه ، فحرم لذة

حنان الام ، وعطف الوالد ، الذى انشغل بالزوجة الجديدة ، واهمل ابنه العاطفى اهمالا ظاهرا .. فحرم من حنان الامومة ، ورعاية الاب وحبه ، وان أحبه فما يقدر ان يملأ روحه بالعاطفة ، ويروى نفسه بالحنان . كما تغذيه الأم به ، فأحس بالاهمال وحرم السعادة الروحية ، واذاقته هذه الحياة الألم والحسرة والحذر .

ان الفراغ الروحى والاهمال النفسى لن يشفى الا بدفء الحب وانسياب الود ، وتدفق الرضا .. فكانت اولى صدمات حياته فقدان رعاية الام وحبها وحنانها .

واعجب الفتى المراهق بعد ان نما جسمه وكبر احساسه باحدى الفتيات واستكن الى كلماتها العذبة ، ورعايتها الحلوة ، وفاء الى ظلالها الوارفة أنثى وصديقة . ولكنها زوجت من غيره .. فكانت الصدمة الثانية[1] وما اقسى صدمات الحب واقساها على ذى اللهفة الظمآن .. انه حرم من الرىِ ولما ترتوِ النفس .. وابعد عن الراحة وهو فى قمة الارهاق الروحى والظمأ الوجدانى .

(١) احب بدر فتاة اسمها (وفيقة) توفيت وتركت اثرها فى نفسه ، واخذ يتغزل بالشاعرة لميعة عباس عمارة وقد سماها (وفيقة) احتراما لمشاعر زوجته ، اذ لا يهمها التغزل بفتاة ميتة ، وكان يشير اليها بلمعة مثل « لمعة الامواج) . ويقول (هالتى تلك او وفيقة ام اقبال) ولعله يشير الى (لمعان) التى فتن بها وكان يكتب لها القصائد وقد سلمها مرة قصيدة بيده وبرغم زواجها ارسل لها قصيدتين .. ومازالت بعض قصائده عندها .

جاء الى بغداد بعد ان اكمل الدراسة الثانوية وبغداد مدينة ـ بالقياس الى البصرة ـ كبيرة ذات حرية واسعة ولها جو من المتع المباحة ، لم يجده فى قريته او بالبصرة المدينة قياسا بقريته .

رأى الفتيات الحسان بأجمل زينة وأبهى حلية واكمل صحة ، يرفلن فى الثياب المغرية والزينة الظاهرة اذ ليس للفتاة من سبيل فى ابداء زينتها الا فى الكليات فليس هناك حفلات ودعوات عامة يمكن للشاب او الفتاة ارتداء اجمل الملابس الا خلال ساعات العمل الجامعى . والفتاة ما تزال مقيدة بالتقاليد ، وتخشى لسان السوء بالحديث مع الزملاء . كان المجتمع قبل ثلاثين سنة صارما قاسيا ..

يحاسب على النظرة وينقد البسمة التى تزين الشفاه ، وبدأت اشعة الحب تسير فى حنايا روحه ، وهمسات النجوى الخفية تؤثر فى نفسه وكان كثير الغزل لان الحرمان الروحى يسيطر عليه والعذرية تفرضها التقاليد والعادات على الجميع .. فظهرت فى قصائده اثر الكلمة العابرة والابتسامة العذبة وطيف الرضا على الوجه ، والقى فى الحفلات شعره الذى كان يسعد الزميلات .. الحذرات ، وظهر ديوانه الاول يؤرخ لهذه الفترة .

لكن الشاعر لم يرتوِ من حنان النظرة العابرة والهمسة الحانية ، ولم يسعد بالحب ويمتع روحه الظمأى باللقاء العميق .

لم يكن الشاعر جميل الشكل ولكن تصور بأنه قبيح السمات بين

الرجال الذين يعيشون معه فى القسم الداخلى والكلية وفيهم كل صبيح الوجه فارع القوام ، جميل المحيا . ان القبح ليس عيبا عند الرجال ولكنه تجسم عند الشاعر ، وقد اكد له اصدقاؤه هذا الشعور فى نفسه فكانوا يهجون بدرا بالدمامة والقبح فقال احد الشعراء :

بدر السماء أرأيت بدر الوادى ؟ أضجرت ؟ ام تهزا بهذا الشادى
سرق الحروف ولم يكن كفؤا لها
هلا درى ان للحروف مبادى

لم يكفيه (قبح الملامح) رادعا واذا به فى العالمين ينادى
انا شاعر ملك البيان وان لى دررا واحكاما وانى الهادى
ان كنت فى الفيحاء صدت كواعبا فالريم يكبو دونما صياد

الخلق والخلق القبيح تآلفا ـ وتعانقا فى جسمك المترادى[1]

وكان يقف بدر امام المرآه ويهاجم تقاطيع وجهه ، وطول اذنيه ويضرب رأسه .. وينتقد شكله تعبيرا عن أسى داخلى ، والم مستكن وظن انه غير محبوب من الجنس اللطيف لقبح شكله الذى حال دون حب الحسان له فقال بمرارة وأسى وحزن :

وما من عادتى نكران ماضى الذى كانا ،[2]

---

(١) نظمها الدكتور صلاح الدين الكلدار سنة ١٩٤٥

(٢) شنا شيل بنت الجلبى ص ٥٩ دار الطليعة بيروت ط ٣ سنة ١٩٦٧

ولكن كل من احببت قبلك ما احبونى
ولا عطفوا على ،
عشقت سبعا كن احيانا
ترف شعورهن على تحملنى الى الصين
سفائن من عطور نهودهن
اغوص فى بحر من الاوهام والوجد
فالتقط المحار اظن فيه الدر ثم تظلنى وحدى .
جدائل نخلة فرعاء
فأبحث بين اكوام المحار ،
لعل لؤلؤة تبزغ منه كالنجمة

واجمل احلام المراهق رؤية الأنثى واحبها الى نفسه ان يرى على فم المرأة البسمة العابرة فيطفح قلبه بالرضا ، وكأن الدنيا ابتسمت له وتحولت الى سعادة ومتعة عذبة .. فيبالغ خيال المراهق فى الصور ، ويختلق ذهنه احلى الامانى ، واطرف الاحلام الجميلة ..

وبدر شاكر الذى فقد حنان الامومة وضاعت منه سعادة العطف النسوى ، يظمأ شوقا الى دفء الود ، وهناء الروح ، دون ان يبالى بجمال المرأة انه يريدها أنثى مهما كان شكلها فقال :

سأهواك حتى نداء بعيد
تلاشت على قهقهات الزمان

بقاياه فى ظلمة فى مكان

وظل الصدى فى خيالى يعيد :

ساهواك حتى ساهوى ، نواح
كما اعولت فى الظلام الرياح
سأهواك حتى ـ بعد ـ ياللصدى
اصيخى الى الساعة النائية :
سأهواك حتى بقايا رنين
تحدين دقاتها العاتية
تحديدين حتى الغدا
ساهواك ما اكذب العاشقين
سأهو (...) نعم تصدقين[١]

حسرة تنبع من قرارة النفس المحرومة والروح الظمأى الى الحب .. سيبقى يحبها برغم الهجر والحرمان ، انه تعبير عن مشاعر كامنة واحساس دفين فى اللاشعور يصور مدى المعاناة والاضطراب من جراء الحب .. والشوق الكامن للانثى وحنانها ومتعة لقائها الكامنة فى وجدانه .

مرت فى حياته اكثر من انثى وفيقة قريبته التى كانت من المؤثرات

(١) (اساطير) ص ٥٩ لبدر شاكر السياب والديوان ٨٩و٩٠

فى حياته وهالة الراعية .. وفتيات كن معه فى دار المعلمين العالية ... ولم ينل منهن ما كانت تريده النفس .. لكن قطيعة النساء تعلقت فى عقله الباطن ، وكان اعقها حب الفتاة التى صدق فى حبها (وزاحمه فى حبها مزاحم فضلت عليه رجلا لايحسن الشعر ولكنه يملك المال الذى يشترى به الشعر ويملك الذهب الذى يسخر به الشاعر الفنان ...)[1].

ان اخفاق الرجل فى الحب يجر عليه كثيرا من العقد النفسية فيكون رد الفعل الطبيعى : تحدى المرأة وكراهيتها ، وبغض النساء ، لان هجر المرأة واهمالها للشاب فى دور المراهقة يضيع عليه الاستقرار الروحى والامان العاطفى ، ويبقى طوال حياته ظامئا يحن الى الهدوء العاطفى ، ودبيب حنان الانثى الى قلبه . وقد اكثر السياب من النظم وصدر له حتى موته (١٩٦٤) اكثر من ستة عشر مؤلفا منها احدى عشرة مجموعة شعرية فيها الشكوى العميقة من الحرمان واضحة اومبطنة فى نظمه .

اتخذ الشعر اداة للتنفيس عن معاناة الحرمان الروحى ، والاجتماعى ، اراد نسيان حبه والابتعاد عن شعور عقدة القبح ، اذ صدمته الحياة وكان من هذا الشعور المؤلم ان ازدهر شعر السياب ،

---

(١) بدر شاكر السياب ، محمود العبطة بغداد ١٩٦٥ ص ٧٣ كانت هذه السيدة معه فى دار المعلمين العالية ثم انتقلت الى كلية الحقوق وماتزال تكتب بين آونة واخرى فى الصحف العربية وتسكن فى لندن مع زوجها . وهى التى سماها ذات الغمازتين .

وكسب الأدب العربى شعرا جميلا وصوتا عذبا وتجديدا أثر فى كثير من الشعراء المعاصرين لبدر ومن بعد بدر .

ان عقدة القبح والشعور بالنقص ولدا فى جيكور والبصرة وتعمقا فى بغداد ، دعاه الى السمو فى شعره ، ليأخذ له مكانة فى مجتمع لا يعرف للعبقرية قدرا ولا يقر للنبوغ مكانة .. والمجتمعات المتخلفة لا ترى المكانة الا فى القوة والسلطة او بالمال والجاه .. اما المفكر او المثقف او المعلم الذى يذوب فى سبيل شعبه فمكانه زاوية الاهمال ، ان خلت من نظرة الاحتقار والازدراء .

اتخذ بدر سبيلا واضحا يرفع من مكانته شاعرا ملتزما ، هو الهجوم على الاستعمار والدفاع عن قضايا المجتمع المتخلف ، ونقد النظام السياسى .. وقد جره شعره الى السجن بعد ان لقى صدى عميقا فى النفوس ـ واصبح بطلا سياسيا احتضنه الحزب الشيوعى الذى كان يريد شاعرا يرفع من مبادئه ومثله .. وقد اعطاه هذا الحزب كل ما حرمته منه الحياة العامة من متع ولذات كرع منها ما اراد حتى ارتوى واحس بالذات واشبع رغباته ـ حسب اعترافاته ـ التى نشرها فى العراق .

وكانت مشكلات الشعب عاملا فى انماء شخصيته الشعرية ، فقد غذته باحداث مهمة وقضايا جديدة ، لم ينظم فيها الشعراء الا القليل .. احس بالاضطهاد الفكرى ومرارة كبت الحرية ، وعجز الاديب عن القول وصور المشكلات المعاصرة ، كالفقر الذى عم

العراق والكبت الذى حد من عقله والمرض الـذى يفتـك به دون هوادة .. باجمل الصور الفنية .. واعذبها واخلدها .

احس بالتناقض الغريب فى هذا المجتمع والتزييف والتضليل ، الذى يعيش فيه واغتراب المثقف الروحى فى وطنه برغـم التطـور الاجتماعى والفكرى الذى كان يعيش فيه الشعب فى العراق .

اخذ يرسم هذه الصور واندفع يعبر عن صرخات الالم والحرمان ، وتأخر الشعب فكان شعره معبرا عن آلامه ، هو واوجاعه ومعاناتـه الروحية والفكرية فى اطار شعبى جميل .

هاجم اعداء الامة فنفس عن آلمه ومعاناته من ظلـم المجتمـع وسيطرة التقاليد .. فرسم نفسه وخيالها وآمانيهـا فى هذه المعانـاة ، وزحمة التخلف فى العراق .

سيتويل واثرها فى شهر بدر (Edith Sitwell) :

وقد وجد مسربا آخر من مسارب التنفيس عن الحرمان الجنسى وارواء الظمأ الروحى ، الذى لم يجده فى حياته الواقعية ، عندمـا انصرف الى رقة شعر (سيتويل) يدرسه ويقلده وهو يحس بحنان المرأة ، التى لا يعرفها الا بالخيال ولا يتصل بها الا فى شعرهـا ، ليستعيض به عن حنان المرأة واهمالها له فى واقع حياته .

قلدها بدر تقليدا ملك عليه لبه ، واستولى على مشاعره وجوارحه ،

ووجد فى شعرها تعبيرا عن رغبات نفسه العطشى ، ومشاعره فى الترجمة والاقتباس والتضمين والاستفادة من شعر الشاعرة . انها معايشة نفسية تبعد عنه ظمأ الروح والجوع العاطفى ، والكبت الجنسى . انه يعايش فتاة (أحن عليه) من بنات جنسه .. فى خياله .

وكان من جراء هذا الانغماس والاعجاب ، ان تسربت الى شعره الرموز المسيحية والاساطير التوراتية ، كالصلب والقتل والتعذيب والآلام والمخلص ، كما ورد اليعاز الاسخربوطى ، الى جانب الناقوس والكنيسة وتعليق المسيح بالمسامير ونزول دمه ووضع الشوك على رأسه سخرية ، بدلا من التاج الذى ظن الحاكم أنه يطمع فيه .

ولا اقر المجددين ، بان هذه الاشارات هى رموز اتخذها بدر ليشير الى مشكلات عامة ، لان هؤلاء لم يقرأوا شعر الشاعرة ولم يعرفوا مقدار الالتصاق الكبير بها والتقليد الواضح الذى انغمر فيه الشاعر وظهر فى شعره .

ان شعراء الغرب متأثرون بالانجيل والتوراة ، ولا تختلف الشاعرة اديت سيتويل عن غيرها من شعراء الغرب . ان الرموز المسيحية التى وظفها الشاعر هى تعلق لا شعورى بالشاعرة حبا بالانثى ، فقصيدته انشودة (المطر) اخذها من الشاعرة عندما ترجم قصيدتها Still Falls the Rain

وما كان بدر شديد الصلة بالموروث الحضارى العربى والاسلامى

ولم يتخذ من تراثه سبيلا للخلاص الروحى الذى ارقه ، والتناقض الاجتماعى الذى آلمه ، انما قلد الشاعرة التى ارهقتها مادية الغرب ، وحضارته القاسية التى دمرت بالقنبلة الذرية اليابان ، وابادت البشرية باسلحة الدمار الغربى ولما آذت الشاعرة هذه الحضارة ، وآلمتها قساوة الغرب ، ارادت ان تفرج عن همومها وان تجد ما ترتاح إليه نفسها ، فكانت فكرة المخلص المسيحية مسيطرة عليها فلجأت إليها لترتاح لان المسيح سوف يعود ويخلص العالم من اوجاعه وينجيه من احزانه .

ان الشاعرة امرأة كاثوليكية شديدة التعلق بالمسيحية ، والكاثوليك اكثر ايمانا بالمسيحية . وهذا الايمان العميق واضح فى شعر الشاعرة التى قلدها شاعرنا فى قصيدة (المسيح بعد الصلب) وترجمها الى اللغة العربية .. واثر هذه المرأة واضح فى عدة قصائد اهمها (انشودة المطر) و (النهر والموت) وصلب المسيح . هذه القصائد محاكاة واضحة لقصائد الشاعرة (مايزال المطر يسقط) و (يجرى مخضرا) و (اغنية شارع) وغيرها .

وقد ترجم الزميل الشاعر المبدع الدكتور نذير العظمة قصائد الشاعرة وكتب كتابا رائعا عن اثرها فى شاعرنا[1] .

---

(١) بدر شاكر السياب واديت سيتويل للدكتور نذير العظمة طبع دار المعرفة الكويت ١٩٨٤ ص ٥٩ و ١٢٢ ويلاحظ قصيدته المسيح بعد الصلب فى ديوانه ص ٤٥٧ والعودة الى جيكور ٤٢٠و٤٢٣ وقد اعترف بدر شاكر باثر الشاعره فى شعره وانه ترجم شعرها فى ديوانه ص ٣٥٧ .

ان انكباب الشاعر على شعرها ودراسته له وحبه لها تعبير عميق وصدى لعقدة الشعور بالنقص جاءت من شعوره بالقبح .. فهو يلازمها ويقرأ شعرها متى أراد دون عذل أو خوف الهجر .. انه يتمتع بشعرها فى وحدته ويسرح الخيال فى جماله . ولعله يذهب بعيدا ويصور لنفسه جمالها !!

قال فى قصيدة (العودة الى جيكور) :

من ينزل المصلوب عن لوحه ؟
من يطرد العقبان من جرحه ؟
من يرفع الظلماء عن صبحه ؟
ويبدل الاشواك بالغار ؟[1]

أليس هذا هو الاحساس الداخلى لشعوره بالظلم والاضطهاد ، وبأنه مثل المسيح العظيم يطرد ويهان .

لاشك بأن بدر استفاد من الشعرين الأجنبى والعربى كثيراً بحدود معقولة إذا قورن شعره مع الشعراء المعاصرين الذين أصبح شعرهم بلا طعم ولا رائحة ولاشكل ، وليس هناك من لوم على بدر . انها حياته التى فرضت عليه هذا الاتجاه وكان الشاعر حريصاً على الشعر العربى لكن رغباته العميقة كانت تؤثر فيه وتدفعه الى مادفعته

---

(١) ولاحظ قصيدته المسيح بعد الصلب فى ديوانه ص ٤٥٧ والعودة الى جيكور ٤٢٠ .

إليه ، يضاف الى ذلك ما ابتلى به الوطن العربى من اضطهاد ، وقتل ونفى وعبودية ، ثم يأتى بعد بدر من لايعرف المسيحية ولايجيد الانكليزية ، فيعتمد على أساطير الغرب وممن تأثر بالشاعر بدر شاكر وبما فى شعره المسيحى ، أحمد عبدالمعطى حجازى .

كان المريض راقدا
يبكى على الصليب
حين اطل رأس غصن
من حديد النافذة ثم انفلت[1]

وخير من أحمد عبدالمعطى الشاعر ، صلاح عبدالصبور التى وظف كثيراً من تيارات الفكر العربى فى شعره ، وأدخل فى ثناياه الآثار الاجتماعية والدينية ، التى أثرت من محيطه فمثلاً فى غياب يوسف عن أبيه وماحدث له أخذها من القرآن الكريم فقال :

خطابك الرقيق كالقميص بين مقلتى يعقوب
احد وبدر شارتان على رداء محمد عاش الجهاد

وقال :

تعيش فيه صفحة بياضها من عين يعقوب

---

(١) قصيدة (ليس لنا) من ديوان مدينة بلاقلب عن الشعر العربى المعاصر ص ٣١٨

ولعل أحمد عبدالمعطى حجازى قد تأثر بالسياب الذى تأثر بسيتويل واليوت ، دون أن يعرف الجذور الفكرية التى أوحت إلى السياب هذه الأفكار ، بينما بدر شاكر السياب عكس بعض الفكر الاجتماعى والحضارى فى مجتمعه عندما أخذ شيئاً من أسطورة عنترة وعبلة :

ذكرت منها نجمتى البعيده
تنام فوق سطحها وتسمع الجرار
تنضح - ياوقع حوافر على الدروبْ
فى عالم النعاس ذاك عنتر يجوب
دجى الصحارى ، ان حى عبلة المزار[1]

واستفاد من التاريخ الاسلامى عندما أشار الى نوم الامام على كَرم الله وجهه ليلة هجرة الرسول ولا انكر بان أحمد عبدالمعطى حجازى استفاد من استشهاد الحسين فى شعره ولكنه لم يوفق فنيا .

ان مثل هذه الشواهد التى ذكرتها فى شعر السياب وحجازى وصلاح عبدالصبور تأتى بلاشعور وعفوية فى شعرهم ، ولكن اشد

(١) الديوان ص ٦٠٣ قصيدة (ارم ذات العماد) وشناشيل بنت الجلبى ص ١٤ وقد أخذ الاسطورة من ان شداد بن عاد الذى بنى جنة (إرم) اختفت حين اهلكه الله وادخل الشاعر عنترة بن شداد وعبلة لتقارب الأسماء .

الآثار فى شعرهم واعمقه فى تجديدهم جاء من تقليدهم الشعر الغربى بلا وعى فبالرغم مما قلناه عن صلاح فان قصيدة (الظل والصليب) تعكس هذا التقليد[1] . مع غيرها من شعره .

كنت أرجو أن يتأثر هؤلاء بأساطير العرب ، أكثر من خرافات الغرب ، وان نجد أساطير الفراعنة وبابل وآشور أكثر من أساطير اليونان والرومان .

لكن التقليد الأعمى وادعاء الحداثة والتقدمية ، ضيق أفق هؤلاء حتى شعروا بالنقص فارادوا سده بالتقليد ، والشاعر الجيد هو الذى يوظف أساطير أمته ـ كما صنع شعراء الغرب ـ ويؤكدها فى إنتاجه ولايقلد الأمم الأخرى .

والحق أقول برغم شعور بدر الداخلى فهو أحسن من كثير من الشعراء فى الاستفادة من محيطه ، ومن مجتمعه وتاريخ أمته . فقد كانت تنازعه حركتا التجديد والاصالة عندما قال :

وتحت النخل حيث تظلُّ تمطر كل ماسعفه
تراقصت الفقاقع وهى تفجر ـ إنه الرطب
تساقط فى يد العذراء وهى تهز فى لهفه
بجذع النخلة الفرعاء (تاج وليدك الانوار والذهب)

---

(١) ديوان صلاح عبدالصبور ص ١٤٨ بيروت ١٩٧٢

سيصلب منه حب الآخرين سيبرىء الاعمى
ويبعث من قرار القلب ميتا هدّه التعب
من السفر الطويل الى ظلام الموت يكسو عظمه اللحما
ويوقد قلبه الثلجى فهو يحبه يثب ![1]

فقد ظهر اثر الفكر الاسلامى مضافا اليه الفكر المسيحى فى هذه القصيدة ولكن التيار المسيحى غلبه فى قوله :

الشعر زلتى التى من اجلها هدمت ما بنيت
من اجلها خرجتْ
من اجلها صلبتْ
وحينما علقت كان البرد والظلمة والرعدْ
ترجّنى خوفا
وحينما ناديته لم يستجب
عرفت أننى اضعت ما أضعت[2]

فقد عبر بدر ايضاً عن مشاعره الاليمة بالصلب والتعليق على الصليب مشبها نفسه بالمسيح (عليه السلام) متأثرا بما جاء فى ثنايا الشعر الغربى وبخاصة سيتويل عندما هجرته فتيات من بلاده ولم

---

(١) شناشيل ابنة الجلبى ص ٦
(٢) ديوان صلاح عبد الصبور ١٩٥

يتزوج منهن واحدة احبها ونظم شعره فيها[1]

أو ما صلبونـي امس ؟ فهـا انـا فى قبرى .

فليأتوا ـ إنى فى قبرى .

من يدرى أ ... ؟ من يدرى ؟؟

ورفـاق يهـوذا ؟! من سيصـدق ما زعموا ؟

قدمْ قدمْ[2]

الطرف الثانى : نازك الملائكة

وتختلف نازك الملائكة باحساسها بعقدة الشعور بالنقص عن بدر شاكر السياب الذى ولّده المجتمع فى نفسه وجسّمه فى خياله وفى نفسه . بينما الشاعرة هى التى ولدته فى نفسها ، فليست الشاعـرة قبيحة الشكل ولا اظنها تحس بالقبح فى شكلها وتقاطيع وجهها ، لكن الظروف الاجتماعية فى العالم العربى وفى العراق بخاصة وعوامل

(١) حدثتنى الشاعرة لميعة عباس عمارة : بأن بدر شاكر السياب خطبها بصورة رسمية . فوجدت ان الاسرة لا توافق لاختلاف العقائد . ثم ان فلسفة الشاعرة قامت على : ايثار شعرها وسمعتها الادبية على حب بدر لانها كما قالت : سيقضى علىّ بدر شعرياً فاذا نشرت قصيدة سيقولون انها من نظم بدر ، ثم ان الحب يموت بالزواج وسيقضى علىّ شاعرة ، وافضل الموت على أن اجر الوبال على نفسى وشعرى . وبذلك فقد آثرت شعرها على بدر ...!! وكسب الادب العربى شعرا خالداً من آلامه واحزانه !

(٢) ديوان بدر شاكر السياب ص ٤٦٠

اخرى ، دعتها الى الالم والنقمة على الرجل وكراهية الذكر الذى اخلصت له الحب وكان يحب غيرها .

فقد برزت الشاعرة وهى صغيرة السن ، فى عالم الادب والشعر نشرت لها الصحف اليومية قبل غيرها فقد كان والدها صادق الملائكة ، مدرسا فى المدارس الثانوية يوجهها ويقوم لها شعرها ، ونشأت الشاعرة فى بيئة شديدة المحافظة ، متمسكة بالتقاليد ، وعوضت ذلك بدراسة الشعر والانصراف اليه ، والعزف على العود ، وقد عمقت هذه التقاليد فى نفسها العزلة ، بعد ان صدمها المجتمع بتقاليده وعاداته .

وقد ورثت المحافظة والهدوء من اسرتها مع لقب (الملائكة) من القرن التاسع عشر ، فقد كانت اسرتها تسكن الى جوار الشاعر عبد الغفار الاخرس ، وهو شاعر العراق فى عصره ، وفى مجلس من المجالس جرى الحديث عن الجيران الذين يسكنون فى جواره قال الاخرس بعفوية : انه لا يعرفهم ولم يسمع لهم صوتا او يحس بالدار حركة انهم (ملائكة) فأطلق اللقب على فرع اسرة الجلبى العربية التى ماتزال تسكن فى الكاظمية .

وأصبحت سمات هذا الفرع ، الخلق الهادىء والطبع المحافظ الحذر ، وامتاز باحساس شديد ، ورهافة المشاعر ، ونبت فيه الفن بأنواعه ، والادب بخاصة فقد انجبت جيلاً مرهف الحس ، شديد الشعور عميق الاحساس . وقد عمق التبدل الحضارى الذى عاشته

والنقلة الاجتماعية والفكرية الاحساس المرهف والحذر الشديد فى نفس الشاعرة .. فانصرفت تعب من التراث الاصيل ، وتدرسه فى مكتبة والدها .. وبرزت موهبتها وشاعريتها قبل غيرها من الاتراب .

اشتهرت نازك الملائكة شاعرة ، ودوى ذكرها فى محافل بغداد وكانت هذه الشهرة والصيت الواسع اكبر من عمرها الزمنى ، فخاف ابناء جيلها ، من اسمها وشهرتها واحترمها ، وهابها . والشباب فى العراق لا يقترب من الفتاة المشهورة جدا ويبعد عن الجمال الصارخ فى المرأة .

ومن وصايا العرب (اياك والجمال الفائق فانه مرعى انيق) وظهر شكهم فى الجمال واضحاً فى قول الشاعر :

ولن تصادف مرعى ممرعا ابدا   الا وجدت به أثار منتجع

وتوهمت الشاعرة ان ابتعاد الرجال عنها اهمالا لأنوثتها ، ولجمالها . والمرأة لا تكمل انوثتها الا بالامومة ، وقد تأخرت عنها الامومة كثيرا .. فأحست بقساوة الحياة وثقل ظلها على نفسها ، ولم تجد غير الشعر تنفس فيه عن هذا الالم العميق ، فكان ديوان (شظايا ورماد) تعبيرا عن الروح المرهفة والطبيعة المتوثبة فى سيدة لا ينقصها شىء لتكون أمًّا ، وفى (قرارة الموجة) من الألم المحض واليأس القاتل الذى عبرت فيه عن هذه الآلام بصدق وانفعال

عميق فقالت :

لا تسلنـــى عن سر ادمعى الحرى

فبعض اِلاسرا يأبـى الوضوحا

بعضها يؤثر الحياة وراء الحس لغــزا وإن يكن مجروحا[1]

وهل هناك جراح اعمق من جراح الأنوثة المهملة ، والحـواس المرهفة المهجورة .. ليس لها الا الدموع الغزيرة وما اغلاها من دموع تسفحها الشاعرة المبدعة .. بعد ان فقدت قلب الرجل الذى يواسى جراحها ويربت على احلامها ، ويقضى على متاهة الغربة الروحية فى النفس .

امس فى الليـــل وكانـــت صور الاسرار شتى

تتصبـــى حاضرى الغـــافى وكان الامس ميتا

خلتنـــى كفنتُـــه ذات مساءِ

وتحصنت بدعوى كبريائى .

سمعت روحى فى اغفاءة الظلمة صوتا .

لم يكن حلما خرافى الستور .

بعثته رغبة خلف شعورى .

كان شيئا ، كان فى صمت الدجى صوتك انت .

(١) شظايا ورماد ص ١٩ منشورات المكتب التجارى ببيروت ١٩٥٩ .

ذلك الصوت الذى يعرفه سمعى مليا
صوت ماضى الذى مات وما خلف شيئا
غير اشتات احتقار باهت
رسبت فى قعر قلبى الصامت(١) .

هل يستحق المجهول كل هذه المشاعر الدفاقة ؟ ولكن حق للشاعرة ان تحب وان تكمل انوثتها .. غير انه ذهب وتركها تتلظى حبا ووجدا وألما ، وتذيب نفسها عاطفة وشعرا قالت :

أحب أحب فقلبى جنون وسور حب عميق المدى
أحب فروحى حس غريب يضيع لديه جمودى سدى
حياتى فى العالم الشاعرى لهيب من الحب لن يخمدا
وجسمى قلب خفوق خفوق سيلبث ملتهبا موقدا(٢)

ما ارق هذا القلب الذى احب بجنون ، وأصدق العواطف التى تضيع فيها اصداء الحب الذى لا يخمد .

ومثل شاعرتنا ، مى زيادة ، فقد جافاها الرجال لأن شهرتها غطت على الرجال ، وبزت كثيرا ادباء عصرها فخشى الرجال من شهرتها ومن جمالها ، فقد قال احد هؤلاء الذين اعجبوا بها أنثى حلوة

---

(١) شظايا ورماد ص ، ٣٧ و ٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣ .

جميلة ، أنا احد الذين كانوا يرون السعادة كل السعادة فى الاقتران بمىّ لما وهبها الله تعالى من الخلق الجميل ، والصفات الطيبة ، ولكن كنت ارى ان مستواها العلمى فوق مستواى ، فلم أقدر على طلب يدها وقال : وكان لى امثال كثيرون ولكنهم كانوا يرون رأيى فيها وكنا حين نلتقى بمى النابغة نشعر بعاطفة الأكبار والاجلال لآدابها الرفيعة[1] .

وابتليت بالحب اجمل أنثى من شواعر هذا الجيل ، فدوى طوقان التى علا صوتها وارتفع صيتها على كل الشواعر ، وتحاماها الرجال وقد عبرت عن هذا الابتعاد بشعرها اصدق تعبير فلا يوجد امـرأة عربية صورت حياة امرأة فى الشرق العربى ، مثل فدوى الشاعرة المبدعة[2] .

غـــيران يا زنبق غـــيران يا اغلى أمانينا

اذن لمن صغنـــا اغانينا

لمن منحنـــا خـــير ما فينا

يا غينا الحبيب يا زنبق

انت شربت الخمر من حبنا

---

(١) مجلة الدوحة المقال منقول عن مجلة الرسالة بقلم عبدالله مخلص ـ عضو المجمع العلمى فى دمشق العدد ٩١ رمضان ١٤٠٣ هـ .

(٢) لى دراسة عن الشاعرة الرقيقة المبدعة فى كتابى (فى الأدب العربى الحديث بحـوث ومقالات نقدية) ص ٢٦١ الطبعة الثالثة دار العلوم ، الرياض .

وأنت امرعت على حبنا
ونحن هل نجمد يا بلسما مر على جرحنا
و يا ندى رطب أيامنا
وشعرنا الغالى واحلامنا

هذه الثورة تهدأ وتلك النفس الغضبى ينساب اليها الرضا ، ويرف على النفس دفء الحنان وصدق الشوق ، عندما تتزوج نازك ويعمر القلب بالسعادة ولادة ولدها ، فتضحك لها الحياة وتنصرف بكل طاقتها الى انوثتها ، وتغمرها السعادة الحقيقية حتى تنسى فى غمرتها شعرها فقالت فى مقدمة (للصلاة والثورة) .

(لا اشعر بدافع يزج بى فى دروب القصيد ..) وقالت (اننى كنت احسب أننى انتهيت شعريا الى الأبد) ولما عرفت معنى الصلاة قالت :

(أما الصلاة فهى الجانب الروحى فينا ، هى الورود التى تنبت فى النفس الانسانية ، من اثر اتصالها بالمنابع الأزلية ، منابع الله وهى تشمل كل ما تفسرٍّ له من حياة الانسان الغامض ...) .

وبعد ان اتمت شيئا من رسالتها .. عاد لها الشعر وتدفق أجمل من تياراته السابقة ، وعدته خصبا متدفقا ، لأنها اخصبت أنثى وأدت رسالتها أماً فقالت :

(ومن اتمام الفائدة ان اقول أننى منذ ذلك التاريخ ـ **١٩٧٣** ـ

اتدفق تدفقا شعريا خصبا لا انقطاع له ..) .

يلاحظ كلمة (الخصب) و (التدفق) .

الواقع انها احست بالسعادة عندما تزوجت من استاذ فاضل يمتاز بخلق رضى وهدوء عميق واتزان محبوب فقد تزوجت سنة ١٩٦٢ فى بغداد وذهبت الى البصرة معه ، لادارة جامعة جديدة ورأست قسم اللغة العربية .. انه عمل يلائم ذوقها ، مع زوجها يدير فرع الجامعة ، واجمل شيء على قلب المرأة زوج مرموق ، وطفل يحبو ، وعمل يلائم الذوق ، ونجد هذا الرضا فى قصيدة لها تخاطب العود فقالت :

يأخذنى من يد احزانى فى رحلة حب صيفيه
ويدا بيد أنا والأوتار
نرحل نحو بلاد الأقمار
فى غاب الأنجم فى بِيد منسيه
ورؤانا تسبح فى برك مرجانيه

نبحر محمولين على موجة اغنيه
نرحل فى رؤيا غسقيه
وشراع سفينتنا اذيال المغرب فوق ربى ومحار
أبعد مما تصل الأشعار
أنا والأوتار
ضعنا فى غيم محطات لا مرئيه

في منعرجات بيض في اغماءة وجد صوفيه
وسكبنا الدفء ولون النار
في برد الأرصفة السهرانه
تحت رياح ثلجية[1]

لا اريد أن أشرح هذه العواطف الصادقة ، عواطف الأنثى نحو الرجل فهي واضحة كل الوضوح، انها أجمل وصف للقاء المرأة مع الرجل وقد تدفقت مشاعرها واحاسيسها بصور فنية خالدة لا تخدش الحياء ولا تؤذي النفس المرهفة .

هذا هو الفارق الكبير بين حياتها قبل الزواج وحياتها بعد الزواج الذي اسعدها وهي في التاسعة والثلاثين .. وظني لو ان الشاعرة تزوجت وهي في العشرين ، لما اصبحت شاعرة معروفة ولما خلدت هذه العواطف العميقة ، وقد كسب الشعر من شقاء الشاعرة كثيرا ونعم الأدب بثروة كبيرة من آلامها وأوجاعها وحرمانها .

ولم يكن امامها اول امرها الا اثبات الذات امام الرجل وتحديه في رجولته وعبقريته عندما خاصمت بدر السياب على الريادة في نظم الشعر الحر .. وكانت تريد من هذه الخصومة ان تثبت ذاتها انثى قديرة .. ولتعرف جزءا من شعورها الداخلي الموجع وتنفس عن كبت مؤلم . انه الشعور العميق في اللا وعي .. الذي فرضه عليها المجتمع

(١) للصلاة والثورة ص ٨٤ بيروت دار العلم للملايين ١٩٧٨ .

والأسرة وكبرياء المرأة الشاعرة المرهفة الشعور .

وكان بدر يخاصم نازك المرأة ، التـى اذلتـه وهجرتـه واحتقرتـه شاعرا ، ونبذته بعد أن احس بحلاوة الحب .

كانت المنافسة هو التسامى الفنى ، بعد الاخفاق فى الحياة ، ولا شك فى ان شعر نازك اقوى اسلوبا واصفى ديباجة واجمل اصالة من شعر بدر شاكر السياب ، لأنها نمت فى جو عربى مسلم اصيل ، وفى بيئة محافظة كريمة ولا تقدر ان تنفس عن مشاعرها الا بالنظـم .. وحرمانها من الترفيه الروحى والمتع الأخرى عمـق فى نفسهـا قوة العاطفة ، وأصّل فيها قوة النسج وجزالة اللفظ .. ومثل ذلك فى الشعر الحديث فى شوقى الذى كان اقوى اسلوبا ، واجزل لفظا ، واحسن عبارة من حافظ ، لأنه لم يكن قادرا عن الافصـاح فى الحـديث اليومى ، فترسبت فى نفسه كل الآراء والأحاسيس وظهرت فى جزالة الشعر وسمو المعنى .

أما حافظ فقد كان ذرب اللسان ، حلو المعشر ، كثير الفكاهة ، عذب اللقاء ، فاضاع الكثـير من شاعريتـه وكان شعـره أسـلس عبارة ، وأسهل تركيبا ، من شوقى وأكثر تعبيرا عن مشكلات الشعب اليومية .

فنازك اجمل عبارة ، والسياب ابعد تجديدا وأكثر تطورا واندفاعا نحو الحداثة .

ولم تكن القضايا النفسية وحدها ، من بواعث هذا التحدى انما

كان هناك اختلاف جذرى فى العقائد . فالسياب كان شاعر الحزب الشيوعى ، ونازك كانت شاعرة الفكر العربى والقومية ، وكانت اكثر علاقة بالتراث لأنها تخرجت فى قسم اللغة العربية ، وبدر درس سنة واحدة ثم تحول الى اللغة الانكليزية وانصرف بكل طاقاته الى هذه اللغة لاثبات ذاته وابراز نفسه .

فارتفعت الأصوات من حولهما وكثر انصار كل واحد فالفكر القومى اراد قهر الفكر الشيوعى ، والمرأة ارادت ان تهزم الرجل ، واراد الشيوعى اثبات ذاته ، وقهر المرأة فى نازك والفكر العربى الذى اخلصت له ،

هناك اختلاف كبير فى الجذور العميقة اساسها الشعور بالقبح الذى جر الى الشعور بالنقص ، ثم ادى الى الاحتجاج ثم الثورة والتحدى والصراع .

والطريف انهما بعد ذلك سارا فى مسار واحد عندما كنت امينا لجمعية الكتاب والمؤلفين ثم رئيسا لها . كان الشاعران من اعضائها البارزين . فقد هدأت الثورات النفسية ، وغرام الشباب ، وسارا فى اتجاه عربى واحد ، وفكرة اصيلة . استفاد منهما الفكر العربى والأدب الأصيل كثيرا .

الكارثة :

وأثّر هذان الشاعران فى تجديد الحركة الشعرية فى الوطن العربى

وظهرت الدعوة الى التطور واضحة كل الوضوح ووجدت صدى عميقا عند الأدباء فى الأقطار العربية .. ومن هؤلاء الشعراء المتأثرين بالتطور والتجديد من كان يسير فى هدي عمود الشعر العربى[١] الأصيل وزواج بين الاسلوبين ، ومنهم من ترك الاسلوب العربى واندفع فى التيار الجديد ، ومن الشعراء المجددين عبد الوهاب البياتى وعبد الرزاق عبد الواحد وشاذل طاقة وبلند الحيدرى وحسن البياتى وصلاح نيازى وعبد الجبار البصرى وراضى مهدى السعيد ويوسف الصائغ وحميد سعيد وشفيق الكمالى . وغيرهم كثير .

ثم بدأ بعد هذا الجيل ، الهبوط اللغوى فى الاسلوب والسطحية فى الفكرة ، وضياع الموسيقى ، وروح الفن الجميلة ، وأصيب الشعر العربى بكارثة موسيقية ولغوية .

لا شك فى ان ظهور مثل هذا الشعر هو النتيجة الطبيعية للحياة المعاصرة ، بعد ان اصبحت الأمور سهلة هينة ، وليس لدى البشر الوقت الذى يصرف فى حفظ الشعر ، وفقد الجيل الصبر على مجالدة

---

(١) قال المرزوقى فى شرح حماسة أبى تمام عن عمود الشعر :

(انهم كانوا يحاولون شرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، واستقامته ، والاصابة فى الوصف ، ومن اجتماع هذه الاسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات ، والمقارنة فى النسبة والتمام فى اجزاء النظم والتئامها ، على تخير من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار فيه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما حتى لا منافرة بينهما ، فهذه سبعة ابواب هى عمود الشعر).. ص ٩ جـ ١ .

العلم بعد أن سهلت الحياة الحديثة كل شيء ووضعته هينا بين يدى البشر .

واخذ النقاد لا يطالبون الا بأقل شروط الفن وبحدود ضيقة من الجمال ، لأن الفن لا بد له من متعة روحية وموسيقى داخلية ، وان يكون صحيحا فى نحوه ولغته ، وان يجارى الرأى العام الفنى الذى ابتعد عن الفصاحة والذوق السامى .

انه عصر فقد فيه التذوق الفنى ، والمتعة الأدبية ، عندما ضاع الذوق المرهف ، وفقدت الاصالة الجمالية ، بعد أن مسخ الذوق الغربى الذوق العربى ، وتجاهل الاطار الفنى للشعر الأصيل .

كانت الكارثة عندما تعطلت الحاسة الفنية التى انشغلت بالنشاز ، وابتعدت عن الموسيقى الحلوة الرقيقة ، وهبط الذوق الرفيع الممتع ، الى دركات الضعف والفوضى والعجمة الفكرية .

ان تعطيل الحاسة الفنية جرت الى كلام ليس له طعم ، وليس له رائحة ، وليست فيه فكرة سامية تخدم الانسانية ، وتطور الذوق ، لأن هذا الهبوط الفنى هو الذى ادى الى تعطيل الحاسة الفنية ، وبذلك بطلت اهميتها وإذا فقد الانسان حاسة من الحواس فَقَد متعتها ، فإذا فقد حاسة الشم فلا يفرق بين الرائحة الذكية والنتنة بعد أن فقد الشاعر حاسته الفنية وأضاعها فلم يعد يعرف الشعر الأصيل من الشعر الركيك ، لكثرة ما قرأ من الأخير ومسخ ذوقه فظن الهبوط والركة والنشاز هى الأصل ، والجمال والذوق الرفيع لا قيمة لهما .

وبدأ الناقد المعاصر يبتعد عن فهم لغة الشعر الأصيل ، ونحو اللغة العربية وصرفها ، واسلوبها وخيالها فما اكترث به . لأن فاقد الشيء لا يعطيه فهو لا يعرف النحو والصرف والبلاغة ، فكيف يعرف ما فى الشعر من تدهور وانحطاط .

لست معتمدا كل الاعتماد على النحو والصرف والبلاغة فى قولى حسب ، وانما ارى من الضرورى لمن يبنى بناء ان يعرف الأرض التى يبنى عليها ، ومن اراد نقد أدب لا بد أن يعرف الأسس الأصلية التى قام عليها هذا الأدب .. والنحو والبلاغة اقوى الأسس الأدبية . ومنها يعرف قوة البناء وضعفه .

اتجه الشاعر المعاصر نحو الأسطورة وبناء الكلمة والرمز والغموض وظهر فى النشر اللا معقول وغير ذلك من افكار الغرب وأساليبه .

ولن يقوم لأمة أدب رفيع ويصبح أدبا انسانيا ، إلا اذا كان قوى الأسلوب واصبح عميق الاحساس ، صادق اللهجة وله من قواعد لغته والبلاغة نصيب كبير .

اختلاف المفاهيم :

هل هذا هو الشعر بعد أن انحدر هذا الانحدار الذوقى ؟ وابتعد عن الأصول الفنية أهي ضرورة تاريخية أم حتمية حضارية معاصرة ؟ أم أنه انحدار حضارى غربى ، قلدناه دون وعى وادراك للواقع العربى الذى له مشكلاته الخاصة وقضاياه المتعددة المتنوعة ؟

ان أكثر ما نشر يدل على نضوب فنى ، وسطحية فى الفكرة وبعد عن الموسيقى ، فيه سرعة التكوين ، وانفعال روحى غير منسق ، فقد بدأ التجديد فى اطار فنى جميل ولغة عربية سليمة وذوق اصيل .. وبتوالى الأيام اخذ يسف ويهبط ، حتى سقط فى هوة لا يعرف مداها الشاعر نفسه .

كان الأوائل يحرصون على اصالة التراث ، ويحافظون على الذوق الفنى ، وجاء جيل استعجل النظم ، ووجد من ينشر له هذا الهراء ، لأن المشرفين على الفكر الأدبى والصفحات الأدبية لا يملكون الذوق الأصيل ، واللغة الجيدة ، ولا بد لهم ان يكملوا الصفحة التى يشرفون عليها باى شىء .. قد تكون لهم خبرة صحفية ـ وهم قلة ـ ولكنهم لا يملكون الاحساس الفنى المرهف ليفرقوا بين الجيد والسىء لأنهم لم يزودوا بالأدوات اللغوية ، التى تؤهلهم للحكم ـ بله ـ القيادة والتوجيه .

وقد حذر بدر السياب من المشرفين على صفحات الأدب وحملهم المسئولية فى نشر مثل هذا الأدب الهش ، والذوق الهابط ، فى الشعر فقال :

(ان الذنب ليس ذنب الشاعر بل ذنب الصحفى الذى ينشر له ، والسبب ان بعض اخواننا الصحفيين ليست له المعرفة الكافية فى امور

الشعر ، وعليهم لتلافى ذلك ان يعهدوا بها الى من يفهمه جيدا.)[1]

والمصيبة الكبيرة ـ ان الضعاف دائما يتكتلون كما يقول افلاطون ليحافظوا على انفسهم فقطيع الغنم ، وقطيع الغزلان ، والطيور ، تتجمع خوفا على حياتها ولتدخل السكينة الى نفوسها ، وقد وجدت شكوى مريرة من تكتل هذا القطيع والويل لمن يقف ويطالب بالاصالة ، وفهم اللغة ، ولو كان اديبا كبيرا ، وشاعرا مجددا ، .. لأنه اذا لم يسايرهم فى هذرهم ، منعوا نشر ادبه وقد قرأت لشباب نابه وأديب ذكى مثل هذه الشكوى نشرها فقال :

(هذه الكوكبة ، اذا احست ان اوراق المدح هذه قد نفدت ، اخرجت لك اوراق الشتيمة والاستهزاء أو الصراخ على الجميع ، ولكى تعرف ان هذه الاسماء تكتب مثلما يرغب المشرف ، فالهدف مادى بحت والا فما معنى ان هناك اسماء رائعة تعيش بيننا تعمل فى صمت ، فى عمل حكومى او خاص لا تكتب الا بما تحس وفى هدوء واحترام وحب) .[2]

كنت اتتبع ما ينشر فى الصحف والمجلات العربية ، من انتاج ادبى وبخاصة ما ينشره هذا الجيل الجديد ، الذى صرعته موجة الحداثة ، وبهرته فكرة التغريب ، واضاع شخصيته فى تيارها

---

(١) خالص عزمى ص ٣٦ .

(٢) محمد علوان (ادب وثقافة) الجزيرة العدد ٤٠٥٠ محرم ٢٥ منه سنة ١٤٠٤ هـ .

وشكلها .. لم اجد الا النواح والبكاء والحزن والعويل ، ان اكثره سلبى الاتجاه ، لا يكترث الا بالعواطف الفردية الخاصة الضيقة ، واصبحت سمة ابداعه تكرار اللفظ وكثرة النقط وعلامات الاستفهام والتعجب وبتر الجمل .. ولم اجد تجربة صادقة تعبر عن نجاح هذا الجيل الا القليل .

انه انتاج ليس بالشعر ، لكى اسميه شعرا ، ولا بالنثر لأسميه نثرا ، انه (هزروف) بين الشعر وبين النثر مثل الغراب مرة يمشى ومرة يقفز فهو ليس بالعصفور وليس بالطائر .

قصائد تستدر عطف الناقد ، ورثاء القارىء لما فيها من هذيان ، سطحى الفكرة ، غامض الرؤية حيران القصد .. محموم الهدف ..

استعمل الكاتب فيها مفردات مهيجة موهماً بأنه يوحى بكلماته ايحاء نفسيا ، دون ان تكون له رؤية عقلانية ، أو فكر منسق لأنه اخفق فى عملية الابداع ، وما قدر على نقل حقيقة معاناة المجتمع العربى ، ووصف عواطفه ، ورسم صور صادقة لمشكلاته المتنوعة القاتلة ، انه يكتب بلا تنظير فكرى لأنه محدد الرأى ، كاذب النظرة ، يستوحى من خارج المحيط العربى ، بعيدا عن مشكلات الأمة العربية ، ويحلم بأشياء لا وجود لها فى البيئة التى يعيش فيها .

ان الرؤية العميقة الصادقة ، جزء من النظرة الجمالية الملتزمة ، والذوق المرهف ينقل التجربة الفنية والاحساس العميق الصادق ومتى انفصمت النظرية الجمالية عن التجربة الفنية وبعدت عن

الذوق المرهف سادت فكرة الغموض ، وعمت الانتاج السطحية وتبدد أجمل مقومات الفن ، بالتنسيق الروحى مع الاصالة الفنية .

الأديب المعاصر بعيد كل البعد عن حياته العربية وفكرة العربى الاسلامى ، لا يعرف مشكلاتها وبلاياها ولا يحب ان يتعرف عليها ومتى عرفها تجاهلها لأنها أكبر من أدبه وأوسع من فكره المحدود .

أنا لا اتهم هذا الجيل جزافا وانما اقارن انتاجه بانتاج الجيل الذى سبقنا وسبقه ، عندما كان الاستعمار يسيطر على الوطن العربى .

هل كان ذلك الجيل اكثر ادراكا لرسالته من هذا الجيل ، كان الشاعر العربى يهتز لكل حدث فى الوطن العربى والاسلامى والشرقى ، سواء أكان فى بغداد أم دمشق أم بيروت أم برقة أم مراكش أم فى اليابان والصين واستانبول وكابل . وينظم القصائد ويبث آراءه ويحرض على الثورة والدفاع عن حرية تلك البقعة من الأرض العربية او الاسلامية أو الشرقية ، بل كانت تهزه الأحداث الانسانية مثل غرق باخرة (تتانيك) أو ظهور كوكب (هالى) أو حدوث زلزال فى كل المعمورة .

اقرأوا شعر الرصافى والزهاوى واحمد شوقى وحافظ ابراهيم والكاظمى واليعقوبى وبدوى الجبل والشبيبى ومطران والأخطل الصغير وغيرهم من شعراء ذلك الجيل ، ألا تجدون فيه صدى لمعاناة الأمة وصورا لآلامها ؟

هل كنا أكثر حرية ، وأوسع قولا وارحب مجالا فى الشعر والأدب ،

والصحافة والنشر فى زمن الاستعمار والاحتلال والحماية الأجنبية منا اليوم فى ظلال الحكم الوطنى ؟ .

لم هذا الصمت المطبق واللا مبالاة التى نجدها فى الأدب العربى المعاصر ، ومن هذا الجيل الذى يزاحم بقوة وبسرعة كل شيء الا الأدب والفكر .

ما مقدار ما نظم فى مجزرة صبرا وشاتيلا ؟ وما عدد القصائد التى وصفت اوجاع بيروت وقتلى بيروت ومروعات بيروت اللواتى اعتدى على عفافهن وقتل اطفالهن وبقرت بطونهن ؟! كم شاعر نظم فى جهاد الأفغان والفلبين وغيرها من الأوطان الاسلامية.. ؟

لِـــمَ مات ضمير الشاب المراهق ، والأديب الشاب الذى لا يصبر على عدم ظهور اسمه فى الدوريات ؟ .. ألم يهتز ضمير هؤلاء ويتفجر أسى وحزنا على ما حاق بوطننا ؟ وما حل بالبشرية ؟ .

ها هو العراق فى حرب وصلت الأربع سنوات ودماء الشهداء تسفح كل يوم والآلاف الجرحى واليتامى والأرامل يزداد كل ساعة ..

ألا تهزه هذه البطولات ؟ ألا تثيره أوجاع الجرحى ، الا تدفعه الى الكتابة أنات المصابين وبكاء الثكالي ؟ وحسرات الايامي ، وصراخ اليتامي ؟!

الا يقرأ ماتنشره الصحف ؟

الا يسمع ماترويه آلات البث ؟

ليت شعري .. كم قصيدة نظمها الشاعر الشاب فى احداث وطنه

العربى وكم قصة كتبها عن بطولات ابناء امته ؟ وكم رواية دبجت وسجلت مصارع الشهداء وكفاح الابطال ؟

ألا تهز مآسى العرب الشاعر العربى الشاب ؟

ألا تثيره نكبات شعبه ؟

ومشكلات العرب فى اوطانهم المتعددة ! والمسلمين فى محنهم التى يصبها عليهم العدو المشترك ؟

ومصائب الشرق التى تنهال عليه من الغرب ؟!

لم اجد من نظم من هذا الجيل فى هذه المصائب التى كانت تهز اقل منها شعراء الجيل الماضي .. اللهم الا نفثات قليلة منها قول احمد راشد المبارك وهو يبكى ابن عمه (شهيد الوفاء لامته وقضيته) خليفة بن احمد المبارك قال :

شلت يد البغى ما اقسى جنايتها	لم يثنها خلق كلا ولارحم
(ديان) عربد فى ساحاتنا زمنا	واليوم (شارون) كالطاووس بينهم
وفى المهامه اشلاء ممزقة	تجثو عليها بغات الطير والرخم
تارات سعد تنادى اين سعدكم ؟	فى القادسية اين المجد والشمم ؟
مشتتون على ساح الضياع وقد	تاهت خطاهم وماكلت لهم قدم
زاغت على مفرق الأهوال نظرتهم	وخار فى معمع الارزاء عزمهم

* * *

فى كل صقع لنا فى كل ناحية ... كوم السبايا ولكن اين معتصم ؟
على الصحاصح من اشلائنا مزق ... وفى المخابىء من اجسادنا رمم
ونحن نملأ ارض الله جعجعة ... شجبا وندبا جناه الهزء والسأم

* * *

يامطبق الفم لم تبق سوى نفسٍ ... ذابت لحرقته مع عنفها اللجم
ياويح قومى ماذا قد ألم بهم ... تفاقم الخطب «حتى استحمد الصمم»
من نحن ؟ مانحن؟ ماذا قد يراد بنا ... ذل وغل واحقاد لها ضرم
ونحن نهرع للباغى ومنحته ... وعد كذوب وعهد ليس يحترم

* * *

ابناء قومى والارزاء محدقة ... وكلنا حطب ان اوقد الضرم
مرابع المجد ضاع المجدوا وأسفا ... وضاع ماورثته السادة القدم
كنا نسور الجبال الشم إن عصفت ... هوج الرياح وبات السفح يلتطم
واليوم ها نحن اشتات مبعثرة ... القت بنا للهوان الشم والقمم
وللاعادى فى الاوطان عربدة ... والراح من كرمنا والكأس والخدم
ابناء قومى باح الصبر وانفجرت ... كوامن فى الحشا كالنار تضطرم(١)

* * *

---

(١) جريدة الجزيرة ١٠ جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ فى ١٢ مارس ١٩٨٥ العدد رقم ٤١٨٣

دعنا من الواجب الوطنى ، والضمير القومى ، والفكر الاسلامى ، والعطف الشرقي .. أمات فى نفوس هؤلاء .. شعور الانسانية ؟!

الا يملك هذا الجيل الاحساس المرهف والمشاعر العالية وعمق العاطفة ؟!

وتلك ادنى قواعد الشاعر الصادق النبيل ؟!

عوده

لماذا كان الجيل السابق من الشعراء والكتاب عندما يسمع بما حاق ببلد عربى او قطر اسلامى او مكان شرقى او صقع انساني يهرع بالشعر مشاركاً ، وبالمال معيناً ، وبالروح مضحياً ، فكم نظم من غرر الشعر وكتب من خالد النثر ، وتبرع بالمال وهرع الى تلك البقعة بروحه .. كانت النفوس اكثر كرما ، والاقلام اشد حماسة والنفوس اصدق تضحية ..

فكانت الجمعيات تؤلف للتطوع ، والاعلانات تنشر للتبرع ، وجمع الاموال التى يحتاج اليها المجاهدون ، ويستند اليها المناضلون كانت المساجد تحشد بالناس والشوارع تملأ بابناء الشعب ليذهب منها المتطوعون وينفق فيها المتبرعون ، فى شراء السلاح والمبادرة الى العون الاخوى والانساني ..

واليوم على كثرة المصائب ، وتعدد الاعداء ، وتنوع الاحزاب وكثرة الحكومات العربية والاسلامية .. لانجد تلك الهمة ، فقد ذهبت

النخوة وضاعت الرجولة .. اصبحنا اكثر ضراوة على اخواننا واكثر قساوة على ابناء جلدتنا ، واكثر تفننا فى التعذيب والتشريد والسجن من الاعداء على المواطنين من ابناء الوطن الواحد واخيرا نجد فتاة تهزها مصائب امتها ، اكثر من دعاة التجديد ومتصدرى الحداثة تقول باسلوب جميل آسر من قصيدة لها :

كلما فكرت فى البصرة ذات المعطف المبتّل بالماء
وفى النخل الذى يرفع عند الفجر كفيه الى الله
تجلى وجه امى فبكيت .
كلما فكرت فى بغداد والكرخ الذى يرفع عن اولادنا العار بكيت
كلما استفسرت أهل الحى عن موقفهم
وتساءلت بحزن
هل يصير الدم ماء ؟!
هل ..... ؟
لم أجد فى الربع من يسمع صوتى فبكيت .
كلما فكرت فيمن كفروا فى صلة التاريخ والارحام والقربى
فلم ينصروا بغداد فى المعركة الكبرى بكيت .
كيف سدوا ياترى آذانهم
حين بغداد لهم سقف وبيت .. [١]

---

(١) الدكتورة سعاد الصباح ، مجلة كل العرب ، العدد ١١٩ كانون الأول ١٩٨٤

ستبكيني ياعقيلة العرب طويلا فهـذا جيل اعمتـه المدنية عن امته ، وملأت التبعة الفكرية روحه ، فما يحس بمصائب امته .

****



الفصل الثالث

مضامين الشعر الجديد

مضامين الشعر الجديد

لاتختلف مضامين الشعر الجـديد عن كل شعـر يصـور حياتـه المعاصرة ومجتمعه ، ويكون صدى للاحداث التـى تؤثـر فى الحياة العامة .. وقد ابتُلى العرب بحياة فكرية وتاريخية متناقضة ، بعد ان دخلت المثل الغريبة والفلسفة الاوروبية فى المسيرة الفكرية للعرب .

وابتُلى العرب مرة اخرى بعـدة نكسـات سياسية وفـكرية كان القصد منها قتل الشخصية العربية والقضاء على التراث الاصيل .. لذلك لم يعرف العرب الهدوء والسكينة لكثرة الثورات والانقلابات التى تحد من حرية الشعوب فأصيب بالتفرقة واثـارة الطـائفية ، والبلدانية ، والمنازعات اللغوية ، والقومية فى البلد الواحد .

فاحتار الجيل وتاه فى خضم هذا التناقض الفكرى والسياسي ، وتعمقت حيرتـه الـروحية وزاده آلما شعـوره بالغبـن الاجتماعـي ، والسياسى، والحضـاري .. دون ان يعـرف سببـا لهـذه التقلبـات السياسية ، والثورات المتعددة ، ويطلع على جذورها العميقة المحركة لها .. فشك المفكر بحاضره وزاد قلقه ، بعد ان ابعد عن المساهمة في الاصـلاح واسماع رأيه للسلطـة الحاكمـة للتخلص من هذه المتناقضات .. التى حدّت من حريته وافزعته بعقابها الاليم وقساوتها الظالمة .

الابداع :

تقوم قاعدة الشعر الخالد الاصيلة على الابداع الحر ، والموسيقى الجميلة ، والمعنى السامي ، والجمال الممتع .. أى ان المبدع ينبغى ان تكون له سليقة فنية متميزة ، وقابلية شعرية ، تكّون الصور الجمالية باسلوب جديد ، لايعرفها الفن من قبل .. والمبدع فى الفنون الجميلة كلها ، تكون له قابلية فطرية على تنسيق الجديد فى فنه ، يستمدها من المواد الموجودة فى الطبيعة ، وبخاصة الشعر ، ويشكلها بحـرية تامة وهدف كبير .

وليس الفن محاكاة للطبيعة أو تقليدا لها كما قال ارسطو بالرغم من انه احترس وقال بل يجوز ان يكون افضل من الواقع ، انما الفن اسلوب جديد جاء من الواقع واضيفت اليه لمسات الابداع فجاء جميلا ، والمبدع هو الذى يأتى بالانتاج الجديد المختلف عما سبقه ويخلق المعانى الحديثه التى يمكن للمتلقى التمتـع بايحـاء كلماتهـا وباللذة الفنية المصاحبة لصور الوجدان ، والاحساس العميق ، ومن هنا فإن الايحاء واللذة الفنية من اقوى دعائم الابداع .

ولايمكن للناقد ان يحدد اسلوب الانتاج الابداعي ، ولا طريقة خلق الصور الجديدة الا بما يلهمه الاقتران الـداخلى من صناعـة الصور المبدعة النابعة من الحس اللا واعي ، التى تمتزج بالابطان الذاتى الفني ، لتستمد صور المبدع الموهوب الفنية من صور الصانع

الماهر الدقيق الملاحظة ، عندما يصور او ينحت او ينظم العمل ، وهو يمتلك الشعور والوعى فيسمو على الصانع الماهر بالجديد .

ولن تكون صور المبدع وانتاجه بعيدة عن الممارسات الفنية القديمة ، والتجارب الناجحة الاصيلة لان القاعدة الذهنية للمبدع لابد ان تتأثر وتستفيد من خلق الصور الكامنة فى اللاشعور : من جمال حي ، واحياء مستمر لتراث أملته عليه الحياة ، والفن والاصالة ليكون الادب مؤثرا . فقد قال قدامة عن البحترى (تأمل كيف تجد نفسك عند انشاده ، وتفقد مايتداخلك من الارتياح ويستخفك من الطرب اذا سمعته وتذكر صبوة ان كانت لك تراها ممثلة بضميرك ومصورة تلقاء ناظرك)[١]

ان الحرية السليمة هى اول قواعد الابداع والتجديد ، فى المضامين الفنية للاديب لانه متى خاف العقاب او جزع من المصائب فقد حُدت حريته ، ومات فكريا ، لان الخائف لايقدر على التجديد ، والمذعور لايملك القابلية على التطور ، لانه متى احس بالظلم ، ورأى الطغيان امامه ، فسوف تتجمد افكاره ، ويبلد الخوف قابليته ويهزّ الفزع نفسيته .

ومتى أمن الشاعر واطمأن لمكانته الاجتماعية ، فسوف يكون صدى لحياة امته ، ويرتفع الى المستوى الفنى الذى يرضاه لنفسه ،

(١) الوساطة ص ٩٩/٢٦

ولادبه ولانتاجه .. وسيكون احساسه المرهف اداة لرفض كل مالايستفيد الحاضر من الماضى التراثي ، وينبذ كل فكر مصنوع مستعار ، لايفيد مجتمعه ، والبيئة التى يعيش فيها ، ويبعد كل ادب لايملك حياة فنية او ماء زلالا عذبا يروى التيار المتطور فى ادب امته .

فهذا نزار قبانى يقول انه احب بيروت لانها اعطته الحرية وكانت هذه الحرية هى سبب انتاجه :

(أكتب ما اريد لم تحاسبنى ولم تعاقبني .. ولم تأخذنى الى محاكم التفتيش ، ولم تشنقنى بحبال كلماتي ولم تجبرني ـ وهذا هو الاهم ـ أن أكون شاعرا فى خدمة السلطان .. بيروت اعطتنى الحصانة كي اكون اقوى من السلطان واكبر من السلطان .. لم تضطهدنى ولم تتلصص عليّ من ثقب الباب ولم تنكش اوراقى بعد خروجي من البيت ، ولم تفتش جيوبى ولم تكسر باب المطبعة وتلقى القبض على متلبسا بجرم نشر كتاب جديد ...)

(.. لم تطلب منى مرة واحدة ان اطلعها على مسودة قصيدة وهى فى حالة التكوين)..

(فى بيروت عشت الحرية ممارسة وتطبيقا ولم اعشها نظرية ايدلوجية وبيانا وزاريا او خطابا جماهيريا بغرض التسويق ..)

(.. باختصار بيروت لم تجلس على اصابعى ولم تقطع اصابعى ولم تفتح لى محضر تحقيق بعد كل قصيدة كتبتها او كل امرأة

احببتها ..)

وبرغم مافى قول الشاعر من حقائق مؤلمة ، الا ان فى بـيروت حدثت امور مؤلمة .. واصيب غيره من الكتاب ببلايا يقشعر لهولها جسم الانسانية ..

لاشك ان مضامين الشعر الجديد اختلفت عن مضامـين الشعـر التراثى ، فى الجزئيات دون الكليات ، وان تساوت الاهداف والغايات السياسية والاجتماعية والفكرية لان المضمون لابد ان يكون اسلوبا للعمل الابداعى وينبغى ان يأخذ طريقه الى التيار الشعرى العربى ، مستفيدا من انسانيته وحضارته وتراثه الاصيل ولغته الصافية ، حتى يصقل الذوق الانساني ويطور الحضارة ويستفيد من اصالة التراث وصفاء اللغة وسهولتها .

فالمضمون الشعرى ليس معرفة وحكمة ووعظا ، انما يجـب ان يكون سبيلا للجمال الفنى والتطور الاسلوبى وان يوحى بالخير عندما يقدم فى محتواه الهدف النبيل ، والحياة السامية ، والمتعة النفسية واللذة الفكرية .. لان الشعر الاصيل يجب ان يحوى مضمونه ما يفيد الحياة ويعمق اللذة الروحية ، والمتعة الفكرية .. لانارة الدرب للانسانية ، وليبصر المتلقى بالمستقبل وينقد مساويه .

فاذا كان الشعر المبدع متعة الحياة الفكرية والنفسية ، فلابد له من اصلاح الناقص الذى يراه فى تراثه ومجتمعه وفى البيئة التى فرضت عليه المثل والتقاليد والعادات وان يبحث عن الذات التى

تكون نموذجا يحتذى فى الاسلوب والفكر والمضمون .. ولن يأتى هذا الا بنقد الجذور التراثية ، واختيار السليم الصالح منها ليبنى الشعر على قاعدة جديدة صلبة من هذا التراث ، تفيد فى جذوره الصافية وتقاليده القديمة التطور والتجديد .

وعندما يهتم الشاعر بالمضمون الفكرى للادب ، يصبح مفكرا او مصلحا حراً فى القول ، لايحتاج الى الايحاء او الاشارة او الهمس والرمز والغموض ، لان الرفض والاحتجاج والرمز لن يحقق للشاعر مضمونه السامى وهدفه الحضارى فى مصير الانسانية الفكرى .. ما لم يقرنه بالجذور العميقة ، والدلائل التى ادت الى رفضه ورمزه وغموضه .. مستوحياً من تاريخ أمته واصالتها الحضارية ما يقيم عليها مضمونه مستفيدا من التقدم الحضارى والتطور الانسانى للامم الاخرى .

ان الفهم العميق للجذور التاريخية ، والاختيار الموفق لاهم المضامين الفكرية للامة العربية والحركة الانسانية ، اهم قاعدة للابداع واسلم وسيلة للتطور . لان الشاعر متى فهم ما اراد واصبح التطور جزءا من مضمون شعره برزت القيمة الحقيقة له ، مقارنة بانتاج الآخرين .

هل عرف الشاعر الظواهر المؤثرة فى حياته واسباب الرفض والاحتجاج والثورة ، معرفته للتيارات الاجنبية المؤثرة ؟ وهل حاول بعد المعرفة والفهم تطوير مضمون شعره ؟ وهل دعا الى الاخذ بمظاهر

التطور فى الشعر العربى بعد تدبر ودراسة ؟!

متى فهم الشاعر رسالته فقد طور المضمون وجدد فى الاسلوب لان اصلاح الحياة الفكرية والمطالبة بالحريـة فى القـول والكتابـة والمناقشة سوف تنجيه من الغربة الروحية التى هزت ذاته وأضاعت شخصيته انسانا .. وتاه فى مقارنة الفكر العربى بالغربى بلا دليل او ايمان او فهم عميق .

ان الشعر او الفن بصورة عامة يجـب ان يكون صورة للحيـاة الانسانية وتطور البشرية الحضارى وليسـت صورة محـدودة للبيئـة الضيقة .. لان اوجاع الانسانية ومشكلاتهـا النفسيـة تكاد تكون واحدة ، فالالم والحب والبغض والثورة على الظلم والاحتجاج على الطغيان والدعوة الى الخير ومحاربة الشر ، تنقل الشاعر من عالمه المحدود الى عالم واسع ، ويصبح مضمونه الشعرى اكثر فهما واعمق اثرا فى النفوس متى خرج من المحيط الضيق الى العالم الرحيب . ولان الشاعر المبدع نبع صادق صافى الماء ومتى وصف بعاطفته الموارة المعاناة الانسانية ، سيطور المضمون ويأخذه الى الحياة الحقيقية .

فقد مضى الوقت الذى كان الشاعر يطرب السادة والحكام ، لانه اصبح جزءا من المجتمع العربى وذهب الوقت الـذى كان الممثـل والموسيقار فى الغرب وقفا على الامراء والنبلاء ولايقدر على الانتاج الا فى ظل الامير او النبيل ولا يمثل الا فى قصورهم لان الفن خرج الى المجتمع ومثل مشكلاته ولحن آلامه ، وموسق سعادته ولذته وفرحه ،

ووصف مصائبه واحزانه .

فترة .. الاصلاح .. والتأثر :

مر الشعر العربى الحديث بفترتين بارزتين فى حياته الفنية وتطوره فى المضمون وتجديده فى الاسلوب :

الفترة الاولى عندما اتصل بالغرب مراقبا ومشاهدا وكان هذا الاتصال حذرا فقد قرأ المفكر آراء الغرب ونظرياته بما كان ينشر فى المجلات او لـمَّا شاهد الغربى يخطر على وطنه فى ملابسه الجديدة ، وادواته الحديثة ، ومخترعاته التى لم يرها من قبل ، فأحس المفكر بقوة التحدى للاساليب العربية والتقاليد الاسلامية والعادات الشرقية ، بداية من الحملة الفرنسية على مصر حتى استعمار شمال افريقية العربى من عدة دول غربية . هذا الاستعمار وهذا التحدى الشرس فى عقر الديار دعا المفكر الى المقارنة بين حياته وتقاليده وعاداته ، وبين ما عند الغرب من حضارة متقدمة ، واحس بالخطر الداهم . فبدأ يقتبس شيئا من هذه الحضارة والافكار الجديدة على حذر وخوف وهلع وتلك الظاهرة واضحة على انتاج الشعراء وبواكير نظمهم .. فاهتم الشعر بالمخترعات كالقطار والسيارة والطائرة والحاكى وآلة البرق والترام وحركة الساعة لانها مظاهر جديدة .

الفترة الثانية عندما ازدادت الصلات مع الغرب وطال امد الاحتلال والاستعمار ، وأخذ يفرض لغته وادبه فى المدارس والمجلات

والجرائد وما يترجم له .. اضافة الى الجذور القديمة التى تسربت مع البعثات التى سافرت فى زمن محمد على باشا الى الغرب ..

وتتداخل هاتان الفرتان ، ويصبح الاخذ من الحضارة ضرورة لتقدم الامة ، وبعث تراثها ومظهرا من مظاهر الفخر والاعتزاز .. وتتسلل المظاهر الحضارية الغربية ومُثلُها الى العراق والشام والجزيرة بعد اعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ بما ترجم الى الادب العثمانى ونشر فى الجرائد والمجلات التى ظهرت بعد الدستور .

وكانت الحرب العظمى الاولى وسيلة من وسائل الصلات المباشرة بالغرب ، فبعد ان كان التأثير حذرا بدأت الافكار تغزو الادب ، فقد تباهى الشاعر بانه مجدد وانه عصرى ، وانه يتابع الآراء الجديدة باعتناق الديمقراطية والاشتراكية والواقعية والتقدمية ، وترديد الفاظ العلم الحديث وبخاصة من كان يريد اثبات الذات ويحب الظهور والبروز . فان الجرائد والمجلات العربية التى كانت تكتب مثل هذه الآراء تأخذها من المقتطف والهلال والمقطم المصرية المتأثرة بالفكر الغربى ، وظهر صداها العميق فى الوسط المثقف الذى ينتظر الآراء الجديد بلهفة ويناقش آراءها ويكتب عنها .. محاولاً تبنى الآراء الحديثة وادخالها فى الادب[١] .

حاول الفكر فهم هذه المسميات الغربية ، حتى لايوصم بالتأخر

---

(١) تطور الفكر الحديث فى العراق للمؤلف ، فيه شيء كثير عن ذلك . بغداد ١٩٧٦ .

ولكن الفهم كان محددا لان الجذور الفكرية والمشكلات الاجتماعية والتيار الاقتصادى فى الغرب لم يكن واضحا فى ذهن اكثر هؤلاء المجددين .

فالتجديد كان منصبا على اللفظ اكثر من العناية بالمعنى ، بادخال هذه الاسماء الغربية والنظريات الجديدة ، فاكتسى الشعر حلة جديدة من جمال العبارة ووصف الحياة الاجتماعية وصدق التجربة ، ومن ثم بدأت العناية بالمعانى بعد ان كثرت هذه الآراء واختلفت هذه التيارات فى ذهن المثقف .

وظهرت الشاعرية باسلوب متميز ، عندما ما حافظت على الاسلوب الاصيل واللغة الصافية والفكر المتميز والاستقلال الفنى الغنى بالتجارب الصادقة ، لان وضوح الرؤية عند الشاعر دليل على نجاحه ، وتطوره وابتعاده عن التقليد واستقلال شخصيته عن تجارب الآخرين . وجدد الشاعر دون ان يقلد ويضيع شخصيته لان الابتعاد عن التقليد خير دليل على نجاح التجربة الفنية ، ووصول الشاعر الى مرحلة فنية جديدة اهلته للنضج الشعرى ، والمعاصرة المفيدة ، والحداثة الواعية .

التجديد فى القصيدة الحديثة :

ليس للفن قواعد يسير فى هديها الشاعر او الفنان الشاب انما الشاعر او الفنان المبدع يضع الانظمة المتطورة فى انتاجه دون قصد

وتخطيط لان الفنان لايبدع فى ظلال القواعد الفنية والتقاليد القديمة انما يستفيد منها فى صناعته وينطلق فى سبيل تجربة رائدة صادقة وباطار فنى جديد ومضمون حديث .

ومن هذا الابداع نجد اسلوب الشاعر المتميز والاستقلال الفنى الناضج ، والاصالة العميقة فى الخيال والمعانى .. والاسلوب الجديد .

وقد حاول الشاعر الحديث التحرر من الزخرفة اللفظية ، واختيار الكلمات ذاتَ الجرس العالى ، واخذ يعتمد على المعنى الجديد ، والفكر الحديث وحَلّق فى شعره ، وجدّد فى الاسلوب ، وجوّد دون ان يفقد جزالة التركيب وقوة النسج .

والشعر الاصيل يميل الى التجديد والتطور ففى عصور الأدب العربى الزاهية وجدنا الموشح والمسمط والمخمس والمزدوج والكان كان والقوما والسلسلة وغيرها من الفنون واخترعت عدة اوزان جاء بها المولدّون بعد ان تعلموا الادب العربى ونشأوا فى ظلال تياراته ..

وقد بقى كل تجديد حافظ على الذوق العربى ، واستمر التطور طول عصور الادب العربى الزاهرة ، لصلته العميقة بالتراث والاصالة والجدة .

ولم يقف التجديد عند المضمون فقد كان الاطار والموسيقى والاوزان تتغير فى هذا التجديد ، وتشتد المعارك فى كل مراحل التجديد ، فى العصر الحديث باسماء غريبة ، فهذا شعر (كلاسيكى) وهذا (رومانسى) وذلك (كلاسيكى حديث) وهذا واقعى قديم ، وذلك

واقعى حديث متأثر بالادب الغربى وتشعبت الآراء حول القافية لانها صعبة على من كانت مفردات لغته محددة .. وأدخل التجديد فى شعرنا الاساطير الغربية ، ومؤثرات الانجيل وآلهة اليونان والرومان واللامعقول والسرد الساذج . لان الاساطير جاءت تقليدا للغرب ولأدب الآلهة المتعددة وبيئة الغرب ومحيط الغرب ، ودون ان يحس المجدد ان مُثل الغرب تختلف عن مُثل الشرق والعرب والاسلام فليالى الشتاء فى الغرب ليست مثل ليالى الشتاء فى الشرق ، وصيفه لايشابه صيف لندن وباريس ، والطبيعة الغربية اوحت للغربى ادبا فرضته عليه حياته وطبيعة جوه ، فقد خلقت اوروبا ادبا عاصفا بالاشباح والعفاريت من جراء العواصف الكثيرة والامطار الغزيرة ، وكثافة الغابات وكثرة الحيوانات الضارية ، واستمرار هطول الثلوج على الجبال ، مما دعا الحيوانات المفترسة تهجم على الغربى من الجوع فغرست فى نفسه الرعب والخوف .. فهو ساكن هادىء مستقر .. فى مدنه وقراه . وليس مرتحلاً متنقلا مثل العربى .

وكان العربى يعيش فى الصحراء حراً ينتقل من مكان الى مكان فى سبيل الكلأ . وجو الجزيرة صافٍ مشمس ، ولياليه مشرقة الاديم ليلا ونهارا ، والليل ساجى النسيم عليل الهبوب .. يرى الحيوانات بوضوح فى اكثر ايامه ويحاربها ويفتخر فى حربه معها وقتل اسودها وذئابها .. لانه اعتاد على التحرك والترحال واخذ اهبته لها .. وهذا ماضعف بعض الفنون الشعرية وجنّح بالخيال .. عند العرب .

ان اتخاذ الرمز الغربى والأساطير اليونانية ، دليل على اخفاق الشاعر المعاصر ، لأنه اراد الاستفادة من غموض الغرب ورمزيته ، دون أن يعى الصلة القديمة التى تربط الشاعر الانكليزى بشعره وإنتاجه وتراثه وحضارته .

ولم يعرف ان كثيراً من الأدباء المعاصرين فى الغرب لم يرتضوا بهذه الأساليب الغامضة القلقة ، وثاروا عليها لأن مادية الغرب وواقعة عكس المُثل التى يعيش الغربى فيها .. وفى ظل المادية البحتة . هرب الى الأدب الرمزى ترويحاً لنفسه من ثقلها ، وطلبا للاطمئنان النفسى .

والأديب العربى الذى يقلد الغرب يكون مهزوماً روحياً ، وتظهر هذه الهزيمة فى تجربته الغامضة ، واشاراته الكثيرة إلى أساطير قديمة بعيدة عن واقع حياته وموروثه الحضارى ، ودعوته إلى الحداثة والتجديد .

الرمز والغموض :

الرمز معروف فى الأدب العربى ، ولكنه يختلف اختلافاً عن الرمز فى الأدب الغربى .. وكان من ضرورات الشعر التى يلجأ اليها الشاعر .. لأن حياة العربى الواضحة واعتماده على المواجهة ، أدت به إلى التقرير الصريح والقول الواضح لأن معالم الطبيعة ورؤيته

للأمور رؤية كاملة بعيدة عن الضبابية إلا بعض التهويمات التى دخلت فى كيان الشعر ، فى العصر العباسى حتى العصر الحديث ، عندما شابت الحياة العربية ماشابها من الاتصال بالحضارات الأجنبية والاختلاط بالأمم الأخرى . وقد وجدنا آثار هذه الرمزية فى شعر البارودى .

ومرتفع لذنابه غب سحرة   وللصبح انفاس تزيد وتنقص
وقد مال للغرب الهلال كأنه   بمنقاره عن حبة النجم يفحص
رفيق حواشى النبت أما غصونه   فريا وأما زهره فمنصص[1]

وقال شوقى دون أن يبعد عن الذوق العربى فى الجناس والتورية والاستعارة فى الرمز المقبول :

نزل السهل ضاحك البشر يمشى   فيه مشى الأمير فى بستانه
عاد حليا براحتيه ووشيا   طول أنهاره وعرض جنانه
ساحر فتنة العيون مبين   فصّل الماء فى الربى بجمانه
عبقرى الخيال زاد على الطيف   وأربى عليه فى ألوانه[2]

وتظهر الرمزية متأثرة بالشعر الغربى ولاتخرج عن الذوق العربى

---

(١) الديوان جـ ٢ ، ص ١٥ وعن الرمزية لاحظ فصول فى الأدب الحديث والنقد للتفصيل - طبع سنة ١٩٨٣ بالرياض

(٢) الشوقيات جـ ٢ ، ١٩٠ المكتبة التجارية الكبرى

فى شعر مطران وجبران وإيليا أبوماضى وعلى محمود طه ونزار قبانى ..
ومن جاء بعدهم وتظهر سذاجتها فى الشعر المهجرى إلا القليل مثل
شعر ميخائيل نعيمة فى همس الجفون[1] .

قل ولجنـــا قصر الحيـــاة عراةً   واقتربنـا من الحيـــاة سكارى
فاستطبنـــا لهاثهـــا ولماها   وعشقنـــا ظلامهـــا والنهارا
ورضعنا من ثديها ما اشتهينا   ونزعنـــا عن منكبيهـــا الازارا
وغرفنـــا من حفنتيهـــا كنوزاً   وخطفنـــا من وجنتيهـــا ثماراً
غـــير انـــا لما دعينـــا انطلقنا   وتركنـــا كما وجدنـــا الديارا
وخرجنـــا منهـــا عراة حيارى[1]

وابسط انواع الرمز قول بشاره الخورى :

بغـــداد ماحمـــل السرى منـــى سوى شبـــح مريب
جفلـــت له الصحراء والتفـت الكثيـب إلى الكثيب
وتنصتـــت رمـــز الجنادب من فويهـــات الثقوب
يتساءلـــون وقـــد رأوا قيس الملـــوح فى شحوبى
والتمتمات على الشفاه مضرجـات بالنسيب
يتساءلـــون : من الفتى العربـــى فى الـــزى الغريب ؟

---

(١) همس الجفون ـ ٧٨ دار صادر بيروت ١٩٦٢ م .

صحـــراء يابنـــت السماء البكر والوطـــن الخصــــيب
أنـــا دمعـــة الأدب الحزين رسالـــة الألـــم المذيب

ونجد أكثر شعراء المهجر يجعلون الغابة رمزا للوطن ، ومافيه من أشجار وطيور وأزهار ، ومن طريف الرمز قول أبى ماضى فى الخمائل :

يالهفـــة النفس على غابة كنـــت وهنـــدا نلتقـــى فيها
أنـــا كما شاء الهـــوى والصبا وهـــى كما شاءت أمانيها
تكاد من لطف معانيها يشربهـــا خاطـــر رائيها
آمنـــت بالله وآياته أليس ان الله باريها
لله فى الغابـــة أيامنا ماعابهـــا الا تلاشيها[1]

ان الرمزية المفرطة فى الغموض والخيال تبعد الشعر عن اللـذة النفسية والمتعة الفنية ، وتبعد الشعر عن فهم المتلقى ، والإيغال فى الرمز يبعث السأم فى النفس ، لأن قاعدة الرمز تقوم على الصناعة المتكلفة ، وتبعد عن عفو الخاطر وسهولة السليقة وجمال العبارة والذوق الأصيل ، ان الغموض والتناقض فى البناء الرمزى الفنى يلبسه اللحن العميق الذى يهتز له القلب .. وتسعد به العواطف وتلتذ به حاسة السمع الفنية .

---

(١) الخمائل ص ١٥٦ دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧١ .

ولعل أول سبب للنفرة النفسية منه ، الجهد الكبير الذى يبذله المتلقى دون أن يصل الى لذة فنية لأن الرمز جاء بلاشعور صادق ولا احساس عميق .

واتساءل ما الفائدة من الأيغال فى الغموض والرمز إذا لم يتذوقه المفكر ويفهمه الشاعر ؟ وأحياناً لايعرف الناظم نفسه معانى مانظم ، ولايفقه مايريد ، ولو كانت للشاعر الرمزى ثقافة فنية ، واطلاع واسع على اللغة العربية ، ويملك أصالة فى أدبه ، لما اصيب بهذا العجز الفنى ، والانحطاط الفكرى ، ولما استحالت الآراء والأفكار الواضحة الصريحة ضباباً تكاثفت فيها سحب الغموض وكدرها الأسلوب الغيبى ، الذى قلما يدركه الدارس ، لما فيه من طلاسم بعيدة عن المحيط ، وغموض لايمت الى الذوق الأصيل بحياة .. فقد جف في الرمز الحديث الماء العذب ، وتكثف الرأى ، حتى أصبح قاتماً لاندرى ماوراءه وما القصد من نظمه .

ان تقليد الغرب هو الكارثة التى أصابت عقول هؤلاء ، فمنهم من فهم ما اراد ومنهم من قلد لكى يقال انه مجدد ، ليثبت وجوده الاجتماعى وقد استفاد عبدالرحمن شكرى كثيراً من الفكر الغربى لأنه درس فى الغرب الذى زوده صوراً جديدة (وابتعد) عن الصور التقليدية كالمديح والهجاء واختلف أسلوبه فى الرثاء ونجده فى (ضوء الفجر) متأثراً شأن غيره بالشاعر الفرنسى بودلير عندما نظم (الازاهير السود) تقليداً (لازهار الشر) وقالها صريحة بأنها

(لذات الحياة التى تجلب له الألم) فتسامى باحساسه النفسى الذى أرقه ونفس عن عقدته التى جنت عليه . ولايختلف عنه صديقاه إبراهيم المازنى والعقاد عندما قال الشاعر :

قد جنينـــا من أزاهـــر الردى   زهـرة اليـــأس وأزهـــار الاسى

زهـــرة   سوداء   لاتعدلها   زهـرة حمـــراء من زهـــر الهوى

كيف تهـــوى زهـــرة أوراقها   من دموع الصبر تنـدى والدما[١]

وبرز الرمز والغموض وتقليد الغرب عند أبى شادى وتبنى الدعوة الى الرمز فى الأدب لأنه كان ضعيفاً فى اللغة العربية وكان سطحياً فى فهم التراث اللغوى .

جيل الرمز :

وانتشر الرمز والغموض بين الجيل الثانى تقليداً لذوى التجارب السابقة ، وحباً بالشهرة ، وكانت بعض الرموز مقبولة ، لأنها صورة البيئة العربية فقد قال البياتى يرمز للحب :

---

(١) أبو شادى وحركة التجديد فى الشعر العربى الحديث للدكتور كمال نشأت ، القاهرة ١٩٦٧ ص ٢٤٧ وعدّ الزميل الدكتور كمال نشأت:شكرى وأبو شادى الشاعرين اللذين وضعا أسس الرمزية فى تاريخ الشعر المصرى الحديث .. أما شكرى فقد اكتسب أغلب شعره لونا رمزيا يمس العبارة المفردة كما يمس الموضوع .

يا راكبا نجران

بلغ ندامای إذا ماطلع النهار

واقتحمت مدينة الموتى خيول النار

وشط بی المزار

ان لاتلاقينا ولالقاء

وابك على طفولتی أمام صمت القبر

وقف على اطلال هذا القلب

مصليا للرب

فمن هنا اقبلت

ومن هنا رحلت

فی عربات الفجر

احمل اسماً لی معی للقبر

وحسرة الأرض التی لم يغسل المطر

جبينها الشاحب فی السحر

ولم تذق حلاوة القبل

فی حمرة الطفل

ولم يضاجع عرسها أحد

فهی هنا حارسة الموتى الى الابد

تنمو على صخورها الاعشاب

وينعب الغراب والموت والحياة

وقول الدكتور أحمد كمال زكى ولنأخذه مثلا من الجامعيين :

مـركض الشــمس على الفـيروز ياصحـوي الثري
كم ارقــت الصـــبـح عنــدى
كم نجــوم صــغــت منهـــا أبحـــرى

اعقد الشط بعيدا
دعى قلوعى للمدى الأكبر . للتيه القصى الأخضر
فى جوارى يقعد النور
ووردات الربيع الأشقر
أنا طرزت الذرى يضحك فيها معبرى
ومحال أن اعود
وبعينيك يطل الوعد منهل الضياء
يتعب النجم إذا انداح
إذا زاد العطاء
ساعة الفيروز لوناً .. من ترى ساق الرجاء
خففى الجود ... حياتى
بعد عينيك هباء

فى القصيدة ضبابية واضحة وموسيقى موحية ويظهـر الشعـو الواضح والنغم المتشابك وزحام فى الفكر يلفه الحزن بأنغام غامضة

فقد اتخذ الدكتور احمد كمال زكى شعره وسيلة وجدانية يعبر فيها عن عاطفة حقيقية وقد اهتم بالاساطير وكتب عنها فظهرت فى ديوانه ص ١١٩و١٣٦ مع اثر الاصالة التى اخذها من القرآن الكريم فى (٧٩) ومن جميل الرمز قوله :

حتى العواطف نامت عند نافذتى وفى سفوح هضابى يسهر الشفق
واجمع السحب عندى ثم اطلقها مع الصباح فيصحو الورد والعبق
هنا اضيء لشعبى طول رحلته درب الخلاص فر سجن ولانفق [1]

وقول نزار قبانى :

فى ثغرها ابتهال يهتف بى تعال
الى انعتاق ازرق حدوده المحال
وشوشة سخية الظلال
ارسى لها خيال
على فم يجوع فى عروقه سؤال
يهتف لى عقيقه غدا لك النوال
انا كما وشوشتنى ملقى على الجبال
مخدة طافية على دم الزوال
زرعت الف وردة خذنِى انغلاق شال

(١) اناشيد صغيرة : ص ٥١ ، ٥٢ القاهرة ١٩٦٣

وفى (طفولة نهد) يحس القارىء بما فى روح الشاعر من حس مادى عميق ورغبة واضحة بالمعاناة الجسيمة .

الأدب الرمزى والسياسة :

الفن الشعرى الرمزى لا يمكن ان يحل محل المقالات السياسية والاجتماعية وبخاصة تلك الاساليب الرمزية التى دعا اليها شعراء الغرب والتى جهلها اكثر شعراء المشرق العربى ، واكثرهم غير قادر عى تصوير الاحداث السياسية والاجتماعية والفكرية لعدم قدرته على التعبير عن احاسيسه العميقة التى تهزه لقصور لغته فى وصف المآسى والنكبات فى الوطن العربى ، لان رسم الاحداث لن يتم بالغموض الذى تشوبه الضبابية الملتفة بغيوم الامانى المرتبكة ، والاحلام التائهة الشريدة ، ومتى كانت القاعدة النفسية غائمة ، فلن يقدر المنتج على رسم الصور الواقعية والاحداث العقلانية .. بعد ان بعد الرمز الموحى للحدث الكبير عن ذهن الشاعر الحديث الذى اراد ان يمزج رمزه بالحدث الذى رمز اليه لان ضعف الشاعر حال دون الامتزاج بين الفن الشعرى الرمزى والحدث الذى اشار اليه .. لانه يحتاج الى قابلية لغوية واسعة وعمق عاطفى صادق وسيطرة فنية كبيرة .

وبعبارة اخرى ان الشاعر الرمزى المبدع ، من اضفى الطابع

الفنى الشعرى على تراكيبه اللفظية ، ونقل احاسيسه بالحدث المرموز اليه المتلقى مع ابعاده الفكرية .. فأصبح الرمز الشعرى محددا معروفا اختلط باللا شعور مع الايحاء الشعرى فى عملية الفن الجديد .

عند ذلك يكون الشاعر قد أدى رسالته ، واستفاد من التجديد ، وطور الشعر للاسلوب الفنى ، وادخل جديدا على القديم ، ليطور الحياة ويمتع المتلقى ، ويفيد المجتمع والادب .

لغة الشاعر والغموض :

ولا جدال فى ان لكل عصر لغة ، تختلف عن لغة الجيل السابق ، واسلوبا يتباين حسب الازمان والاوقات ، وتركيب جمل تمليه الحضارة المعاصرة ، واسلوبا كتابيا تفرضه اساليب البيان الجديدة .

ولا اريد ان افرض على الشاعر المعاصر لغة العصر الجاهلى الموغل فى الكلمات التى ماتت ، ولا اطالبه بأسلوب العصر الاموى ، برغم محافظة هذه اللغة على اسلوبها وجمالها واثرها الواضح فى لغتنا المعاصرة ، ولكن يجب ان نعرف حقيقة واضحة بان اللغة العربية قطعت مراحل حضارية وفكرية لم تقطعها اللغات الاوروبية ، لطول عمرها واستمرار عملية التجديد والتطور فى كيانها وتراكيبها واساليبها ومعانيها ، باستثناء مرحلة الجمود والركود الحضارى الذى ران على الفكر العربى .

ان التطور سنة الحياة ، والتجديد يفرضه اختلاف المجتمعات ،

ووجود آراء جديدة ومخترعات حديثة وفلسفات لا نعرفها من قبل . وبتجدد مطالب الحياة تتجدد اللغة والادب والحياة . وتختلف الثقافة وتتنوع الحضارة .

فاللغة البدوية ليست مثل لغة الحضارة ، واهل الزراعة يختلفون فى لغتهم عن محترفى الصناعة ، لان اللغة تاريخ الامة الحضارى ، ويمكن معرفة حضارتها من لغتها واساليبها اللفظية ، وطريقة استعمال المعانى .

غير ان بعض الشعراء الذين عاصرونا وجاءوا بعدنا ، انغمسوا فى لغة تحتاج الى فهم اللغز الرمزى فيها والغموض اللفظى فى طياتها فقد قال احمد عبد المعطى حجازى فى قصيدة (حلم ليلة فارغة) . واعجب للشاعر ان يكون الحلم فارغا مادامت الليلة ارقته بهذا الحلم ؟ لنأخذ منها مقطعا واحدا ففى القصيدة خاطب المقاعد الصامتة ووفق فى المخاطبة لكنه سقط فى فراغ عندما قال :

وبعد صمت لم يطل
الطائر الاخضر طار
الغصن مازال بسحره يميل
كأنه ما غادر الغصن ولا اختفى
كأن نجمة خفيفة تدور
كأننى احس رحلة العصير

وهو يسير فى شرايين الزهر
كأننى شجرة من الشجر
مرت بها الامطار
فسار فى اعماقها حلم الثمر
وانحلت الاسرار
بعد طفولة طويلة بعد انتظار .(١)

ان الموسيقى الداخلية للشاعر فيها ايحاء ولكن هذا الايحاء غامض ، غموض الغموض وسكون السكون .

ماذا يريد صديقنا الشاعر بالرسالة التى يرسلها وما هذه الرسالة التى طار بها طائره ؟

فقد اوحى لنا بموسيقى مشوشة قلقة مضطربة ، ولم يحدد ما يريد هل وصف دبيب الحياة فى جسمه ؟ هل يريد ان نشعر بشعوره دون ان نفهم ؟ أأراد ان نلغى العقل فى همهمات مبحوحة ، والفاظ ضبابية اقرب الى النثر منها للشعر ، فيها كلمات محشورة حشرا دون نسق ؟ زهر ونجم وحلم وشجر وامطار .. أهذا قول معتنق عقيدة وصاحب رأى يدعو له ؟ :

أسأل نفسى ما احلام الشجر وهل تحلم الاشجار والاثمار ؟ لعل

---

(١) ديوان احمد عبدالمعطى حجازى ص ١٧٢و١٧٣ بيروت ١٩٧٣

شاعرنا تصور هذه الاحلام .. ولم ينظم هذه الالفاظ الا لوجود غموض فى العاطفة ، وفقر فى الاحساس . ان العاطفة العميقة غلبته ، فانكفأ على الكلمات المحدودة وردد (كأن) ، لضعف اللغة وتدفق القريحة فأضاع الشاعر المعنى اللغوى للالفاظ ، وفاته اثر الايحاء القوى للكلمات ووحى الالفاظ ، دون ان يستفيد من الدلالات التى امتصتها اللغة العربية طوال اربعة عشر قرنا او اكثر .

والغموض جميل والايحاء الموسيقى اجمل ، وكل شعر جميل لابد ان يوحى وان تكون فيه انغام لفظية موحية ، ويفترض ان يكون كل بيت فيه غموض سهل الفهم ، ممتع الوقع ، لذيذ الايحاء ، فقد قال الناقد القديم : (وليس فى الارض بيت من ابيات المعانى لقديم او محدث الا ومعناه غامض مستتر ، ولولا ذلك لم تكن كغيرها من الشعر ولم تفرد فيها الكتب المصنفة ، وتشغل باستخراجها الافكار البارعة)[١] .

ويقصد الناقد ان الادب يجب ان يوحى وان يعين المتلقى على المتعة فى الغموض ، ويسرح فى خياله للفهم الجميل .

ان الحياة فرضت علينا لغة جديدة ، وذلك حق طبيعى ، ولكنى اريد ان افهم هذه اللغة وأتذوق المعنى الجميل الذى اراده الشاعر ، وذلك من حقى الطبيعى ان امتع حاستى الفنية ، ولذتى الروحية من

---

(١) الوساطة ص ٤٣١ .

قراءة الشعر او سماعه والا فمكان الشعر سلة المهملات يرمى بها كل ما لا حاجة لنا فيه وانزه الشاعر عن هذه النتيجة .

واللغة الحضارية لا تبتعد عن الحاجات الانسانية الفنية ، ومن الضرورة ان تكون تجربة الشاعر صادقة ، لتحمل فى طياتها معناها ، والا اصبح هذا الشعر نثرا ، لا قيمة له فى دنيا النقد الفنى ، لابتعاده عن الفصاحة والاصالة لان المنتج يجهل تركيبه اللفظى ، ولا يحس بالاسفوب العربى الاصيل .

ان الشاعرية الحقة ، هى التى توحى بالجمال الممتع بما تنسقه من الفاظ متداخلة مع المشاعر والاحاسيس ، واذا لم يكن الشاعر قادرا لغويا ، فلن يكون شعره موحيا . او ممتعا او مفيدا .

والاخفاق اللفظى والفهم السريع وحب اثبات الذات جرت الى مزالق فى التركيب الفنى ، والاسلوب الشعرى فنبذته الأذن المرهفة ، ورفضه الذوق الفنى السليم لبعده عن الحاجة النفسية والفائدة الاجتماعية .

فقد نظم صلاح عبد الصبور قصيدة فى سأمه ، والسأم طبيعة الفنان الذى يريد التطور والتجديد ولكن هذا السأم دعاه الى حشر الفاظ لا يقبلها الذوق الاصيل فقد رفض المجتمع العربى شعر ابن سكرة وابن الحجاج ولم ينشر شعرهما لكن دعاة التطور والتجديد نشروا شعر صلاح عبد الصبور الذى قال فيه :

هذا زمان السأمْ

نفخ الاراجيل سأمْ
دبيب فخذ امرأةٍ ما بين إليتى رجلْ ..
سأم
لا عمق للألمْ
لانه كالزيت فوق صفحة السأمْ
لا طعم للندمْ
لانهم لا يحملون الوزر الا لحظة
ويهبط السأم .[1]

ومنها :

لانه يعيشه سأم
يزنى بها سأم
يموتها سأم

انها ابيات ساذجة نثرية تائهة فى بيداء تظهر على النفس التقزز من تكرار لفظه (سأم) فبين اثنين وعشرين كلمة تكررت سأم ، خمس مرات .. ثم عاد وكررها ثلاث مرات فى ثمانى كلمات ولم اعرف القصد الفكرى ، والايحاء النفسى من هذا الدبيب .. ولن يفهم الرجل السوى . مثل هذا النثر المشعور فى قول أحمد عبد المعطى

---

(١) ديوان صلاح عبد الصبور ص ١٤٨ طبعة بيروت ١٩٧٢ .

حجازى :

رأيت نفسى اعبر الشارع ، عارى الجسد
اغض طرفى خجلاً من عورتى
فلم امده لاستجدى التفاتا عابراً ،
نظْرة اشفاق علىّ من احد
فلم اجد
اذن لو اننى - لا قدر الله - اصبت بالجنون
وسرت ابكى عاريا بلا حياء
فلن يرد واحد على اطراف الرداء[1]

لماذا يرد عليك الناس الرداء ، وقد عذرك الفكر العربى لانك مجنون ولا حرج على المجنون .. انه يتحدث عن ذاته ، ويمثل القلق والحيرة والضياع ، التى يعيش فيها وقد وفق عندما اشار الى نفسه بمثل ما ضاع من رباط انسانى ، بين البشر وعطف بين المجتمع المعاصر .. فالمجتمع الذى يريده : مجتمع بعيد عن الانسانية ، مادى انانى لا يستر العرى والعورة ، ولا يرعى حرمة ادب المجتمع الانسانى الاصيل ، الذى يرعى المجنون ويسدّ خلة المحتاج ، ويغطى عورته .

(١) ديوان احمد عبدالمعطى حجازى ص ٢٨١و٢٨٢

ان ذكر العورة صراحة له معنى عند علماء النفس لا يُرضى الشاعر الرقيق وان فرويد يشخص امراض هؤلاء النفسية والجنسية ، ويعزوها الى قضايا تسود وجه الحياء ، ان كان هناك حياء ؟ قال فى قصيدة :

اخضرت الاشجار
واحمرت الازهار
فوق خضرة الاسوار
وجاءنا ريح من الصحراء حار
وعرّت البنت ذراعها
فبصت العيون من تحت الجفون
وارتعشت اهدابها
ثم تراخت فى انكسار[1]

اما كان الاجدر ان يقول (كشفت عن ذراعها) واكتفى واوحى للمتلقى بما فى نفسه لكنه مغرم ومفتون بالعري !! وما بعد العري !!

انه حرمان روحى وجسدى استكن فى اللاشعور منذ حياة المراهقة ، ظهرت فى شعره كثير من موحياتها فالزهرتان عاريتان (وعريها طفولى) و(النسمات ابتدأت تمسح عرى الشجر)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠

و(للجسد العارى) وغيرها كثير من تكلس اللاشعور سرت فى شعره .

ورحم الله علماء النفس فالنظرية تصدق على هؤلاء وفيها ما يقزز النفس ، والذوق العام الذى ظهرت صوره فى شعر محمد عفيفي مطر عندما قال :

مدائح الزني
وولد السفاح
يسأل كل عابر
مطالبا بما يبيعه من عرق الافخاذ [1]

اليس فى الغموض والاشارة فى قول شوقى مايحمل الحياء وحسن اشارة ويترك للمتلقى ان يجنح بخياله :

إن رأتنـــى تميل عني كأن لم يك بيني وبينها اشياء

وقول الشاعر :

فكان ماكـــان ممـا لسـت اذكره فظن خـيرا ولاتسـأل عن الخبر

وفى شعر امرىء القيس ومتجردة النابغة برغم وضوحه عبر الشاعر

(١) جناية الشعر الحر لأحمد فرح عقيلان طبع نادى ابها الأدبى ١٩٨٣ ص ٦٣

عن حالاته الجنسية بتعابير تلائم حياته الاجتماعية وتسير مع الذوق الفنى ولم تهبط تعابيره كما هبط الشاعر المعاصر .

ان فقدان الحسن الاجتماعي ، وضياع المفهوم الخلقى والفنـي ، دليل نفسى علقه على تقليد الغرب ، دون ان يعرف مايريد الغرب ، فضاعت هذه الشخصية وارادت ان تجدد حتى فى اتفه الامور فقد قال قائلهم :

شربت مرق الاحذية المنقوعة
فى الخوف والنحيب
اكلت مايخبزه الاسفلت
فى جوفه من حنطة التعذيب

وقال آخر :

فى حذائى مسمار
وفى ذقني شوكة
هذه ممتلكاتي
افتح الشمسية والقناني
اتزلج فى الجغرافيا فى عنق زرافة اصطاف[1]

وبلغ التقليد الاعمى باحد هؤلاء بان وضع عنـاوين قصائـده

---

(١) المصدر السابق ص ٦٤

بالحرف اللاتيني (٢) تقليدا للشاعر الغربي ، وهو لايعرف ان الغربى يدرس اللغة اللاتينية التى يعرفها كل شعب اوروبى ، ولكن صاحبنا ركبه الجهل والتقليد ، دون ان يعرف ان كثيرا من القراء العرب لايعرفون هذه اللغة .

ولما وضع (اليوت) بعض التعابير باللغة الفرنسية فى شعره وضعها وهو مدرك ان اللغة الفرنسية معروفة عند الانكليز ، ويدرس الادب الفرنسى فى المدارس والكليات ، وهناك صلات فكرية وعلاقة وطيدة بين فرنسا وبريطانيا ـ التى اخذت اسمها من شمالي فرنسا ـ ويقضى الانكليزي عطلته فى فرنسا ويزور الفرنسيون انجلترا دون صعوبات لغوية وعندما وضع اليوت فى الارض الخراب The Waste Land بعض تعبيرات بودلير يعرف ان الانكليزى يعرفها بسهولة فلماذا يضع صلاح عبد الصبور هذا فى شعره ؟..

هل كل قراء الشاعر يعرفون اللغات الاجنبية ؟ وهو الذى يدعو الى الجماهيرية والشعبية ؟ اما احس بنبو هذا العمل فى الذوق العام .. ام انه شعور بالنقص امام الغرب ؟ .. وأمام بودلير ، دعاه الى ذلك ؟[١]

حاول الدكتور عز الدين اسماعيل ان يعلل هذه الظاهرة ، وهو من

---

(١) البئر المهجور ـ يوسف الخال بيروت ١٩٥٨ فقد وضع عنوانين باللغة الاجنبية هما : ١ ـ "Eccho Hom" ٢ ـ "Memento Mori" ولو وضع معهما عنوانين عربيين لما خسر شيئا ودل على اصالة وفهم .

اصدقاء الشاعر ومحبى ادبه فقال :

(..ولاأظن احدا يخطىء هذه الدائرة التى دارت فيها عبارة بودلير ، حتى وجدنا الشاعر العربى كلم بودلير بنفس كلماته ، لقد قال (بودلير) هذين السطرين ذات يوم ، ولكنه فيما يبدو لم يكن ينطق بلسانه وحده بل كان ينطق بلسان انسان العصور الحديثة كلها ، ومن ثم لم يكن غريبا ان يبرز صوته من خلال اليوت ، ثم من خلال صلاح عبد الصبور ، فلئن اختلفت مداخل التجربة التى اراد كل من الثلاثة التعبير عنها فلقد اتحدت ابعاد رؤيتهم ، فكانت الكلمة الاخيرة للواحد منهم هى كلمة الآخرين) [(١)] ..

اشهد بالله اننى اوغلت فى الخطأ ولم افهم ادراك هذه الدائرة كما لم يفهمها الكاتب ولا الشاعر نفسه انما هو تقليد وادعاء بفهم اللغة الفرنسية ، وضياع الشخصية العربية فى الانبهار الغربي ، وعلى رأسهم الصديق الدكتور عز الدين نفسه الذى اراد الايحاء بأنه ضليع باللغة الفرنسية وانه يفهمها .. انه تعليل غريب ان ينظم عربى من القاهرة فى القرن العشرين ... وفرنسى فى القرن التاسع عشر وانكليزي امريكي مخضرم .. الحاجات النفسية ذاتها دون تطور او تبدل ، او اثر للحضارات المختلفة فى القارات ، لاجدال فى ان

---

(١) الشعر العربى المعاصر للدكتور عزالدين اسماعيل ص ٣١٥ ـ ٣١٦ وتعليقا على قول الزميل الصديق اقول : اللهم إنى اخطأت إدراك الدائرة وان بودلير الشاعر الرجيم لم ينطق بلسانى .

العواطف الانسانية العميقة واحدة فى صدقها ، لكنا قول الصديق لوي لعنق الحقيقة ، مصدره شعور بالنقص امام الادب الفرنسى . عندما اراد الكاتب الفاضل ان يحشر نفسه ايضا فى هذه الدعوة وقال انه شاعر وذكر انه نظم قصيدة (الكل باطل)[١] ووضع فيها بعض الجمل باللغة الفرنسية ، ونشرها فى كتابه وفيها بعض كلمات من بليك وبول ايلوار ولعله لايعرف سواهما .. لان الزميل الفاضل لم يُعرف شاعرا ، ولم يترجم شيئا من الادبين الانكليزي والفرنسى الى اللغة العربية له اهمية فنية فعلام هذا القول ؟!

كان حريا به ان يترجم الصوتين ليفهم عشاق ادبه ، وأنا منهم ، ما اراد . وللأسف إن عدم الترجمة حالت دون ان اتمتع بهذا لادب الذى ارجو ان يكون رفيعا ..!! لعله اراد ان يقول إن صلاح عبدالصبور جاء بصوت واحد فانا جئت بصوتين ، فانا خير من صلاح عبد الصبور واشهد انه اكثر منه علما وفضلا ، ولكن صلاح خير منه شاعرا وفنانا .

لا اتهم شعر هؤلاء الشعراء كلهم بالاسلوب السيىء والتراكيب الضعيفة ، والمعانى السقيمة ، ففيهم من نظم جيد الشعر واعذب القصيد ، وما اساءوا الى لغتهم مثل بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وصلاح عبد الصبور وكتبوا غرر الشعر العربى الذى

---

(١) نشرت فى كتابه المتقدم ذكره ص ٣١٢

سيذكره التاريخ ومن ذلك مسرحيات صلاح عبد الصبور ، التى رسم فيها خطوطا جديدة فى الفن المسرحى التى اغفل النقاد هذا الجانب الفنى منها ، واتجهوا الى شعره الوجدانــى ، لان نقــاد هذا العصر يركضون وراء السهل والسطحية ، واكثرهم خالى الوفاض من الفن والنقد والادب ومن سطحى الفكر ، ولايملك الذوق الاصيل المرهف الجميل ودراسة المسرحيات بحاجة الى ذوق وصبر وسعة اطلاع على النقد الحديث والقديم .

الحداثة :

من المضامين التى حاول الشعراء ترديدها فى التطور الجديد لفظة الحداثة ، وهى اللازمــة التــى يرددونهــا دون ان يعرفــوا المضمــون اللفظى ، والمعنى اللغوي ، والتطور المنشود منها ، وكانها تحمــل فى طياتها رفضا لكل اصالة وتراث ، وضل هؤلاء الطريق الشعرى الى المعاصرة والتجديد ، بعد ان اضاعوا جذور اللغة واصالتها ، وتاهوا فى تقليد الغرب دون وعي ، لأدبه ، وادراك لدوافعه العميقة ، التى املت هذا الادب ، وطورته وفرضت عليه التبديل اللفظى والتغير الاسلوبى فى الكيان الفنى والاسس الفكرية له .

وتمسك هؤلاء باللفظة ، كما تمسك قبلهم (بـالعصرية) غيرهــم ، فكل شيء جديد عصري ، حتى سميت المكتبات والكتاب والافكار

بالعصرية ، فالمكتبة العصرية ، والادب العصري ، والفكر العصري ، مثل تمسك غيرهم بالتقدمية فيقولون :

فكر حديث ، وهذه قصيدة فيها حداثه ، ونسى هؤلاء ان المجتمعات المتطورة هى التى تفرض الحداثة ، والعصرية والتقدمية والتطور والتجدد.وترفض بما في داخلها من قوة مالايلائم حياتها الجديدة .

ومثل هذه الآراء تأتى بهدوء ، وتدخل بسكون فى الفكر والشعر والمجتمع ، فقد قامت ثورة صناعية فى اوروبا دون ضجة ، واخذت تسيطر علينا المخترعات دون ضجيج ، سوى استنزاف اموالنا والحد من نشاطنا الفكري ، والابداع العربى الذاتي ، بعد الانبهار بهذه الحداثة (كل فرنجي برنجي) كما كان يقول الجيل الماضي .

ان الآراء المفيدة تتفاعل مع الفلسفة وتأتى نتيجة ضرورية للحياة العامة ، التى تفرض حاجاتها على المبدع ، فيبادر الى سد النقص ـ والادب ـ حاجة اجتماعية ـ يصحب النقلات الحضارية ، ولايساير التطور الاقتصادي والاداري ، لانه يحتاج الى وقت حتى ينضج ، الفكر ثم يتحضر .

ان بقاء المجتمع العربى عدة قرون فى هدوء وخمود وركود فى الاقتصاد والعلم والفن ، صاحبه الوقوف عند حالة واحدة هى السكون ، الذى جرفه الى التأخر والوهن ..والضعف . فمن الضرورى ان نطور المجتمع المعاصر وان نوازن فى التطور بين

التراث الجيد والحداثة الوافدة .. اذ ليس كل جديد مفيدا ، وليس كل التراث سيئا واهنا ، ولايمكن فرض الفكر الفنى بالقوة ، مثل ارتداء الملابس الثقيلة فى الصيف والملابس الشفافة فى الشتاء البارد فى سيبيريا . فالملابس فى غير وقتها ومكانها لن تؤدى الغرض المطلوب منها ، فهل من الحداثة ان آخذ آراء شعراء مضى عليهم اكثر من قرن ، وماتوا مثل (بودلير) (وبول فاليري) او انهم طوروا الشعر الغربي ، وذهب معهم التطور مثل (اليوت وعزرا باوند ، واديت سيتويل . فاحاول تقليدهم دون وعي ، ليقال اننى ادخل الحداثة فى شعري ؟؟

ان الانتقاص من التراث الاصيل اهانة للشاعر نفسه ، دون ان يعرف ـ ان كان حقا يعرف العربية وآدابها ! واساءة للتيار الفنى العربى الصافي ، واعجب من البياتي وهو يقول :

اللغة الصلعاء[1]

كانت تصنع البيان والبديع

فوق رأسها باروكة (كذا)

وترتدي الجناس والطباق

فى أروقة الملوك

---

(١) جناية الشعر الحر ـ احمد فرح عقيلان ص٥٨ نادى ابها الأدبى ١٤٠٣/١٩٨٣ لاحظ (سارق النار)

وشعراء الكدية الخصيان فى عواصم الشرق
على البطون فى الاقفاص يزحفون
ينمو القمل والطحلب فى اشعارهم
وقال احدهم (مقامة الى بديع الزمان) :
حدثنى وراق الكوفة
عن خمار فى البصره
عن قاض فى بغدان
عن سائس خيل السلطان
عن جارية عن احد الخصيان
عن قمر الدولة حدثني قال :
عن شمس الرابع من رمضان
مولانا انطقه الله فصاح
من يقعد خلف الابواب
من الفقهاء من الشراح
ـ مولانا فى بابك عبدك واواء النطاح
وهناك عبدك خفاش بن غراب
والشيخ الواثق بالله بن مضيق
صاحب الف طريق وطريق
تسلكه الزنديقه والزنديق
مولانا عطس ثلاثا يرحمه الله

وانتصبت اذناه وصاح
الى بواواء النطاح[1]

ألا توجد فى التراث صور رائعة ، وافكار مشرقة ، يمكن ان يستفيد منها الشاعر من الحضارة العربية ، وهل كان الغرب خيرا من الشرق فى استبداده بالشعوب وقتل المفكرين ؟

لماذا يأخذ الصور المظلمة ويرسمها بصورة معاصرة جديدة ؟ ويسقط الشاعر حنينه وشعوره على التراث العربي ، اليس فى التراث الغربى قضايا اسوأ واظلم من صورنا فى الحياة العامة ؟ لم يختار المظلم ؟ ويسخر من اهم قاعدة فكرية علمية ناضجة ، هى طريقة السند التى يتباهى بها فى تجربتهم الغرب وحولت الى الحواس العلمية هل يفهم هذا الشاعر البحث العلمى واصوله ؟ بعد ان غرق من أخمص قدميه الى قمة رأسه فى افكار اعمته وسلبته حريته الفكرية الا فى ذم الامة ونفس عن سطحيته اللغوية بالانتقاص من التراث الاصيل ؟؟

ونسى انه لايقدر على التخلص من النفق الفكرى الجديد الذى دخل فيه رأسه ، ولم ير الا مافيه دون مقارنة واعية ! ان الحضارة والادب كما قلت حاجة اجتماعية ولم نجد على طوال العصور لغة

---

(١)الاعمال الشعرية الكاملة ، (مقامة إلى بديع الزمان) لمعين بسيسو ص ٢٩٢ بيروت ١٩٧٩

اثبتت جدارتها كاللغة العربية ، التى عاشت اربعة عشر قرنا ، وازدهرت فيها الحضارة ونهضت على قاعدتها التراثية الاصيلة . بينما نهضت غيرها على لغة اليونان والرمان . واصبحت العربية لغة الحضارات كلها من المشرق الى المغرب ، وفى طول العصور لابد ان يدخلها الجيد والرديء والركيك والقوي ، وتلك طبيعة الانسانية والفن والفكر .. وفيها أحسن شعر الوجدان وكثر شعر المديح والهجاء والوصف فيها ، ووصلت قواعد نقدها أسمى المراحل ومازال النقد الغربي يخب ليصل اليها .. ويتباهى الغربى عندما يكتشفها من جديد وهى اسس قديمة فى لغتنا .

لا اشك فى ان تاريخ العرب فيه سواد عميق ، ووقائع مريرة ، حتى اصبح الألم موروثا تاريخيا تسرب فى حضارتنا ، من جراء الحكم الفردى ..

ولكن هل تصوير هذا البؤس يفيد الجيل المعاصر ويبعث الثقة فى نفسه ؟ ام يزيد من حيرته وقلقه ؟!

نسى هؤلاء الذين يهاجمون اللغة العربية ، ان شعرهم خطابى وتقريري ، لماذا يستعملون لغة لايرضون عنها لماذا لايكتبون بالفرنسية ، والانكليزية ويريحون من يعرف العربية من هذه الرطانة فالصور مهزوزة ، والاساطير قلقة ، والافكار حائرة لانهم قلدوا لغة لم يعرفوها ، ورموزا فى الانجيل والتوراة مادرسوا اصلها البابلى

والفرعونى وجاءوا باساطير قديمة تركها المبدع من الشعراء .. منذ زمن بعيد .

سئم المفكر الاصيل ، والشاعر المبدع ، والكاتب المجدد من هذا الهراء . وقد قال احد المعاصرين بصراحة ووضوح بعد ان رأى ماحاق بلغة هؤلاء من الركة والضعف تحت ستار الحداثة .

ان (الحداثة فى نظر البعض تعنى التمرد على الخليل بن احمد فى الشعر مثلا .. الذين يقولون ذلك بسبب واحد بسيط هو انهم يجهلون ماذا عند الخليل ومتى ولد واين توفي .. ولاوزن لهم ، ولايستحقون السؤال ، هؤلاء اتباع واذناب ، كما قلت لاقيمة لهم اصلا لانى اسميهم الفار الذي حطم سد مأرب) [١] .

وبرغم الايذاء اللفظى فى طيات الرأي ، فان الناقد شهد على جهل هؤلاء وعدم معرفة اصالة لغتهم وتراثها .

الحداثة والمعاصرة والتطور والتجديد ، لابد لها من قاعدة تنبع من التراث الاصيل حتى تنهض وبغير التراث لن يكون التجديد ، اذ لايمكن بتر الفنون من جذورها ومخزونها الاصيل . وان يكون المبدع - لا الصانع ولا المدعي - صدى صادقا للمجتمع ، فى افراحه وهمومه وغضبه وسخطه وصفائه ، ليكون الانتاج انساني الاتجاه عالمى التطور . والا فالسكوت اولى بالجاهل وأستر على جهله !!

---

(١) على محمد العمير : مقالته فى مجلة (المجلة) العدد ٢١٤ (١٧ - ٢٢ مارس) ١٩٨٤ (١٥ - ٢١) جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ

الحداثة المدمرة :

وقد تتبع على محمد العمير قضية الحداثة عند شاعرين ، ورأى ان القضية خرجت عن حدها الطبيعي واصبحت مهزلة وعبثا لايدرك مداه دعاة المعاصرة والحداثة ، بعد ان اضاعوا شخصياتهم فى التقليد الاعمى للغرب دون الاحساس بمعنى التجديد ونقل لنا وجهات نظر نزار القبانى وجهاد فاضل (الحوادث ١٤٨٣ ديسمبر ١٩٨٣) . ومحمود درويش (المجلة ١٢٥ فى ١٢ ـ ١٨ رمضان ١٤٠٢هـ) الذى قال : (ان احد اسباب ازمة الشعر العربى الحديث هى الحداثة ، انا شاعر حديث ولكننى اعترف بان الحداثة تدمرنا الآن . الحداثة اختلطت بمفهوم التجريبيه وهى نقيض النضج ...) وقال : (ان اخطر مافى مفهوم الحداثة ان العدمية اضحت شرطا من شروط الحداثة .. واذا كانت هذه هى الحداثة فأعلن هنا اننى رجعى ومحافظ ، حاليا لايوجد قانون يربط الشعر الحديث بالحداثة ..) (.. وهناك فوضى فى الشعر الحديث بسبب الحداثة ..) وقال :

(الشعر الحديث يقول ان القافية والوزن لهما قوانين وماذا فى ذلك . اين الفن الذى لاتحكمه قوانين ..؟)

(من اين تأتى حداثة الشعر ؟ فى رأيى ، حداثة الشعر تجىء وتتولد من تراث هذا الشعر ولاتأتى من الغرب ..)

ولم يبعد الصديق محمود درويش عما ذهبت اليه من ضرورة معرفة

ادب الغرب ولكن دون مسخ الشخصية العربية وقال :

(جديدي ينبثق من قديمي ، ما يحدث عندنـا هو ان اتخلى عن اربعين وزنا وايقاعا وأستلهم ايقاعى من اوروبا ، حتى اصل الى مستوى سن جون بيرس .. نعم كل الشعر فى اوروبا يملك ايقاعين فقط ألجأ اليهما واترك كل الزخم الموجود لدي ..) .

وواقع الامر ان هذه الحداثة جرت الى الفوضى والى اختيار شكلى للالفاظ وتشابه فى الاساليب .

مع نزار قبانى :

ولأقف وقفه اطول مع نزار قبانى لسببين الاول انه ارق من نظم فى التجديد فى هذه الفترة والثانى يتكلم بحريه مطلقة لايخاف اذى ـ السلطات لانه فى مأمن من سطوتهم وأذاهم .

قال فى المقابلة التى اجراها معه جهاد فاضل فى (مجلة الحوادث ١٩٨٣) ، (ان الطبيعة تتجدد من داخلها وضمن قوانين علمية دقيقة) (.. ان التجديد يحتاج الى صبر طويل ووقت طويل وشرط التجديد الاول هو « المعرفة » اى ان يكون المجدد عارفا قواعد اللعبة وعارفا من اين يبدأ ، والى أين سوف ينتهي ، فالقصيدة الحديثـة اذا لم تعرف تاريخها جيدا فانها بالتأكيد سوف تكون بغير مستقبل ..) .

(ان بيكاسو المجدد العظيم الذى قلب تاريخ الفن التشكيلي رأسا

على عقب اصوليا وكلاسيكيا مثل روبنس ودولاكروا وليونار دافنشى ، ثم ثار على الكلاسيكية من داخلها ..)

(ونحن لانعترض على الذين يريدون ان يثـوروا على القصيدة العربية التقليدية ، فلهم الحق المطلق ان يفتحوا النوافذ ويغيروا الهواء ويجددوا الاثاث لكننا نطلب اليهم ان يثوروا من داخل المتنبي ، وابى تمام وديوان الشعر العربي ، حتى لاتكون ثورتهم عبثية او هوائية ، ان اى تطور شعرى لابد له من ان يستند على ثلاثة مرتكزات :

١ ـ اللغة ٢ ـ طريقة العرض ٣ ـ الخصوصية)

(ان الشعر فى اساسه تشكيل لغوى كما الرسم تشكيلي لونى ، والموسيقى تشكيل نغمي ، وبغير لغة لايمكن فعل شىء لانها هى المادة الاولية والاداة ، ومهما اختلفنا على نوعية اللغة الضرورية للشعر فلن نختلف عن ان الذى لايملك لغته لايملك قصيدته) .

(لكى استطيع ان اكتب قصيدة ما موزونة او متحررة من الوزن ـ لابد ان اكون مسيطرا على أدواتي . اولا ، وجالسا على كرسى لغوى ثابت ، بغير هذا الكرسى اضيع توازنى واقع على الارض) .

(بعض نماذج الشعر الحديث هى قصائد بلا كراسي ، وهذه هى مشكلتها الكبري ، اما طريقـة العـرض فى الشعـر فهـى بمنتهـى الاهمية . فالقماش الشعرى كثير جدا ومتنوع جدا والمادة الشعرية الخام موجودة فى كل ذرة من ذرات الكون ، وهى تحت تصرف جميع

الشعراء ، ولكن تحويل هذه المادة الشعرية وتصنيعها وطريقة عرضها تختلف مابين شاعر وشاعر) .

وقال : (اما الخصوصية ـ فمعناها ان يكون لكل شاعر صوته ورائحته ومذاقه ، معناها انك اذا قرأت ذات يوم قصيدة بلا توقيع فانك لاتتمالك من ان تصرخ على الفور هذا فلان ، هذا فلان ، لقد عرفته من رائحة حروفه . لقد كان للمتنبى خصوصيته ، كما كان (لرامبو) و(ارغون) و(بول ايلور) و (بابلو نيرودا) خصوصيتهم ،.. وشعراء اليوم مع الاسف يتشابهون الى الحد الذى نشعر معه بانهم يكتبون قصيدة واحدة ، ويؤلفون حزبا شعريا واحدا ، ويمشون فى مظاهرة شعرية واحدة ، ويوقعون متكافلين متضامنين تحت قصائد بعضهم ، اننى اضع (الخصوصية) فى المرتبة الاولى من عملية التجديد والموسيقى الداخلية ..) [1] .

ولم يكتف بالنثر انما قال نزار القبانى عن هؤلاء :

شعراء هذا اليوم جنس ثالث
فالقول فوضى والكلام ضباب
يتكلمون مع الفراغ فما هم
عجم اذا نطقوا ولا اعراب

---

(١) المجلة العدد ٢١٤ ـ (١٧ ـ ٢٢ مارس) ١٩٨٤ ـ (١٥ ـ ٢١) جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤هـ

اللاهثون على هوامش عمرنا
سيان ان حضروا ، وان هم غابوا[1]

لا اشك فى ان الحياة فرضت علينا لغة جديدة ولكن متى فقدت اللغة المعنى الجميل والاحساس الفنى العميق والموسيقى العذبة لن تدخل هذه اللغة ضمن لغة الفنون ؟

ان الشعر متى فقد الوزن ، أضاع منه صفة الشاعرية لان الوزن تعبير عن حالة من حالات النفس فى هدوئها وصفائها وفى غضبها وثورتها ، وبه يعبر عن ملامح الشعر وشكله ، فاذا ظهرت الحالات المتعددة على وجه الانسان لتعبر عن مكنوناتها الداخلية ، فالوزن هو المؤثر الروحى العميق الصادق المعبر عن الضعف والقوة ، فالغاضب ، ينظم قصيدة يظهر فيها الالم والمرارة والسخط ، كما تظهر الآلام والاحزان على محياه قال المتنبي :

انى نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الانام من الايدي وجودهم من اللسان فلاكانوا ولا الجود

احسسنا بالالم يسرى والمرارة والثورة فى اللفظ ، اما فى الحب فيحلو الوزن وتسهل العبارة نحو قول المتنبى نفسه :

الم ير هذا الليل عينيك رؤيتي فتظهر فيه رقة ونحول ؟

(١) انا ياصديقى متعب بعروبتى بيروت ١٩٨١

وقال الشريف الرضي وهو يزور ديار الاحبة :

ولقــد مررت على ديارهم وطلولهــا بيد البلى نهب
وتلفتـت عينــي فمــذ خفيت عنى الطلــول تلفــت القلب

وقال عمر ابو ريشة :

ذكرياتــى كلما اغفــت فلا توقظيهــا من دياجــر كراها

وقلت :

اننــى زفــرة مرتــاع الحشا قد رمانــى للحياة القدر

وقال الاخطل :

قتل الورد نفســه حســدا منك والقــى دمــاه فى وجنتيك
والفراشــات ملــت الزهــر لما حدثتهــا الانســام عن شفتيك

ان اســتعمال الـكلمات ، واختيار البحــر ظاهــرة نفسية فرضــت الوزن ، كما املاه الشعور الاصيل فجاء الشعر بجماله الفنى وامتاعه الروحى لذة للمتلقى ومتعــة لتــذوق الفنــون العــالية ، والموسيقــى الساحرة ، مع اختلاف الشعراء فى الثقافات والعصور والبيئــات ، وجدنا احساسا واضحا واثرا فنيا جميلا فى الشعر المبدع .

ان الموسيقى الداخلية والوزن افصحا عن شعر المتنبى الذى لم يقل : (طال على الليل وسئمت دجاه الطويل) لكنه رأى ان السحر الذى تشعه عينا الحبيبة ، لابد ان اثر فى الليل الطويل ـ لو احس بسحرهما وما اطول الليل على العاشق المهجور ، انه اراد وصف عمق السحر فى العينين وطول الليل المضني .

والشريف الرضى حرك فى نغمته الداخلية الفكرة ، فى تلفت العين والحيرة مع القلب العميد الموله ، لما رأى ديارهم قد عفا عليها الزمن ولايدرك هذه التجربة الصادقة الا صاحب الاحساس المرهف .. عندما يزور ديار الاحبة ، وترفرف معه الآمال والاشواق ، وتبسم له احلى الصور واجمل الاماني ، فيصور الخراب والدمار اللذين اساءا الى دار الاحبة ، ان البيتين عكسا فى الموسيقى الداخلية ، والبحر ، ما اراد الشاعر وقد حركت موسيقاه الصور الكامنة فى نفسه ، انفعالات مشاعره ولهفته وخيبة الامل المريرة .

وصورة عمر أبى ريشه الجميلة اخذها من الصور المادية ، وارتفع بها الى مستوى فنى رمزى جميل فيه المجاز والاستعارة ، ووظف فيها موسيقاه عندما نامت هذه الذكريات ، لم يقل لاتثيرى على الذكريات ، أو تهيجي الشجن ، لكنه استعمل فنا موسيقيا عذبا فى تناغم جميل ووقع لطيف .

وعندما اردت ان اصف تبرمى بالحياة ، وما اعانيه من الم لم أجد الا ذلك الخائف المضطرب ، الذى يريد ان يتخلص من خوفه وجزعه

بالزفرات ، ولكن من هو الخائف انه الدهر الذى جاء بى الى الحياة المؤلمة .

ومن شعر الحداثة اللطيف قول صلاح عبد الصبور بعد ان استفاد من الارضية التراثية وهو فى حلم جميل فقال :

وفى الليل كنت انام على حجر امي
واحلم فى غفوتى بالبشر
وعسف القدر
وبالموت حين يدك الحياة
وبالسندباد وبالعاصفه
وبالغول فى قصره المارد
فأصرخ رعبا
وتهتف امي : باسم النبى[1]

صورة الطفل الخائف الذى لايطمئن فى نومه ، الا فى حضن امه بعد ان سمع اقاصيص الغول .. انها جمل قصيرة حدثنا فيها عن خوفه من الغول ، ووصف القلق والحيرة والاضطراب .. ثم اردفها بلهفة الام ترى ابنها ينتفض رعبا من نومه فتقول (اسم النبى) حارسك .

---

(١) الديوان ص ٥٩ وقضية الشعر الجديد الدكتور محمد النويهى ، القاهرة سنة ١٩٦٤ ص ١١٠ ، ١١١ .

أما قوله :

فحين يقبل المساء يقفر الطريق ،
والظلام محنة الطريق
يهب ثلة الرفاق ، فض مجلس السهر
« الى اللقاء » ـ وافترقنا ـ « نلتقى مساء غد »
« الرخ مات ـ فاحترس ـ الشاه مات ! »
لم ينجه التدبير ـ انى لاعب خطير »
« الى اللقاء » ـ وافترقنا ـ « نلتقى مساء غد »
اعود يا صديقتى لمنزلى الصغير[١]

اكثر الشاعر علامات التنقيط والجمل المعترضه واشارات التنصيص التى لا حاجة لها ، لان الشاعر بعد عن الاسلوب العربى الاصيل . واراد تقليد الغرب فاكثر من هذه العلامات والاشارات المعترضة وفاجأ بآراء سريعة وتغير الفكرة والعاطفة المتلاطمة .

وقد جاءت الصورة منسقه مع النغم واللحن فى الحركة الداخلية للقصيدة وكان الشاعر دقيقا فى اسلوب الفن القصصى ، التى كدرتها الضبابية والعبثية الواضحة على الفكرة ، والاثر الايحائى محدود الانفعال بالرغم من مزجه الحقيقة بالخيال ، والاثار الانفعالية بالرمز ،

---

(١) ديوان صلاح عبد الصبور ص ٧ و ٨

فان التلاءم الموسيقى ليس انسجام نفسى وتوازن بين الواقع والمثال ، لان لغته فى الابيات بحاجة الى اصالة وعمق . والشاعر نجح فى الفن القصصى اكثر من نجاحه فى جزالة الشعر وقوة التركيب .

الاساطير :

لعل الاسطورة بداية ساذجة لخيال الانسان الاول ، وجذور فكره الفنى المبكر ، عندما راى تعاقب الليل والنهار ، واشراقة الشمس نهارا والقمر ليلا ، وبدأ فى عبادتهما .

فكان يرى الامور بوضوح ويسر فى النهار ويعم روحه الأمن والامان والنشاط والعمل ومتى خيم الليل بسدوله حجب الرؤية ولف الانسان بالغموض والمجهول ويسيطر الهدوء والسكون ومعهما الخوف والرعب .

واصبحت الاسطورة جزءا من العقل البشرى والتراث الانسانى عندما سيطرت على فكر اليونان الذى اثر فى حضارة الغرب كلها وبرزت فى العهد القديم بوضوح وهى المضامين الشعرية التى اعتمد عليها الشعر الحديث ناقلة الاساطير الأوروبية من يومانية ورومانية وما فى التوراة والانجيل من أفكار وأساطير وخرافات استعملها الفكر الغربى وقلدها الشاعر العربى المعاصر دون معرفة عميقة باصولها وجذورها .

والاسطورة Myth والخرافة Fable وان اختلف الباحثون فى المعانى التى توحى بها الكلمة منفردة فانا لا أرى اختلافا شديد الوضوح فى النظرة العربية اليها ، انهما كلمتان متلازمتان لمعنى واحد ، لا يمكن الفصل بينهما .. وجذورهما ومغزاهما اساس واحد ، هو حدث او حكاية او عمل لا يقدر البشر العادى على الاتيان به ، او حادثة او قصة برفضها العقل الواعى ، والمنطق السليم ، لان اصل خرافة جاءت من عربى اسمه خرافة ، كان يتحدث عن امور حدثت له مع الجن لا يمكن ان يصدقها العقل العربى الذى لمس الحياة ووقائعها مباشرة . فاصبحت كل قضية ليست واقعية او حكاية مبالغ فى تكوينها تسمى خرافة .

اما الاسطورة فلا تختلف عن المعنى السابق ، فهى حادثة غير صادقة وغير واقعية ، وورودها فى القرآن الكريم فى هذه الصفة فى اكثر من موقع فقد جاء فى محكم التنزيل قوله : (ان هذا الا اساطير الاولين) .

فهى اعمال او قصص او احداث يرفضها العقل الواعى ، ولا تناسب المنطق السليم ، واحداث الواقع ، لانها فوق الخيال ولن يلحقها مهما سما هذا الخيال لانها بعيدة عن الحقيقة الواضحة ، والواقع الملموس والطبعى المألوف .

وكثرت فى شعر الغرب لانها قاعدته الذهنية ، التى جاءت من الخيال الدينى ، والتزم بها بعد ان وجد فيها التنفيس المرضى المريح

من عناء رغبات مكبوته ، لا يقدر على تحقيقها واقع الحياة اليومية كالفضيلة والقوة والسيطرة والخصب والحب .

الاسطورة والخرافة ولدت مع الانسان وتحولت فى مسارب جديدة عندما نشأ الاقطاع فى اوروبا وحـرم البشر من كل شيء يحكمـه فاصبح المجتمع البشرى الغربى القائم على الاقطاع وسيطرة النبلاء ورجال الدين ، حاجزا قويا يحول دون تحقيق الرغبـات النفسيـة الكامنة ، والغريزة البشرية التى كانت تحققها الالهة ويتمتع بها الملوك والنبلاء ، بحرية وصراحة واحس المحكوم بان هذه الغرائز المكبوته فى اللاشعور ، قد اصبحت حقيقة بصورة من الصور ، ولكن عند طبقة لا يقدر ان يصل اليها .

ان ضعف الرجل العادى عادله بقوة الالـه وسيطرتـه ، وعـدم الحصول على الفتاة الجميلة نفّسه فى لقاء الالهة وعشقها وحبهـا ، وعندما يظلمه رجل الاقطاع والنبيل ، يجد العدل فى اعمال الالهة ، ان هذه الاساطير فى الغرب احدى ادوات التنفيس العميقة الغور فى النفس الغربية ، لتحقيق الافكار المتراكمة فى اللاشعور والرغبـات التى رسبها الواقع فى روحه ، خوفا من المؤثر الخارجى وفزعـا من الاذى .

ان اساطير الغرب بعيدة كل البعد فى حوادثها وابطالها عن واقع العربى ، الذى اذا اعتدي عليه قامت العشيرة تدافع عنـه ، واذا

اعتدى عليه ابناء العشيرة ، لابد ان يثأر لنفسه ويواجه الخصم والعدو ، لان حياة التكتل القبلى ، والاجتماع العشائرى ، ضمانة لكثير من حاجات المجتمع وحماية للفرد من الاذى ، والمجتمع الغربى قائم على الفرد فسهل الاعتداء عليه ومنعت عنه الرغبات الطبيعية ، التى كان يحققها العربى فى الغزو والاغارة والحروب المتكررة ، لان طبيعة الصحراء وجغرافية الجزيرة العربية خلقت مجتمعا يختلف كل الاختلاف عن مجتمع الغرب ، وعقلية الغربى ، وهو امر حال دون ان نجد (الاودسا والالياذة) والابطال مثل اخيل واجامنون وباريس وهكتور وزيوس فى الشعر العربى . وان زخرت بابطال الغزو وفرسان الوقائع ، وعدم وجود الملاحم ليس عيبا على الفكر العربى الا نجد فيه مثل اساطير الغرب وملاحم الغرب ، لان الادب والفكر والاسطورة حاجات اجتماعية ، وقد وجدت عند العرب بصورها العربية ، وبرزت عند العرب عندما زرعوا الارض ، واستوطنوا المدن وشابهت حياتهم ببعض جوانبها حياة الغرب ..

فان يعوق ويغوث ونسرا ، من رجال العرب الافذاذ الذين مثلوا الفضائل والسجايا العالية ، واحترمت اصناما وقدست بعد ذلك آلهة ، لبعد الزمن كما ان الالهة فى الكعبة لم تكن تعبد بايمان الغربى وتقديسه . وانما قدست لانها تقرب العابد الى الله زلفى ، والفرق بين الوسيط الذى يقرب مقدسه الى الله وبين الاله الذى يتحكم فى المصائر واضح كل الوضوح .

ويظهر عدم الايمان بهذه الالهة ، وجود جماعات كثيرة من العرب لا تقدسها ، بل كانت تأكل الالهة المصنوعة من التمر .

ان الامم اللاتينية تختلف كل الاختلاف جغرافيا وتاريخيا وحضاريا عن الشعوب العربية ، التى تقوم حياتها على الترحل ، وطلب الكلأ ، ومواجهة الطبيعة وحيواناتها ، فقد هاجم العربى الاسود والذئاب وصادها وقنصها ، وقتلته وقتلها فهو يرى الحيوان ويحتك به على ضوء النار والقمر ليلا وفى وضح النهار ، فنظم فى قتاله وصيده القصائد ، وسجل احداثه ورواها بلا خوف او رعب .

والغربى يعيش فى ليال ممطرة سوداء كالحة ، خيم عليها البرد والثلج ، ولا يقدر ان يخرج من منزله فى الليل خوفا ، فاخذ منه الخيال كل مأخذ ونمت الاسطورة والخرافة من الخوف ، من هجوم الذئاب والحيوانات المفترسة . فخلق خياله الحيوانات الاسطورية التى ليس لها مكان على الارض عندما اصبح فلاحا لاصقا بالارض .

ان الحضارة تكيف حياة الانسان ، ورغباته ، او ان تكيف حسب رغبات الانسان وتطور فكره ، وتفرض عليه رموز الشر والخير ، والفضائل والفساد ، وبعد فترة تصبح جزءا من المعتقد الاجتماعى ، ثم بعد فترة تصبح جزءا من واقعه المعاصر .

ان الوثنية هى التى تحول الالهة الى حقائق خرافيه . واساطير مقدسة ، لها قوتها وكيانها وعلى قدر حضارة الامم نجد الاساطير ، التى تضخم اعمال الابطال الخرافية ، وتصبح قصة او حدثا يروى ،

وكأنه حقيقة حدثت فى الكون ومع ذلك فقد قال العربى ان المستحيلات هى :

الغول والعنقاء والخل الوفى

لانه لا يؤمن بالاساطير القائمة على الغول ولا يرى ان العنقاء حقيقة انما هى خرافة ، على عكس رأى الغربى الذى يعيش فى القرن العشرين ومازال يعيش على خرافات قديمة . انعكست فى حياته اليومية وبالتالى على فكره وادبه .

الشعر الحديث والاسطورة :

وقف المسلم العربى من الاسطورة حذرا ، لان التكوين الاجتماعى والارث الحضارى الاسلامى ، حالا دون الأخذ من اساطير الغرب والعهد القديم وما ترجم من الادب اليونانى عندما قلد الشعراء المعاصرون الشعر الغربى ، ساعدوا على تسريب الاسطورة الى الشعر العربى .. دون وعى لأصول هذه الاسطورة ، لانهم قلدوا شعر الغرب وما فيه من اساطير ، لانهم لم يدرسوا دراسة علمية مستفيضه الأساطير الغربية ، ولم يتأثروا بها قبل تقليدهم الشعر الغربى . فوجدوها متنفسا لآلامهم او آمالهم الحبيسة عندما استشرى اذى الحكام الجدد ، وكثر الظلم والطغيان وهدد المفكر والشاعر والصحافى ، وخاف الشاعر وجزع الكاتب وحذر الصحافى فركن على

الاسطورة للتنفيس عن رغبات النفس المأسورة ، ليجسد رغباته الكامنة ويرسم الآراء المكبوتة فى انفعالات فنية لا شعورية ، تحولت الى قصائد اسطورية او رمزية .

ان القهر الروحى ، والذل النفسى ، والكبت الفكرى ، والظلم الاجتماعى ، والفوضى السياسية ، فى العالم العربى دعت الشاعر الى استعمال الاساطير فقد خشى المفكر الحر من وصف احداث العرب الداخلية فاتخذ (الفدائى) رمزا للفداء ، والحرية ، والاستقلال ، ووضع (فلسطين) مثلا لاستعمار الاقطار العربية ، وتحكم الفكر الفردى ، ليشير الى سوء الوضع الفكرى فى الوطن العربى فقد اصبحت الدماء التى تراق من اليهود فى فلسطين رموزا للشاعر الذى يقتل الحاكم ابناء قطره وغدا طغيان الحاكم الذى يفتك بشعبه أسطورة ، واشارة رمزيه الى تدهور حال امته ، من قبل الحكام الجدد الذين عاثوا بالوطن خرابا .

هذه الاساطير والرموز ، دليل معاناة المفكر الداخلية ، صبت بقوالب جميلة ابعدتها عن التقريرية القديمة فى القصائد ، لما اتخذت الاساطير وعاء فكريا للتجربة الصادقة والمعاناة العميقة ، التى حدت من حرية الشاعر فبدر شاكر السياب فى (مدينة الالهة) و (انشودة المطر) مزج بين الاحداث المعاصرة والاساطير القديمة قال :

بلينا وما تبلى النجو الطوالع
ويبقى اليتامى بعدنا والمصانع

وعلى مقدار معاناة الشاعر تتوغل الاسطورة فى شعره ، وممن وظف الاسطورة فى شعره وهو خير من يعرفها من جيله بدر السياب وجاء بعده جماعة منهم خليل حاوى ويوسف الخال فقد استغل بدر (تموز) و (بعل) و (عشتار) فى شعره فكانت صوره متشائمة سلبية وظهرت اسماء اسطورية مثل (هرقل) و (نوح) وقابيل (والعازر) واختلطت فى شعره الرموز اليونانية والمسيحية ، لما قلد ايلوت وسيتويل ، فقال :

اخى يا انت يا قابيل خذ بيدى الى القمة
أعنى خفف الآلام واطرد الاحزان
ليتنى العازر انفض عنه الحمام
يسلك الدرب عند الغروب
يتمهل لا يقرع الباب من ذايؤوب
من سراديب للموت عبر الظلام

وتتداخل فى شعره الاساطير مع (جيكور) وولده (غيلان) عندما يعود الى قريته واهله . ويتذكر فقد الحنان وضياع الحب ، فى متاهات الحياة واصفا شعوره الداخلى ورغبته المكتومة الى حنان

الام ، وحبها ، ورغبته الى العودة الى الرحم الذى صانه من الضياع والتيه فقال :

يا ظلى الممتد حين اموت يا ميلاد عمرى من جديد :
الارض يا قفصا من الدم والاظافر والحديد
حيث المسيح يظل يموت او يحيا كظل ،
كيد بلا عصب كهيكل ميت كضحي الجليد
النور والظلماء فيه متاهتان بلا حدود
عشتار فيها دون بعل
والموت يركض فى شوارعها ويهتف : يا نيام
هبوا فقد ولد الظلام
وانا المسيح انا السلام (١)

ان تأثر الشعراء باليوت اوباوند اوسيتويل وتقليد الأدب الغربى دون وعى عكس الاساطير اليونانية واللاتينية والمسيحية فى شعرهم لان الاساطير اليونانية اختلطت بالمسيحية واللغة اللاتينية ، وما لها من اساطير قديمة . وتسربت من الشعر الغربى الى الشعر العربى جذور اوروبا الوثنية والعبودية .

---

(١) ديوان بدر ص ٢٣٠ و ٣٢٦ و ٣٢٧

ان إدخال الاسطورة الى الفنون الادبية عمل فنى ، ولابد ان يخضع هذا العمل الفنى الى :

١) إدراك واع فى التوظيف ومزج بالحياة المعاصرة .
٢) ان تكون الاسطورة خاضعة للاسلوب اللغوى الصحيح .
٣) الا يخرج العمل الفنى فيها عن الفن السليم

والا فقد حدده مسيرة التطور الفنى ووقفنا امام تيار التجديد وعدنا بالشعر الى قوقعة الجمود .

ان التنسيق بين الرمز والاسطورة ضرورة فنية عندما لايمكن للشاعر ان يفصح عن رأيه ولايقدر على اعلانه ، فيصبح الايحاء الفنى والايحاء الشعرى ضرورة فى اتخاذ الرمز والاسطورة ، وقد وفق السياب فى شعره السياسى الرمزى توفيقا واضحا .

فما مقدار نجاح الآخرين المقلدين ؟

لم يعرف المجددون مقدار الوثنية التى تسربت الى الشعر الغربى ولم يدر الشاعر العربى المعاصر بان الغربى فى عصوره الاولى وثنى يقدس الاوثان ، شديد العبودية لحكامه ، لذلك كثرت الالهة ، وتعددت الاسماء ، وتنوعت افعالهم ولما نظم هؤلاء الشعر كانوا فى قرارة نفوسهم يريدون الوثن ، الذى ينقذهم من عذابهم الروحى ، فاستعذبوا الاساطير الغربية ، واتخذوها متنفسا لما رقد من النفس من عميق الألم . لانها استكنت فى قرارة الرغبة الروحيةله ، وعندما

تعلق بالمسيح احس بانه (المخلص) وبانه (الفادى) . وتتجلى وثنية الغربى بذهابه الى تمثال المسيح وركوعه عند اقدامه فى المصائب . فبعد الحروب والازمات الروحية لا يفكر النصارى الا بالمخلص ونذر بعضهم للمسيح انفسهم وسموا انفسهم (جيش الخلاص) .

وقد عكس خليل حاوى وأمل دنقل وصلاح عبدالصبور جوانب من حياة المجتمع العربى في شعرهم ففـى (بيادر الجـوع) لخليل حاوى نجد بعض الخرافات والاساطير التى اثرت فى حياة الناس وتظهر جوانب من الغربية والمسيحية بوضوح فيها ، ففى قصيدتـه (لعازر عام ١٩٦٢) برغم العبث الفكرى والهروب من الواقع تظهر الروح المسيحية التى استوحاها من محيطه فى قوله :

صلوات الحب والفصح المغنى
فى دموع الناصرى
أترى تبعث ميتاً
حجرته شهوة الموت ،

وتحدث عن بعث المسيح وزوجة لعازر ويصف عودة المسيح وانه تراَى لها ويتحدث عن مريم المجدلية :

يوم أنت مريم يوم تداعت
زحفت تلهث فى حمى البوار

وازاحت عن رياح الجوع
فى ادغالها صمت الجدار
وسواقي شعرها
انحلت على رجليك جمرا او انبهار[1]

وتظهر اثار الوثن الراقد فى روح الشاعر عندما يقول :

يا اله الخصب يا بعلا يفض التربة العاقر ،
يا شمس الحصيد
يا الها ينفض القبر وفصحاً مجيد
انت يا تموز يا شمس الحصيد
نجنا نج عروق الارض من عقم دهانا
ادفىء الموتى الحزانى
والجلاميد العبيد
عبر صحراء الجليد[2]

انه صراع نفسى عميق فى داخل الشاعر بين الوثن (الخصب) الذى اتخذه الشاعر رمزا وبين الموت ، لاحياء الميت ونشر الخصب فى الارض ، هل كان الشاعر يتمنى ان يعيد المسيح (لعازر) برجاء

---

(١) ديوان خليل حاوى ص ٣٤٢ بيروت ١٩٧٢
(٢) ديوان خليل حاوى ص ٨٩ و ٩٠

اخته وتوسلها اليه ؟!

وتظهر هذه الوثنية الراقدة فى روح الشاعر فى (الجار والدرويش) وما صنع الغول فى حياة الشاعر الفكرية .

وأمل دنقل درس التراث العربى الاسلامى وكانت اسرته عربية مسلمة لذلك كان الاثر العربى والفكر الاسلامى أشد وضوحاً فى شعر الشاعر ، وآلمه مصائب العرب وتأثر بها أكثر من خليل حاوى الذى يعتقد بالقومية السورية .

فالأساطير التى دخلت الى شعره والرموز التاريخية تختلط بالحداثة ، فنجد عنترة بن شداد وجساس واليمامة الى جانب التطور الشعرى فى طيات التجديد الشعرى فنياً فهو فى توظيف التراث خير من خليل حاوى وأصالته أعمق ولعل حيرته جاءت من الفراغ الروحى ومن دراسته للآراء الغربية التقدمية التى لم يجد فيها ما يشفى جراح الأمة العربية فخلط بين التيار العربى الذى نادى به جمال عبدالناصر والتقدمية التى انتشرت فى عصره ولكنه أكثر ولاء من غيره من الشعراء الى امته ووطنه والعروبة ظاهرة فى طيات شعره واتجاهه الفكرى .

تحول الاسطورة الى وثن :

تكون بعض الشعوب وثنية بطبعها وشعوب تعاف الأوثان وتنفر منها ، ولكل من هذه الظاهرة فوائد ومضار ، أو سلبيات وايجابيات ،

فرضتها الطبيعة وطراز الحضارة وتطور العقيدة عند الشعوب .

وظنى ان تغلغل هذه الوثنية لا يمكن التخلص منها انما تستبدل بعقيدة أخرى والغربى بصورة عامة يحب الوثن ولما جاءت المسيحية لتطهرهم من عباده الأوثان وتأخذهم الى عبادة الله الواحد ، اتخذ رجال الدين من أنفسهم أوثانا ونصبوا أنفسهم خلفاء للمسيح ، وتغلغلت الوثنية فى حياتهم لأنهم ورثوها مع التراث الدينى القديم التى جاءت من اليونان ممثلة فى الصور والتماثيل المتنوعة التى اقيمت فى الكنائس وواضحة فى قبور الملوك والنبلاء ومخلفاتهم .

واحتفى هؤلاء بكل قديم وحافظوا عليه فما تزال أول كنيسة بنيت فى بريطانيا على سذاجتها موجودة لم تهدم ، ولم يعف عليها الزمن ، واذا ما أتى الحريق على كنيسة أو معبد أو قصر يعيدونه الى سابق عهده وشكل طرازه ، لذلك كان الملوك عتاة ، وحكام الاقطاع جبابرة ، والنبلاء مسيطرين ، ورجال الدين مهيمنين على حياة الشعوب هيمنة كبيرة . ولم يأخذ النبلاء (الماكنكارتر) الا لشعورهم بانهم أوثان عبدتها الشعوب ، ولابد أن تأخذ مكانها مع الملك الوثن الأكبر .

ويبرز سؤال كبير طالما فكرت فيه واعملت فيه الرأى ، وحاولت امحصه طويلا ، هو :

هل الانسان وثنى بالطبع ؟

البشر قسمان : مفكر عميق النظر بعيد الأفق واسع الرأى ،

يقلب الأمور على وجوهها وينظر الى الحياة باختلاف تطورها ، وتناقض وجودها : وآخر لا يكلف نفسه بالتفكير ، ويعتمد على غيره فى حل مشكلاته الاقتصادية ، والنفسية والاجتماعية .

ويسير مع الناس كما يسير القطيع يسمع ويطيع ، ويوجد من هؤلاء فى كل الأمم وكل الشعوب فى العالم ، وهم الأكثرية التى تؤمن دون وعى وتطيع دون تفكير ، وتضحى دون ان تحس لماذا تضحى أو تقدم قرابين رخيصة للحاكم ، لأن الرمز اراد هذا سواء أكان ملكا أو نبيلا أو اقطاعيا أو كاهنا أو قسيسا . وهذا ماحدا بالمعرى ان يقول :

والناس ذو عقل بلا دين وآخر دين لاعقل له .

وجاء الاسلام الذى يرفع الانسان عاليا فى الفكر ، ويدعو الى وحدة البشرية فهدم الاصنام والأوثان فى كل مكان ـ وان كان العرب أقل تعلقا بالوثن من غيرهم .

اراد الاسلام ان يرفع من قيمة الانسان ، وان يشعره بأن الله وحده القادر ، وانه وحده جل جلاله الفرد الصمد ، والبشر سواسية لا فرق بين عربى واعجمى الا بالتقوى ، وأكد الدين الاسلامى على ان الله قريب من العبد ، فعليه عبادة الله تعالى وحده ، وان يصلى فى أى مكان فى الأرض . ويتجه اية وجهة لأن وجه الخالق الكريم فى كل مكان يسمع ويرى ويستجيب دعوة الداعى .

ومنع الصور والتماثيل ، وبناء القبور وكل ما يوحى بالوثنية ، ليتجه الناس الى الله وحده ، (وكان الرسول ﷺ شديد الحذر من

ان يكون المسلمون مثل الأمم الأخرى فقال : « لا تعظمونى كما يُعظم الأعاجم بعضهم بعضا ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » ، وأكد بأنه بشر مثلهم ، يوحى اليه وأحاديثه الكريمة مصدقة لما جاء فى القرآن الكريم .

ان التأكيد على ان الله وحده الحاكم والمسيطر وتكرار القول ، بأن الرسول الكريم بشر يوحى اليه ، رفع الفكر الانسانى عن الوثنية ، وابعده عن عبادة البشر ، والأصنام التى هدمها الاسلام قبل أى شىء فى الكعبة . ولما بعد المسلمون عن جوهر الدين تحول بعضهم الى عباد وثن مصور فى الشيوخ والمتصوفة والفقهاء ، والعلماء الذين أرادوا أن يبصروا المسلمين بالدين ، ويبسطوا تعاليمه لكى تفهمه الاكثرية . فساد بعض هؤلاء الرجال واستعذب بعضهم هذه السيطرة وتمسكوا بها ، وتحولوا الى حكام لهم مصالحهم التى يدافعون عنها وساعدتهم الطوائف الجاهلة .. وجرت معارك بين المسلمين انفسهم وبين الطوائف ذاتها بعد عودة الانسان الى الوثنية الأولى . وابتعاده عن الدين الصحيح .

وكثر المصلحون والداعون الى الدين الأول ، والصفاء الذى جاء به الاسلام ، ظهر محمد بن عبد الوهاب وبذل كل جهده فى الدعوة الى عبادة الله وترك الأوثان ، سواء أكانت قبة أو شجرة أو قبرا ، وقاومته الدولة القائمة على الوثنية والسلطة ، ولو كان للشعوب

عقل يفكر لما حاربت الرأى العميق النظر ، ودعاة الاصلاح ، ولكن الوثنية المتجلية فى حب السلطان والقائد والحاكم ، دعته الى القتل والسبى والتخريب والقضاء على كل من لا يطيع الصنم الجديد ، والوثن الذى نصبه هؤلاء .

وقد أفسد المجدون المعاصرون العقلية العربية بأساطيرهم الوثنية ، التى شابها الرمز والتراث اليونانى والرومانى الذى يقوم على عبادة الآلهة ، التى لها خصائص البشر ، وسجايا الانسان ، بفضائله ومساوئه وقد تتدنى هذه الآلهة ، الى رذائله والى أسوأ شروره وأعماله .

ان هرقل وسيزيف وتموز وأيوب بلغت درجة اسطورية عجيبة اخذ الشعر الحديث يستمد من قوتهم وصبرهم واصرارهم كل ما يطلب الانسان البدائى من الاصنام ، ويتوقعه من الأوثان والآلهة المتعددة .

وفى المجتمع العربى المعاصر المتخلف المريض الممزق الجاهل رغبة عميقة ، الى خلق البطل الذى ينقذه من المحن والآلام ، فلما ظهر عبدالكريم قاسم فى بغداد وجمال عبدالناصر فى مصر التف الناس حولها ، وخلق الشعر منهما اسطورتين ، ولما كبر عبدالكريم قاسم اصطدم بالوثن الأكبر جمال (عبدالناصر) . وما ارتاح حتى ازاحه ليبقى هو الأوحد .

وتجلت خيبة أمل كبيرة للشعراء والكتاب ، الذين تعلقوا بالوثن الأكبر جمال عبدالناصر ، عندما مات ، لأنهم وجدوا أنفسهم فى فراغ نفسى ويباب روحى ولو اعتمدوا على الله ، ثم على الشعوب لما

اصابتهم هذه الخيبة ، ومن هؤلاء الوثنيين على احمد سعيد وسميح القاسم عندما قال :

أبكيك فى المنازل الشعبيه
فى السد والغيطان فى المدارس الريفيه
فى الكتب والساحات
أبكيك فى الغلال
فى الحدائق
أبكيك فى الخنادق
أبكيك فى الفؤوس والمطارق
فى خوذة العامل والجندى
فى كوفية الفلاح والعقال
أبكيك فى قلانس الأحبار
فى عمائم الأئمة
أبكيك فى الصليب والهلال
أبكيك ياجمال (١)

لا شك بأن الشاعر تألم من واقعه العربى المتخلف ، وسيطرة الاستعمار المذلة ، وحكام بلده الجبابرة ، وتسلط الصهاينة ، وجور

---

(١) الأساطير أحمد كمال زكى ـ ٢٤١ بيروت ١٩٧٩

السياسة فحول جمال عبدالناصر الى اسطورة وثنية ، حتى يتخلص من مرارة الواقع وذل الحقيقة ، ويعيش فى حلم جميل وأمنية عذبة لأن كفاح الأمم يقف على رجل واحد ، وزعيم مفرد وبرائد واحد ؟ .

أنا لا انكر فضل جمال عبدالناصر وما قدم لامته ، كان بطلا من الأبطال ، ولكن موته لا ينهى الأمانى ويضيع الأحلام ويوقف الكفاح . ويميت الأمل فى النفوس .

ان فكرة المخلص القديمة ، منذ العهد البابلى والأموى والعباسى خالطت فكرة (الفادى) و (المخلص) المسيحية ، عند هؤلاء وكان حريا بالشاعر ان يبث الصبر فى النفوس والعزم فى الهمم لمواصلة الكفاح والنضال ، إن كثرة ما نظم من الشعر فى رثاء جمال عبدالناصر رد فعل بقايا صور الوثن الموروث فى أعماق الانسان المهزوم روحيا ، الذى لم يقدر على الارتفاع والسمو الروحى والايمان بالله وحده الذى له المقادير وتصريف الأمور .

ان بعض كبار الكتاب ساواه بالرسول الكريم ، وزاد على النبوة وناف على الرسالة ويمكن دراسة العناوين التى ظهرت بعد موته لنجد صورة الوثن والأسطورة منها :

(الرجل الذى اختار كيف يعيش وعرف كيف يموت) و (كنت اعظم من ان يقيك الموت) و (كان رائعا فى اعتى المشاكل

والأزمات)[١] . (عشت بطلا وذهبت بطلا) هل يعرف الانسان كيف يموت ؟ العلم عند الله وحده ، وما معنى انه اعظم من ان يقيه الموت ؟ .

مات جمال عبدالناصر فاقيمت له فى كل عاصمة من العواصم حفلات التأبين . والعزاء ، ومسيرات تحمل نعوشا رمزية ، تبكى الجموع وراء النعش وتلطم الخدود وتزفر الحسرات .

أما فى القاهرة فما أمكن أن يسير النعش فى الشارع ، وانما أخذ بطائرة عمودية لكثرة الباكين والنائحين والنادبين ، الذين فقدوا الوعى والإرادة .

مات ديجول الذى انقذ فرنسا من براثن الاحتلال ، ورفع اسمها بين الأمم وكون لها جمهورية جديدة ، وأنقذها مرة ثانية عندما تدهورت ، وانحطت هذه الجمهورية ، وكانت جنازته محدودة وخاصة .

انها ظاهرة عجيبة ان يحتفى العرب بجمال عبدالناصر ، وهو الذى خسر المعارك وأضاع سيناء يذرفون الدموع الحرار ، ولا يحتفل الشعب الفرنسى ببطل انقذه مرتين . ؟

---

(١) الجمهورية والأهرام ـ مقال حسين فوزى والأهرام زكريا نيل والأخبار عبدالمنعم الصاوى عن الأساطير المصدر السابق ص ٢٤٧ واخبرنى الاستاذ عبدالمجيد القيسى بان شيخ الازهر وقف فى تشييع الجنازة فقال ان من كان يعبد جمالا فان جمالا قد مات .

قلت ان بعض الشعوب تعتمد على الوثـن لتجـد فيه العـزاء والسلوى ، وراحة النفس ، فقد كان العربى قبل الاسلام اذا خرج عن اهله يجمع كومة الرمل ويرش عليها الحليب ، ويطوف حولها ثم يتركها ويمشي او يضع حجرات يجمعها ويطوف حولها ، ومن ثم يوقد عليها طعامه ، اى ان الانسان يحتاج الى شيء محسوس يعبده ، وشيء مادي يبثه ألمه وشكواه ، ومتى وجد الانسان المعاصر انسانا له طاقة جبارة ، واسم يدوى وشخصية هائلة ، سواء أكان شاعرا ام زعيما ام كاتبا يدافع عنه ، ويذود عن السيئات ، ويخلق له الحسنات ، لأنه يمثل الرغبة الكامنة فى روحه فى عبادة الأصنام .

وقد تكون لهذه الظاهرة منافع حضارية موقوتة ، فقد اشتهر كتاب مصر وعلماء مصر وصحافة مصر لأن الشعب المصرى عبد الملوك وشاد لهم المعابد والاهرامات والنصب والتماثيل ، واراد الانسان ام لم يرد فالوثنية تظهر فى اعماله التى حولها الاسلام الى طاقات من الايمان حولها بعضهم الى عبادة الانسان .

ويظهر ان اهل العراق على عكس ذلك فهم يحطمون الأصنام ، ويكسرون الأوثان ، حتى وان كانت لها فائدتها فى حياتهم ، فلم نجد من برز من الشعراء او الكتاب وكتاب القصة واهل الفن .. ولا أشك فى ان قدرة الانسان واحدة فقد تفوق المغنى محمد القبانجى فى مؤتمر الموسيقى الشرقية فى القاهرة ، لكنه لم يشتهر كما اشتهر محمد عبدالوهاب ، وفى العراق مصلحون وساسة ، شوه سمعتهم كتـاب

العراق ، وحكام العراق ، فكم من ابناء العالم العربى يعرف ، فهمى المدرس وابراهيم صالح شكر ، وعزة الأعظمى ، مع اننا نعرف المصريين حتى من الدرجة العاشرة واعمالهم ومؤلفاتهم مهما كثرت وتنوعت .

ان عدم تصديق وفاة جمال عبدالناصر جزء من الأسطورة التى خلقها كتاب مصر وشعراء مصر ، ولا شك فى ان هناك زعماء فى الوطن العربى خدموا اقطارهم خيرا من جمال ، ولكن وثنية الفكر المصرى هى التى اشهرت جمال .وكبرته . كما شهرت كتابا وشعراء اقل مرتبة من شعراء الوطن العربى .

انا ارى ان الشعب العراقى اول من حطم الأصنام فى التاريخ ، ألم يكن ابراهيم الخليل اول من كسر الوثن الذى نحته والده ؟! ..

وسرت هذه الفكرة فى دمائهم ، عندما كانوا يريدون ان يبنوا بناء ينقضون قصور اعدائهم وقصور مناوئيهم فى الحكم ، ثم يبنون من جديد . وبرغم الحضارة الزاهرة التى قادتها بغداد وكان فيها من خبرة المهندسين ، لا نجد بناء قديما قائما فيها ؟ يستحق الذكر .

ان المنصور لما بنى بغداد جلب ابوابها من واسط ، وهى ابواب الحجاج التى قيل عنها كانت لمدينة بناها سليمان بن داوود ، اخذها الحجاج منها ، لأنها قرب واسط . واقام على باب خراسان بابا جىء به من الشام ، وعلى باب الكوفة جلب بابا من الكوفة من عمل خالد بن عبدالله القسرى ، وعمل هو لباب الشام بابا كان

اضعفها [1] .

هذه الوثنية الجديدة دخلت فى مضامين الشعر الجديد من الغرب ، ومن اللا شعور القابع فى النفس الانسانية . الا نعرف ان الانسان ميت ؟! لم إذن جمال عبدالناصر ؟

قال عبدالمعطى حجازى وكانه يصف موكب فرعون ويبالغ فى الركوع وينحى له لانه راى فى جمال عبدالناصر وثنا فدعا الشعراء ليروه وهو يمر من تحت قوس النصر يخوض فى بحر مكارمه :

اخوض بحر من صباه
بحر الحياة ـ ماشد عمقه ـ بحر الحياة
يمضي فتنحى السدود
ويفتح الضياء الف كوة عليه
ويطلق البوق النحاسي النشيد

وضاع فى عبادة الوثن وقال :

ياشعراء يامؤرخى الزمان
فلتكتبوا عن شاعر كان هنا
من عهد عبدالناصرُ العظيم [2]

---

(١) خطط بغداد تأليف الدكتور يعقوب ليستر وترجمة الدكتور صالح احمد العلى مطبوعات المجمع العلمى العراقى ١٩٨٤ ـ ص ٦٨ .

(٢) ديوان حجازى ص ١٧٧

لا جدال فى ان بعض الشعر المعاصر ، اتخذ جمال عبدالناصر مثلا عاليا وقارنه بعض هؤلاء بأبطال العرب ، وقادة الفتح الاسلامى مثل صلاح عبدالصبور ومحمد الجيار ومحمد الفيتورى واحمد عبدالمعطى حجازى وسميح القاسم ، وجاء ذكر خالد بن الوليد وصلاح الدين وعرابى فى ثنايا الشعر ، لكنهم فى قرارة انفسهم وصفوا هؤلاء لوجود الصنم الذى جاء من آلهة الغرب ، والوثن الاسطورى الذى تسرب اليهم من الشعر اليونانى .

ان الأسطورة المعاصرة مسرب من مسارب الفكر الغربى ، وجدت فى روح الشاعر رغبة عميقة للتعلق فى حب شيء مادى حسى ، يصرف فيها حاجاته النفسية ورغبته العارمة اللا شعورية ، التى تحولت الى خرافة واسطورة ، ليرتاح الشاعر اليها ويلقى همه عليها . لأن الرمز الأسطورى هو صورة عميقة الغور راكدة فى اللاشعور ، تظهرها الأحداث ويصقلها الفنان ، بالأسلوب الذى يريد .

واخيرا هذه فرضية او نظرية وجدت مصداقها فى الشعر الحديث فى انماطه الجديدة واسطورته القديمة ، التى اراد بها الحداثة والجدة وماهى الا عنصر انسانى ولد معه وحمله اليه الأجداد فى بدائية قديمة ، وسطحية مادية ، عميقة فى النفس وجدتها فى النصوص الشعرية فأظهرتها ناقدا وحددتها شاعرا وكتبتها باحثا ..

انها مجرد تمثيل للجماعات التى يعيش فيها الشاعر ، تمثل فكرة

بعض قطاع من الناس حاول الابداع فى صور ورثناها من حكايات التاريخ ، وركزها تكرارها ، وضيق الثقافة والخيال عند الناس ، جعلتهم يصدقون ويؤمنون بالآلهة التى تقوم بالمعجزات ، التى لاتناسب الواقع المادى والمنطق البشرى متمثلة فى الزعماء والقادة والمفكرين .

وقد نجح الشعراء والكتاب الذى دخلت فى آدابهم هذه الأسطورة لأنها تنفس عن عقيدة الظلم ، وعقدة النقص ، وعقدة الخوف ، التى رسبت فى العقل العربى وهذا سر نجاح كتاب مصر فى آدابهم النثرية ، وذيوعها فى مصر اكثر من ذيوعها فى بعض الأقطار العربية . لأن فكرة الفرعون ماتزال تعيش عند اكثر الكتاب والشعراء .. فى ارض الكنانة الغالية .

* * *



المحتويات

الموضوع	الصفحة

❊ ❊ ❊

ثبت المراجع والمصادر

(أ)

الأساطير د . احمد كمال زكى ـ بيروت ١٩٧٩

اماس واطلاس محمد حسن العواد

اناشيد صغيرة د . احمد كمال زكى ـ القاهرة ١٩٦٣

انا ياصديقى متعب بعروبتى نزار قبانى ـ بيروت ١٩٨١

أبو شادى وحركة التجديد فى الشعر العربى الحديث د . كمال نشأت ـ القاهرة ١٩٦٧

(ب)

البئر المهجور يوسف الخال بيروت ١٩٥٨

بدر شاكر السياب محمود العبطة بغداد ١٩٦٥

بدر شاكر السياب واديت سيتويل د . نذير العظمة الكويت ١٩٨٤

البند فى الأدب العربى عبدالكريم الدجيلى بغداد ١٩٥٩

(ت)

تاريخ الجبرتى

تطور الفكر الحديث فى العراق يوسف عز الدين بغداد

التعريفات للشريف الجرجانى لبنان ١٩٦٩

التيارات المعاصرة فى النقد الأدبى د . بدوى احمد طبانة القاهرة ١٩٧٠

توشيح التوشيح .. صلاح الدين الصفدى ١٩٦٦

(ج)

جناية الشعر الحر احمد فرح عقيلان نادى ابها الأدبى ١٩٨٢

(خ)
خطط بغداد   يعقوب لنستر ترجمة الدكتور صالح احمد العلى بغداد ١٩٨٤
الخمائل   ايليا ابو ماضى دار العلم للملايين بيروت ١٩٧١
(د)
ديوان بدر شاكر السياب بيروت
ديوان عبدالرحمن شكرى الاسكندرية ١٩٦٠
ديوان صلاح عبدالصبور بيروت ١٩٧٢
ديوان خليل حاوى بيروت ١٩٧٢
(س)
السلسلة   الدكتور كامل مصطفى الشيبى بغداد
(ش)
شظايا ورماد نازك الملائكة بيروت ١٩٥٩
الشعر العربى المعاصر   د . عز الدين اسماعيل   بيروت١٩٧٢
الشعر العربى كيف تفهمه ونتذوقه اليزابيث دور ترجمة د . محمد الشوشى بيروت ١٩٦٠ .
شناشيل ابنة الجلبى   بدر شاكر السياب   الطليعة بيروت ١٩٦٧
الشعر والشراء   ابن قتيبة   طبعة المعارف القاهرة
الشوقيات   احمد شوقى   القاهرة ١٨٩٨
(ص)
صفحات مطوية من أدب السياب   خالص عزمى بغداد ١٩٧١
(ط)
طفولة نهد   نزار قبانى
(ع)
العاطل الحالى   صفى الدين الحلى ألمانيا ١٩٥٥
على احمد باكثير شاعرا غنائياد . عبده بدوى الكويت

العمدة   ابن رشيق   تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد
عودة الغائب   عبدالله العثيمين   الرياض ١٤٠١

(ف)

فصول فى الأدب الحديث والنقد   يوسف عز الدين الرياض ١٩٨٢

(ق)

قضية الشعر الجديد   الدكتور محمد النويهى القاهرة ١٩٦٤

(ل)

للصلاة والثورة   نازك الملائكة   بيروت ١٩٧٨

(م)

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ، الراغب الاصبهانى دار الحياة بيروت
من قضايا الفكر الحديث   يوسف عز الدين القاهرة
الموازنة   للآمدى تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد (بلا) ١٩٤٤
مقدمة ابن خلدون
الموشح   المرزبانى تحقيق البجاوى القاهرة ١٩٦٥
ميزان البند   د . جميل ـ الملائكة   بغداد ١٩٦٥

(ن)

النقد الأدبى   داود سلوم جزءان   بغداد
نقد الشعر   قدامة بن جعفر تحقيق د . محمد عبدالمنعم خفاجة القاهرة
نظرات فى أصول الأدب والنقد د . بدوى احمد طبانة القاهرة

(و)

الوساطة بين المتنبى وخصومه ، القاضى الجرجانى تحقيق (ابو الفضل البجاوى)
القاهرة ١٩٦٦

الجرائد والمجلات :

جريدة الجزيرة مقابلة محمد علوان الرياض ٢٥ محرم العدد ٤٠٥٠

جريدة الجزيرة مقابلة عبدالفتاح ابو مدين العدد ٥٧٧٠ عام ١٩٨٤

جريدة السياسة مقابلة محمود درويش الكويت ١٩٨٤/٦/٢٣

جريدة المدينة مقال نور الدين صمود الأربعاء (٢٣ ـ ٢٦)/١٤٠٤/٩

جريدة الجزيرة قصيدة احمد المبارك الرياض ١٠ جمادى الآخرة ١٤٠٤

مجلة لغة العرب انستاس الكرملي بغداد

مجلة الدوحة مقال عبدالله مخلص الدوحة العدد ٩١

مجلة المجلة مقال علي محمد العمير ٢١٤ (١٧ ـ ٢٣ مارس) ١٩٨٤

مجلة اليقين محمد الهاشمي بغداد ١٩٢٢

مجلة كل العرب قصيدة د . سعاد الصباح العدد ١١٩ كانون الأول ١٩٨٤

المصادر الأجنبية

1 — **Preface to Lyrical Ballads,** William Wordsworth

2 — **Biographia Literaria,** Samuel Taylar Coleridge

3 — **On the Principles of Genial Criticism Concerning the Fine Arts,** Essay Second, Samuel Taylor Coleridge

4 — **A Defense of Poetry,** Percy Bysshe Shelley

5 — **Lectures on the English Poets,** William Hazlitt

6 — **A Handbook to Literature,** C. Hugh Holman

7 — **Criticism: the Major Texts,** Walter Jackson Bate

8 — **Poetical Works of Coleridge**

9 — **Poetical Works of Wordsworth**

10 — **Leaves of Grass,** Walt Whitman

11 — "Still Falls the Rain", Edith Sitwell

12 — **The Waste Land,** T.S.Eliot



فهرس الاسماء

[أ]

[ب]

[ت]

[ج]

[ح]

[خ]

[د]

[ص]

[ط]

[ع]

[غ]

[ف]

[ن]

[هـ]

[و]

[ي]

* * *

فهرس الاماكن



من مؤلفات

الدكتور يوسف عز الدين

١ ـ الشعر العراقى فى القرن التاسع عشر : خصائصه وأهدافه :

بغداد ، وزارة التربية ١٩٥٨ .

القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ .

القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ .

٢ ـ الشعر العراقى الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية :

بغداد ، وزارة التربية ١٩٦٠ .

القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ .

القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ .

٣ ـ خيرى الهنداوى حياته وديوان شعره :

القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٦٥ .

بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٤ .

٤ ـ فى الأدب العربى الحديث (بحوث ومقالات نقدية) :

بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٦٧ .

بيروت والقاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

بيروت ـ دار العلوم فى الرياض ، ١٩٨١ .

٥ ـ دواد باشا ونهاية المماليك فى العراق :

بغداد ، دار البصرى ، ١٩٦٧ .

بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦ .

٦ ـ **مخطوطات عربية فى مكتبة صوفية الوطنية :**
بغداد ، المجمع العلمى العراقى ، **١٩٦٨** .

٧ ـ **الاشتراكية والقومية وأثرهما فى الأدب العربى الحديث :**
القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، **١٩٦٨** .
بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦ .

٨ ـ **شعراء العراق فى القرن العشرين (جـ ١) :**
بغداد ، جامعة بغداد ، **١٩٦٩** .

٩ ـ **الرواية فى العراق ـ تطورها وأثر الفكر فيها :**
القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، **١٩٧٣** .

١٠ ـ **فهمى المدرس ـ من رواد الفكر الحديث :**
القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، **١٩٦٩**
بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦ .

١١ ـ **القصة فى العراق ـ جذورها وتطورها :**
القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، **١٩٧٤** .

١٢ ـ **تطور الفكر الحديث فى العراق :**
بغداد ، دار المناهل للترجمة والنشر ، **١٩٧٦** .

١٣ ـ **إبراهيم صالح شكر وبواكير النثر الحديث فى العراق :**
القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، **١٩٧٥** .

١٤ ـ قلب على سفر (رواية) :
القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ .

١٥ ـ مخطوطة شعر الأخرس .
بغداد ، مطبعة العانى .

١٦ ـ النصرة فى أخبار البصرة (للأنصارى) :
بغداد ، المجمع العلمى العراقى ، ١٩٦٩ .
بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦ .

١٧ ـ فى ضمير الزمن (الشعر) :
الأسكندرية ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٥٠ .
القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٧٠ .
الرياض ، دار أمية للنشر ، ١٩٨٥ .

١٨ ـ ألحان (شعر) :
الاسكندرية ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٥٣ .
القاهرة ، دار العلم للطباعة ، ١٩٧١ .
الرياض ، دار أمية للنشر ، ١٩٨٥ .

١٩ ـ لهاث الحياة (شعر) :
بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٠ .
القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

٢٠ ـ من رحلة الحياة :
بغداد ، مطبعة أسعد ، ١٩٦٩ .
القاهرة ، دار الابداع الحديث ، ١٩٨٥ .

٢١ ـ فصول فى الأدب الحديث والنقد :
دار العلوم ، الرياض ، ١٩٨١ .

٢٢ ـ . Modern Iraqi Poetry, Social and Political Influences
القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧١ .

٢٣ ـ Poetry and Iraqi Society : 1900-1945
بغداد مطبعة العانى ، ١٩٦٢ .

٢٤ ـ قضايا من الفكر العربى :
القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ .

٢٥ ـ الحركة الفكرية فى العراق :
القاهرة ، جامعة بغداد ـ ١٩٨٤ .

٢٦ ـ التحدى الحضارى والغزو الفكرى .
الرياض ، دار أمية للنشر ـ ١٤٠٥ هـ .

٢٧ ـ Songs from Baghdad — London 1984
(٢٨) التجديد فى الشعر الحديث ، بواعثه النفسية وجذوره الفكرية ـ
نادى جدة الادبى ١٩٨٦



وقعت أخطاء فى هذا الكتاب ، بعضها من المصحح ، وبعضها من المطبعة ، الى جانب العيوب المطبعية للحروف المكسرة ، التى ظهرت مطموسة استدركناها فيما يلى :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	٥	النشار	النشاز
٨	٣	ورياضة	ورياضه
١٤	١	الواعى	الوعى
١٧	٧	الدراس	الدارس
١٧	١٧	المحاكاه	المحاكاة
١٨	٧	بالقرنين	الى القرنين
٢٣	١٥	عزة	عزت
٢٦	١٠	وفهمة	وفهمه
٢٧	١٤	استجابتة	استجابته
٣٩	١٨	الايجابى له	الايجابى منه
٤٦	هامش « ١ »	خفاجة	خفاجى
٤٨	٤	W. wordswprth	W. wordsworth
٥	٨	وهذاه	وهذا
٥٠	١٥	الانسجام	بالانسجام
٥٢	٥	لحقائق	الحقائق
٥٣	١١	التقلد	التقليد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٦	١٥	عندماه	عندما
٥٤	٣	كأنه	كأن
٥٤	٣	تلقت	تلفَّت
٨٠	١٦	فى رد	عندما سأل
٨١	١	الثائرة	النائرة
٨٣	٤	للمكوناته	لمكوناته
٨٤	٧	هؤلا٠	هؤلاء
٨٤	٢٠	لتجديد	التجديد
٨٥	١٥	الابتكار التجديد	التقليد والتجديد
٩١	٤	الذين	الذى
٩٢	(٢) هامش	الشيبى	الشبيبى
٩٣	١٠	العسال	العسال فى الاحشاء
١٠٣	١	الدَّال)	اللَّام)
١٠٤	١٥	لزر جهر	بزر جمهر
١٠٦	١٥	ايلوت	اليوت
١٠٨	٥ ، ٦	عن شكلها عن	عن شكل
١١٥	١١	تأثيراً	تأثراً
١٢٠	١١	وكيش وشللى	وكيتس وشيلى
١٢٠	٢٠	لانه	لأن
١٤١	٦	ان عد	ان عدد
١٤٣	٥	تعاقب	بتعاقب
١٤٤	٨	الشاعـ	الشاعر

١٤٤	١٦	« حروف الكلمة مطموسة »	الوزن
١٤٨	٢	المستطيل	الطويل
١٤٩	١٨	فقد حس	فقد أحس
١٥١	١١	ولم تنفع	ولم ينفع
١٥٢	٨	ولكنه	ولكنهم
١٥٢	١٥	والنضاا	والنضال
١٥٢	١٨	والمفكر ـــ	والمفكر العميق
١٥٣	١٤	فى الفكـ	فى الفكر
١٥٩	٤	الشعر و ـــ	الشعر وتجديده
١٥٩	١٤	وظنوا التجد	وظنوا التجديد
١٦٥	٨	لم يكفيه	لم يكفه
١٧٠	١٢	فى شهر بدر	فى شعر بدر « عنوان»
١٧١	١٥	الشاعرِة	الشاعرة
١٧٨	٨	بالنفص	بالنقص
١٨١	٣	الاسرا	الاسرار
١٨٦	٣	ثلجية	ثلجيه
١٨٩	١	ووحدت	ووجدت
١٩٣	٧	لشباب	لشاب
١٩٥	٣	وفكرة	وفكره
١٩٨	هامش	مارس ١٩٨٥	مارس ١٩٨٤
٢١٢	٣	الفرتان	الفترتان

٢١٣	٩	عندما ما	عندما
٢٢٠	١٩	« طمس فى كلمتين » وهما : متأثرا شأن	
٢٢٣	١٧	الشعو	الشعور
٢٢٥	٧	عى	على
٢٣٠	٧	بالاسفوب	بالاسلوب
٢٤٢	١٩	الزنديقه	الزنديقة
٢٤٥	١٧	الكلمة « مطموسة » عالمى	
٢٥٠	١٤	الانام	الرجال
٢٥٥	١٥	من يومانية	من يونانية
٢٦٠	١٥	مستفيضه	مستفيضة
٢٦١	١٢	رمزيه	رمزية
٢٦٢	١	النجو	النجوم
٢٦٢	٩	ايلوت	اليوت
٢٦٦	٤	جمرا او انبهار	جمرا وانبهار
٢٦٨	٣	يجب	يحب
٢٦٨	٤	من عباده	من عبادة
٢٧٠	٩	مصور	مصورا
٢٧١	٥	المجدون	المجددون
٢٧٧	٨	بحر	بحرا
٢٧٩	٦	الذى يقوم	اللذين يقومان

من إصدارات النادى الأدبى الثقافى بجدة

- ■ قمم الأولمب « شعر » : للأستاذ : محمد حسن عواد ـ طبع
- ■ الساحر العظيم « شعر » للأستاذ : محمد حسن عواد ـ طبع .
- ■ عكاظ الجديدة « شعر » للأستاذ : محمد حسن عواد ـ طبع .
- ■ الشاطىء والسراة « شعر » للأستاذ : محمود عارف ـ طبع .
- ■ من شعر الثورة الفسطينية « شعر » للأستاذ : احمد يوسف الريماوى ـ طبع .
- ■ أنين وحنين « شعر شعبى » للأستاذ : منصور بن سلطان ـ طبع .
- ■ محرر الرقيق « سليمان بن عبدالملك » « دراسة » محمد حسن عواد ـ طبع .
- ■ من وحى الرسالة الخالدة « اسلاميات » محمد على قدس ـ طبع .
- ■ المنتج الفسيح « آداب وعلوم » للأستاذ محمد حسن عواد ـ طبع .
- ■ طبيب العائلة د . حسن يوسف نصيف ـ طبع .
- ■ مذكرات طالب (طـ ٣) د . حسن يوسف نصيف ـ طبع .
- ■ شمعة على الدرب « نثر » للدكتور عارف قياسة ـ طبع .
- ■ أطياف العذارى « شعر » للشاعر المرحوم مطلق الذيابى ـ طبع
- ■ كبوات اليراع « تصويبات لغوية » للشيخ ابى تراب الظاهرى ـ طبع .
- ■ عندما يورق الصخر « شعر » للأستاذ ياسر فتوى ـ طبع .
- ■ ورد وشوك « مطالعات » للأستاذ حسن عبدالله القرشى ـ طبع .
- ■ فى معترك الحياة « مجموعة آراء » للأستاذ عبدالفتاح أبو مدين ـ طبع .
- ■ الوجيز فى المبادىء السياسية فى الاسلام « نظرات اسلامية » سعد ابو جيب ـ طبع .

■ أوهام الكتاب « تعقبات مختلفة » للشيخ أبى تراب الظاهرى ـ طبع .
■ على احمد باكثير « حياته .. شعره الوطنى والاسلامى » ـ دراسة للدكتور احمد عبدالله السومحى ـ طبع .
■ نغم وألم ـ شعر ـ الشريف منصور بن سلطان ـ طبع .
■ الكلب والحضارة « قصص فى البيئة » للأستاذ عاشق الهذال ـ طبع .
■ شواهد القرآن ـ دراسات ـ للشيخ أبى تراب الظاهرى .. طبع .
■ التشكيل الصوتى فى اللغة العربية ـ دراسة ـ للدكتور سلمان العانى .. طبع .
■ أريد عمرا رائعا ـ شعر ـ للشاعر عبدالله جبر .. طبع .
■ ترانيم الليل ـ المجموعة الشعرية الكاملة ـ للشاعر محمود عارف .. طبع .
■ اغتيال القمر الفلسطيني . شعر . طبع
■ بقايا عبير ورماد . شعر . طبع
■ المجموعة الشعرية الكاملة ـ للشاعر محمد ابراهيم جدع .. طبع .
■ حروف على أفق الاصيل ـ شعر ـ للشاعر حمد الزيد .. طبع .
■ من أدب جنوب الجزيرة ـ دراسة ـ للأستاذ محمد بن احمد عيسى العقيلى .. طبع .
■ غناء الشادى ـ شعر ـ للشاعر المرحوم مطلق الذيابى .. طبع .
■ الشمشاطى وتحقيق كتابه الأنوار ومحاسن الأشعار ـ رسالة دكتوراه .. للدكتور عبدالمحسن القحطانى .. تحت الطبع .
■ الذيابى تاريخ وذكريات اعداد « الشريف منصور بن سلطان » .. طبع .
■ محاضرات النادى القسم الأول .. طبع
■ محاضرات النادى القسم الثانى .. طبع
■ محاضرات النادى القسم الثالث ـ تحت الطبع .
■ المتنبى معالى الاستاذ احمد الشامى .. طبع
■ هموم صغيرة أقاصيص للاستاذ محمد على قدس ـ طبع
■ أمواج وأثباج للأستاذ عبدالفتاح أبو مدين ـ طبع (الطبعة الثانية)

■ الخطيئة والتكفير ـ من البنيوية الى التشريحية ـ د . عبد الله الغذامى ـ طبع .

■ التراث الثقاف للاجناس البشرية فى افريقيا .. دراسة علمية ..
د . عبدالعليم عبدالرحمن جعفر - طبع .

■ فلسفة المجاز . . دراسة لغوية للدكتور لطفي عبدالبديع ـ طبع .

■ بكيتك نوارة الفأل . . سجيتك جسد الوجد ـ شعر ـ عبدالله عبدالرحمن الزيد ـ طبع .

■ عبقرية العربية .. دراسة لغوية للدكتور لطفى عبدالبديع ـ طبع ..

■ مصادر الأدب النسائى فى العالم العربى الحديث للدكتور جوزيف زيدان ـ تحت الطبع .

○ ○ ○

Prof. Dr. Y. Izzidien









Modernism in Arabic Poetry

Its Cultural and Psychological Roots







JIDDAH LITERARY CULTURAL CLUB
1st Edition.
1986 / 1406 AH

